

الخليج والجزيرة العربية في المصادر الروسية

ا. د. صبري فالح الحمدي

الخليج والجزيرة العربية
في المصادر الروسية

الخليج والجزيرة العربية
في المصادر الروسية

ا. د. صبري فالح الحمدي



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
1434 هـ - 2013 م

ردمك 978-614-01-0881-3

جميع الحقوق محفوظة



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون** ش.م.ل

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت – هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت – هاتف 786233 (1-961+)

الإهداء

إلى شهيد العراق

الدكتور يقظان سعدون العامر

المحتويات

المقدمــــة

المقدمة

ادى الخليج والجزيرة العربية دورا مهما في التجارة الدولية منذ اقدم الازمنة لموقعه في منتصف الطريق بين بلدان آسيا من جهة والشرق الاقصى من جهة اخرى وبين الهند وبلاد ما بين النهرين والشام والشرق الادنى من جهة اخرى، إذ ورد ذكر الخليج العربي بالكتب المخطوطة كرحلة ابن فضلان (توفي بعد عام 330هـ بعد 922م)، ان اهميته التجارية ساعدت على قيام مراكز تجارية في المناطق المجاورة لسواحله الشرقية والغربية، وكان للعرب دور معروف في تجارة المنطقة منذ ان فرضوا نفوذهم على بلاد فارس في القرن السابع الميلادي، وظلوا يتمتعون بمركز السيادة حتى مطلع القرن السادس عشر، على اثر وصول البرتغاليين إلى المنطقة وبعدهم الهولنديون والبريطانيون، فانتقلت تلك السيادة للاخيرين، على ان النشاط التجاري العربي استمر بوصف العرب كانوا يمثلون وسطاء للتجارة العالمية، فضلا عن اسهامهم بوظائف توزيع البضائع القادمة إلى المنطقة والمصدرة منها، وخبرتهم الطويلة التي اكتسبوها عبر سنوات طويلة بالعمل الملاحي والتبادل التجاري.

وقد استأثرت منطقة الخليج العربي باهتمام القوى الاوربية منذ مطلع العصور التاريخية الحديثة لاهميتها التجارية بوصفها تمثل نقطة إلتقاء طريق المواصلات العالمية بين الشرق والغرب، ووجود طرق برية للقوافل التجارية تربط موانئ الخليج العربي بدواخل شبه

الجزيرة العربية وبلاد فارس، فضلا عن جنوب العراق، وعدت تلك الموانئ البوابة التجارية لمنتجات تلك المناطق المصدرة إلى شرق افريقيا وبلاد الشام ومدن البحر المتوسط التجارية وبلدان الشرق، ولا سيما الهند، وقد تصاعدت تلك الوظيفة في السنوات اللاحقة، مما اعطى المنطقة اهمية ملحوظة في اهتمام القوى الاوربية، وهي تروم بسط نفوذها على الخليج والجزيرة العربية وترسيخ مصالحها الاقتصادية المتنوعة، فتوافد إليها البرتغاليون والانكليز والهولنديون والفرنسيون، الذين واجهوا مقاومة من السكان العرب الرافضين للوجود الاجنبي في اوطانهم.

ونظرا لقلة الدراسات الاكاديمية التي تناولت السياسية الروسية في الخليج والجزيرة العربية عبر سنوات التأريخ الحديث والمعاصر، بسبب ندرة المصادر الروسية وقلة المصادر المعربة منها، مما جعل تلك البحوث بحاجة إلى اضافات علمية تختص بمعرفة الدور الروسي وازالة اللثام عن توجهات القياصرة الروس نحو المياه الدافئة واعني بها الخليج العربي، فبرزت الحاجة إلى ضرورة تسليط الضوء على الانشطة الروسية المتعددة الجوانب. إذ من المعلوم ان اغلب المؤلفات والدراسات التي درست تاريخ المنطقة ركزت على ما قامت به البرتغال وبريطانيا وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة الامريكية من فعاليات سياسية وعسكرية وتجارية، والوسائل التي اتبعتها في التعامل مع شيوخها خدمة لمصالحها، فيما ظل النشاط الروسي الذي ابتدأ منذ القرن الثامن عشر وتزايد في القرن التاسع عشر واضحا في مظاهر عدة، ما بين وصول السفن التجارية والبعثات الطبية، فضلا عن الرحالة والبحارة الروس الذين وفدوا إلى سواحل

الخليج العربي لاغراض شتى، واستمر الوجود الروسي في المنطقة إلى سنوات قبيل الحرب العالمية الاولى.

اعتمدت فصول الكتاب على معلومات استقت من مصادر روسية معربة لا سيما الوثائقية المنشورة منها، وفي مقدمتها الوثائق والرسائل والمذكرات وما شابه ذلك المتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية من القرن التاسع عشر وفي بعض الاحيان قبل ذلك إلى القرن العشرين، وكان يرسلها وكلاء الشركات التجارية، فضلا عن المبعوثين الآخرين من قناصلة واطباء ومهندسين عما شاهدوه عن مدن المنطقة وسكانها، كما ضمت تلك الوثائق اضابير احتوت معلومات قيمة عن الخط الملاحي بين اوديسا الميناء الروسي على البحر الاسود إلى البصرة الواقعة في شمال الخليج العربي وبالعكس، وكانت السفن الروسية تتردد على موانئ مسقط، بندر عباس، لنجة، بوشهر، البصرة، جدة وغيرها- ليست ذات صلة بموضوعنا- فضلا عن احتوائها على جدول برحلات السفن التجارية الروسية سنويا، مما يدلل على وجود تبادل تجاري على درجة من التنظيم بين الجانبين.

وهناك الوثائق الموجودة في الارشيفات التأريخية الرسمية الروسية والارشيفات الرسمية للقوات البحرية الروسية، والدوريات الرئيسية للعاصمة (موسكو) ومنها صحيفة «ذي نيوتايمز» مع ملحقها «الاسبوعية الملونة» و« ملخصات سان بطرسبرج» وحتى اواخر القرن التاسع عشر، كانت المصادر الروسية التي تزودنا بالمعلومات عن الاوضاع التي تخص البلاد العربية تقتصر على التقارير الدبلوماسية من القناصل والضباط عن الاقاليم المجاورة للإمبراطورية العثمانية وبلاد فارس والتقارير من الجهات الرسمية الخارجية والزوار العاديين، كما

توجد مكتبة فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق لدى الاكاديمية العربية، وارشيف الدولة المركزي للاسطول الحربي (لينينغراد).

وتذكر الاوساط الروسية عن الارشيفات التاريخية المركزية للاتحاد الروسي ومقرها في مدينة سان بطرسبرج، انها تعد من اكبر الارشيفات التاريخية في روسيا، إذ تم تأسيسها عام 1922، وتحتوي على اكثر من (6) ملايين وثيقة مكونة من صور الوثائق والمخطوطات والرسائل الشخصية والرسمية والمراسيم والقرارات من رجال الدولة والمؤسسات والمنظمات التابعة للإمبراطورية الروسية، وهي تعطي وصفا مفصلا لكافة جوانب الحياة للمجتمع الروسي من بداية القرن الثامن عشر حتى عقد العشرينيات من القرن العشرين، إلى جانب الوثائق التي تتعلق بالسياسة الخارجية وعلاقات روسيا القيصرية بالبلدان الاخرى.

ومن الضروري الاشارة إلى وجود الارشيفات الرسمية للقوات البحرية للاتحاد الروسي، ضمت بين دفتيها اخبار عن مدن الخليج العربي وموانئه، فضلا عن الاعتماد على النصوص المقتبسة من الارشيفات المركزية الرسمية للقوات البحرية وموقعها في سان بطرسبرج. وتعد من اقدمها، وهي الخاصة بسجلات تاريخ البحرية ونشاط الاسطول الروسي التجاري تم تأسيسها عام 1724، تشمل اكثر من (1,2) مليون صندوق للخرائط ويوميات السفن والرسوم، وبعضها احتوت على جوانب ذات اهمية تاريخية عن الاهتمام الروسي في منطقة الخليج العربي، ولا سيما عمان، فنحن بحاجة للاطلاع على معلوماتها ذات الاهمية التأريخية التي تتصل بقرون من الزمن عاشته سواحل الخليج العربي مع تلك الجماعات الوافدة، وتحتاج هذه

الوثائق اليوم من الدارسين بذل جهود مميزة لمحاولة الكشف عن اتجاهات السياسة الروسية نحو المنطقة.

اما الجزيرة العربية فكانت تحظى باهتمام اقل من الخليج العربي في الوثائق الروسية لاسباب كثيرة- لا مجال لذكرها- ومع ذلك بحث «توماراٍ» عن الجذور الاجتماعية للحركة السلفية التي ظهرت في نجد في اواسط القرن الثامن عشر، وعرض «بيرشتيس» دراسات عدة عن النظام الاجتماعي والسياسي في الجزيرة العربية استغرقت سنوات في كتاب حمل عنوان» الاقتصاد والنظام الاجتماعي والسياسي بشمال الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر والثلث الاول من القرن العشرين»، يتضمن معلومات استقاها من اغلبية الرحالة الاوربيون الذين وصلوا المنطقة، فيما نشر «م.شوراكوف» مؤلفا بعنوان «تاريخ نجد الحديث، وألف «ن. بروشين» كتابا عنوانه «العربية السعودية» يعد اول محاولة روسية لتحليل قيام الدولة السعودية، مع الاشارة إلى أن تلك المؤلفات كتبت باللغة الروسية، وهي تنتظر جهود الباحثين لترجمتها إلى اللغة العربية لتكون في متناول القارئ العربي، التي تعد اضافة علمية إلى جهودنا الاكاديمية المرتكزة على البحث التاريخي الدؤوب وصولا للحقيقة المنشودة.

ولكي يتمكن الباحثون في مجال الدراسات التاريخية من الاطلاع على وجهة النظر الروسية ازاء احداث الجزيرة العربية وتطوراتها السياسية والاقتصادية لا بد من الرجوع إلى المصادر الروسية ذات الصلة المباشرة بتلك الموضوعات، منها على سبيل المثال لا الحصر، ما ألفه (بونداريفسكي) في كتابه عن الاوضاع في الجزيرة العربية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فضلا

عن كتب روسية اخرى كرست فصولها عن النواحي الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة، وهي بحاجة إلى تعريبها ليتمكن الذين يدرسون تاريخ الجزيرة العربية والمناطق الاخرى العربية من الاطلاع على ما تحتويه من معلومات وفيرة تفيد الباحثون وتغني الدراسات الاكاديمية باضافات علمية ترصن محتواها العلمي وتعزز منحى المنهج التاريخي السليم في تدوينها، واستنباط الآراء والطروحات بشأن تلك التطورات التي شهدتها عموم المنطقة عبر سنوات التاريخ الحديث والمعاصر.

ستحاول الدراسة وبشكل مختصر التطرق إلى الموقف البريطاني من السياسة الروسية وتحركات السفن البحرية والتجار، فضلا عن نشاط القناصل الروس المعتمدين في مدن الخليج والجزيرة العربية، وهل ان الوجود الروسي اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وباشكاله المتعددة قد شكل خطرا حقيقيا على المصالح البريطانية؟ على وفق ما ستخبرنا به تقارير الوكلاء والمقيمين البريطانيين الذين كانوا يرسلون معلومات عن طبيعة وحجم تلك الانشطة، وكيف ان بريطانيا كانت تراقب عن كثب الفعاليات الروسية وتحاول رصدها للحيلولة دون ان توضع روسيا موطئ قدم لها في المنطقة.

وحقيقة الامر فان قضايا تاريخية عدة بحاجة إلى دراسات مستفيضة للكشف عن جوانب الصراع الدولي الغربي الذي شهدته منطقة الخليج والجزيرة العربية، لا سيما في السنوات التي سبقت نشوب الحرب العالمية الاولى عام 1914، وفي مقدمتها الجهود الروسية والالمانية التي راحت تتعامل مع الدولة العثمانية ذات النفوذ الروحي لدى سكان المنطقة من جهة، وحكومة الهند البريطانية

ووكلاءها في الخليج العربي المقترن بوجود الاسطول البحري الذي كانـت سـفنه منتشـرة فـي مياه الخليـج العربي، الامر الذي سـيوضـح ملابسات كثيرة في لعبة السياسة الدولية ازاء تطورات الاحداث هناك، وكيف ان تلك الخلافات التي يمثل الروس احد اطرافها قد تزايدت حدة مع بداية القرن العشرين والسنوات التي سبقت الحرب العالمية الاولى، واتخذت اشكالا سياسية واقتصادية، وربما في بعض الاحيان التلويح باستخدام القوة، لكنها سرعان ما خفت تدريجيا قبيل الحرب، وهو الامر الذي يثير تساؤلات بشأن مسار ذلك الصراع الدولي عن هذه المنطقة المهمة للتجارة العالمية، والذي ستوضح صفحات هذه الدراسـة بعضا من جوانبه والاسـاليب التي لجأت إليها الدبلوماسـية الروسـية ورجـال الاعمـال الـروس فـي التعامل مع سـكان المنطقة، ومحاولـة اسـتمالتهم إلـى جانبهـا في وقت كان النفـوذ البريطاني هو الاكثر رسوخا فيها.

واخيرا كان على الباحث وهو يعرض مادته التاريخية من مصادر روسية معربة ان يعلق أو يضيف معلومة توضيحية لما ورد في المتن من معلومات غامضة أو ربما خاطئة مأخوذة من تلك المصادر، فضلا عـن الإتيـان بهوامـش تتعلـق بوقائع وأشـخاص ذات صلـة بموضوع الدراسـة، لتعريـف القـاريء الكريـم لبعض تلك التطورات السياسـية والاجتماعيـة والاقتصاديـة بهدف ازالة ما وقع من التباس في تدوينها والاحاطة بها، وتم ذلك بالرجوع إلى عدد من المصادر المؤشرة في ثنايا الدراسة.

المؤلف

بغداد في 20/12/2012

الفصل الأول

التطور التاريخي للمصالح الروسية في الخليج العربي حتى عام 1917

- مدخل تاريخي:

عرف الخليج والجزيرة العربية تغلغل قوى اوربية عدة إلى سواحله ومدنه، وفي مقدمتها البرتغال، بريطانيا، هولندة، فرنسا، لكن النشاط الروسي جاء متاخرا في اواخر القرن التاسع لاسباب كثيرة وان كانت له جذوره التاريخية، ومع ذلك سيتابع البحث في صفحاته المتواضعة بواكير الوجود الروسي، الذي سنرى انه يمتد إلى فترات زمنية ابعد مما يتداول في الاوساط التأريخية، وتفترض الدراسة حقيقة عدم اتضاح المخططات الروسية وبلورة حجمها المؤثر بالمقارنة مع تحركات وفعاليات القوى الاوربية الاخرى المنافسة في المنطقة.

وهناك تساؤلات لدى الاوساط الاكاديمية المتبعة لتاريخ الخليج والجزيرة العربية الحديث، بشأن اوجه ذلك النشاط الروسي، وما هي مظاهره الاولى في مسيرة علاقات روسيا مع شيوخ وسكان المنطقة، وهل ان مقدماته ارتكزت على التجارة اولا؟ ام ان التمثيل الدبلوماسي كان سباقا في مجال الوجود الروسي وبيان مدى اثر الرحالة الذين انطلقوا من بلاد روسيا البعيدة جغرافيا عن الخليج والجزيرة العربية، صوب اراضي تلك المناطق بدءاً من سواحلها نحو الاجزاء الداخلية في الحجاز ونجد وغيرها.

ولعل دراستنا ستكون فاتحة خير لجهود لاحقة وعاملاً مشجعا فـي الخـوض فـي المصـادر الروسـية، التي تضم معلومـات قيمة عن تاريخ البلاد العربية لا سيما وان هناك معارضة بريطانية قوية عبرت عنها حكومة الهند، فضلا عن المسؤولين البريطانيين بعموم المنطقة، ومخاوف من اتسـاع المصالح الروسـية، الامر الذي وقف عائقا دون تمكن الروس من تحقيق تطور ملموس في علاقتهم تلك، وهو الامر الذي كان عاملا اسهم في اضعاف الوجود الروسي، وهو الامر الذي سنسـلط الضـوء علـى تطوراتـه ومتابعـة ردود الفعـل البريطانيـة التي اتخذت مظاهر عدة في هذا البحث.

- التطور التاريخي للمصالح الروسية في الخليج العربي حتى عام 1917:

توجهـت روسـيا بانظارهـا نحـو الخليـج العربـي رغـم اتسـاع إمبراطوريتهـا واشـرافها علـى بحـار عـدة بغيـة الوصـول إلـى الميـاه الدافئـة، لانهـا محكومة بواقـع جغرافي مغلق، فانها بحاجة إلى منافذ بحرية مفتوحة. إذ إن البحار الروسية غير مفتوحة وقسم منها داخلي، مثالها بحر البلطيق المتجمد طيلة ايام السـنة، اما البحر الاسـود فهو مـن البحـار الداخلية[1]، ومما يعزز ذلك ما اوردته المصادر الروسـية مـن ذكـر لمـدن الخليج العربـي بوصفها مراكز للتجـارة العالمية منذ القرن العاشر الميلادي بين بلاد الشرق والغرب، مما يشير إلى وجود اهتمام روسي منذ وقت مبكر بالخليج العربي، وتكشف عن كثير من

(1) John, Hopkins; The (Persian) Gulf States, London, 1951, p. 42.

المحاولات لجمع بعض المعلومات عن شعوب المنطقة[1].

وقد تحول ما عرف بالوصول إلى المياه الدافئة إلى شعار ثابت في السياسة الروسية على مدى قرون في التاريخ الحديث، وتزايد ذلك التوجه في عهد بطرس الكبير (Peter the Great1682–1725) الذي كان يبحث بشغف عن نهر يربط بين ايران والهند، فيما خاض حربين ضد الدولة العثمانية، وحربا واحدة ضد فارس ليواصل خلفائه هذه الحروب التي بلغ مجموعها الكلي عشر حروب مع الدولة العثمانية، وثلاثا مع فارس على مدى قرنين كاملين من الزمن (1767–1787)[2]، واشتهر بطرس الكبير باعتماد سياسة خارجية تهدف الوصول إلى المياه الدافئة، واهتمامها بالخليج العربي الذي تعد فارس المدخل الرئيس نحوه، وهو يحاول ما ذكرته بعض المصادر التاريخية تنفيذ وصيته التي جاء فيها: «توغلوا حتى تبلغوا سواحل الخليج العربي فتعيدوا الحياة إلى الطرق التجارية القديمة مع الشرق الادنى»[3].

من جانب آخر جاء اهتمام روسيا القيصرية بفارس لمحاذاتها لها ولكونها توصل الروس بالخليج العربي، الذي سيخلص الاخيرة من اختناقها وبعدها عن البحار الدافئة المفتوحة، بعد ان فشلت في

(1) أرشيف المخطوطات الروسية، مجموعة مخطوطات سوفيسكايا، ج11، نقلا عن: التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، اعداد آداموف، القنصلية الروسية العامة في تبريز 1902، ترجمة نوري عبد البخيت، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، العدد 9، 1978، ص 109.

(2) كمال مظهر أحمد، هاشم التكريتي، قطر في الدراسات الروسية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الرابع عشر، كانون الأول 2003، ص 118–117.

(3) Percy Sykes; History of persia, Vol. II, London, 1951, p. 254.

تحقيق ذلك الهدف في المضايق التركية[1]، وهي تروم تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية، عبر تنوع مهمات البعثات الروسية بين سياسية وتجارية وجولات تفتيشية، ووصول البحارة والرحالة والدبلوماسيين والمهندسين والاطباء الروس إلى مناطق الخليج العربي في السنوات اللاحقة.

ومع اطلالة القرن التاسع عشر، فقد هيأ الغاء نظام الرق في روسيا عام 1806 الجو الملائم إلى نمو اسلوب الانتاج الرأسمالي، فحققت البلاد قفزة كبيرة في مجال تطورها الاقتصادي في فترة زمنية قصيرة، فبدأت الزراعة باسلوب جديد ووضعت الاسس الاولية لانتاج المكائن في بتروغراد وموسكو، وتطورت شبكة الخطوط الحديدية، كما ارتفعت كميات الحديد والفحم المستخرج في جبال الاورال، وازداد انتاج السكر، مما اسهم في بدأ تصدير تلك المنتجات والمواد إلى اسواق آسيا وشمال افريقيا والصين وفارس والهند[2].

على ان روسيا كانت حريصة على تحقيق اهدافها الاقتصادية وايقاف التوغل البريطاني نحو آسيا الوسطى والقفقاس والتطلع نحو الخليج العربي، وقد سهلت ذلك العلاقات التجارية بين روسيا وفارس، وفي عام 1825 رفعت مذكرة للحكومة الروسية بشأن مشروع انشاء مخفر امامي روسي في مسقط لدعم التجارة الروسية هناك،

(1) مصطفى عبد القادر النجار، العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي بالخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد الثاني، السنة الثانية، جامعة البصرة، 1975، ص 100.

(2) نوري عبد البخيت، الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مجلة الخليج العربي، العدد السادس، 1976، ص 56.

وبحكم اهمية عمان في ميدان التجارة العالمية وموقعها الجغرافي في مدخل الخليج العربي[1].

لم تنظر بريطانيا إلى تزايد النشاط الروسي نظرة معارضة بداية الامر، بخاصة ان الدولتين كانتا تخوضان صراعا مشتركا ضد نابليون، الا ان انتهاء التعاون بين الدولتين بعد سقوط نابليون وازدياد المصالح الروسية في بلاد فارس عقب توقيع معاهدة «تركمان جاي» عام 1828 التي الحق بنودها ضررا بالاخيرة ادى إلى بروز المقاومة البريطانية للتغلغل الروسي، لا سيما بعد حصولها على امتياز مد لسكة الحديد في شمال فارس، وافتتاح مصرف روسي لاقراض الفرس بفوائد بسيطة، وقد لخص موقف الحكومة البريطانية الرافض للتوجهات الروسية اللورد نورث بروك (North Brook)، برسالة بعثها من الهند في 20 آذار 1876 إلى وزارة الخارجية البريطانية، ومما ورد فيها الآتي: «يجب ان نعتبر اي امتداد للمناطق الروسية صوب الخليج العربي أو اية حماية روسية لسواحل ذلك الخليج خطرا مباشرا على الهند، وهذا بحد ذاته كاف بحسب ما اعتقده لاستعمال القوة للمحافظة على سيادتنا الحالية في الخليج»[2].

وعلينا التذكير برد الفعل البريطاني ازاء التوجهات الروسية صوب الخليج العربي، واتضح ذلك من قلق السلطات البريطانية المتمثل بان حصول روسيا على نفوذ في الخليج العربي وجنوب فارس، يمثل تهديدا مباشرا للمصالح البريطانية وطرق تجارتها المؤدية إلى

---

(1) المصدر نفسه، ص 58.

(2) ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التأريخي، ج1، ترجمة ديوان امير قطر، الدوحة، 1967، ص 496-495.

الهند[1]، وعلى ما يبدو ان تلك التقارير البريطانية مبالغ فيها والقصد منها اثارة المشاكل ووضع العراقيل امام النشاط الروسي في الخليج العربي، وفارس[2]، بدليل تمكن بريطانيا من احكام سيطرتها على المنطقة في النصف الاول من القرن التاسع عشر، مقابل انصراف الدولة العثمانية عن الاحساء والجزيرة العربية، حتى صار الساحل الجنوبي للخليج العربي منطقة نفوذ بريطانية سواء خلال الوجود العسكري عبر السفن الحربية، أو عبر المعاهدات والاتفاقيات التي كبلت بها بريطانيا شيوخ المنطقة تحت حجج معرفة وهي الحفاظ على المصالح التجارية ووقف القرصنة وتجارة الرقيق، وهو الامر الذي اوردته الوثائق الروسية[3].

واذا تناولنا النشاط الروسي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر-معتمدين على النصوص التاريخية المقتبسة من ارشيف روسيا القيصرية[4]، الذي شهد تزايدا في العلاقات التجارية مع موانئ

(1) John Marlow; (Persion) Gulf in Twentieth Century the Ereset press, London, 1973, p. 19.

(2) J.C, Herawitz; Diplomacy in the Near and Middle, East, vol. 1, New York, 1956, p. 319-320.

(3) القنصلية الإمبراطورية الروسية في بغداد، وثيقة رقم 426 في 26 أكتوبر (تشرين الأول) 1892، نقلا عن: مصطفى عقيل، التنافس العثماني – البريطاني حول قطر (1892–1902) في ضوء الوثائق الروسية، مجلة دراسات تاريخية، العددان (65–66) جامعة دمشق، أيلول – كانون الأول 1998، ص 130.

(4) يضم أرشيف روسيا القيصرية ستة أرشيفات: أكبرها «أرشيفات موسكو» وعدد الوثائق فيها نحو مليونين ونصف مليون وثيقة تلقي الضوء على التاريخ السياسي والاقتصادي للمدة من القرن الثامن عشر حتى عام 1917، فضلا عن وثائق اخرى لما بعد هذا التاريخ في أرشيفات اخرى وعددها مليونا وثيقة، علاوة على الافلام والصور والخرائط، ثم هناك الأرشيف البحري ويحوي أكثر من (2,1) مليون =

الخليج العربي وانتعاش الخط الملاحي بين الجانبين، لا سيما بعد افتتاح قناة السويس عام 1869، فنلاحظ وصول اول قنصل روسي إلى بغداد واسمه (ليف امجوستوفتش ابارجاردين) في 3 تشرين الثاني 1880، إذ قام بتسليم المحافظ العثماني (تقي الدين) الفرمان بتعيينه قنصلا إمبراطوريا في بغداد، غير انه اضطر إن يترك عمله بسبب ارهاقه الشديد عام 1886، وانتقلت جميع شؤون السفارة الروسية من جديد إلى القنصل الفرنسي لما بين النهرين، كان يخصص للكويت في بلاغاته الدورية مكانة ملحوظة[1].

بالمقابل فسرت السلطات البريطانية في الخليج العربي التحركات الروسية بوصفها ترمي إلى انشاء قاعدة بحرية لها في خليج عمان عام 1887، والعمل على مد خط حديدي عبر فارس لنقل المعدات العسكرية من روسيا إلى المنطقة، وذكر (لوريمر) المعبر عن وجهة النظر البريطانية انه في ربيع عام 1887 قام الكابتن «فونبلومر Captain Vonblumer» بزيارة اصفهان وشيراز وبوشهر على متن سفينة روسية في جولة تفتيشية، وفي شتاء 1888-1887 ظهر في بوشهر ضابط روسي سابق، وعقد اتفاقية روسية - فارسية لاتخاذ موقف محدد

= وثيقة، وأرشيفات مركزية لمجموعة الوثائق. علي أبا حسين، من العلاقات الثقافية بين روسيا ودول الخليج العربي، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد الخامس والثلاثون، السنة الثامنة عشرة، يناير (كانون الثاني) 1999، ص 30.

(1) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية المحفوظة بالسفارة في القسطنطينية، الملف 517/ 2، الإضبارة 1243، 1899، ص 146، نقلا عن: جينادي جارياتشكين، من هم القناصل الروس في شبه الجزيرة العربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مجلة الوثيقة، العدد السادس والأربعون، السنة الثالثة والعشرون، البحرين، يوليو (تموز) 2004، ص 132.

ضد المصالح البريطانية في الهند[1].

وفي عام 1889 استطاع الوزير الروسي المفوض في طهران بالحصول على تعهد خطي من الشاه يمنح احدى الشركات الروسية الحق في القيام بانشاء خطوط سكك حديدية في فارس، ووفقا لما تم الاتفاق عليه فانه على الاخيرة ان تمتنع خلال تلك المدة من منح اية شركة امتيازا من ذلك النوع[2].

شهد عقد التسعينيات من القرن التاسع عشر نشاطا روسيا متعدد الجوانب من رحلات بحرية لسفن الاسطول الروسي، فضلا عن توافد التجار والمهندسين والاطباء الروس إلى مدن الخليج العربي، وفي اثناء تسلم (بيوتر بونافيديين) مهام القنصلية في بغداد (1891-1892) فقد وصفت كتاباته في مراسلاته إلى السفير (نيلييدوف) في القسطنطينية بانها كانت مليئة باسماء الحجاز ومدنه مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة والخليج العربي، ومنها الكويت، ومناطق من شبه الجزيرة العربية، لكن اصابته بالحمى الشديدة في خريف 1892، جعلته يتقدم بطلب إلى رئيسه الاكبر يطلب تقديم اجازة للعلاج في كراتشي[3]، على حساب الحكومة[4].

اما بشأن التحركات الروسية نحو الجزيرة العربية خلال سنوات التاريخ الحديث، فالوثائق الروسية تذكر زيارة رجال الاعمال والضباط

---

(1) ج. ج. لوريمر، المصدر السابق، ج5، ص 452-291.

(2) ارنولد، ويلسون، تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، دار الحكمة، لندن، 2001، ص 194.

(3) عاصمة باكستان الحالية.

(4) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية المحفوظة بالسفارة في القسطنطينية، الملف 517/2، الإضبارة 1243، 1899، ص 97-69، نقلا عن: جينادي جارياتشكيين، المصدر السابق، ص 133.

والعلماء الروس تلك المناطق، وعلى سبيل المثال لا الحصر، شهد مطلع القرن التاسع عشر وصول «ابا مالك نزاروف» و«س.أ ستروجانوف»، و«أ. و. شرباتوف»، وهم متخصصون في سباق الخيل لغرض ادخال تحسينات على سلالات الخيل، وقد اشتروا الخيول العربية، ودونوا مذكراتهم عن زياراتهم للاماكن المقدسة في الحجاز، وفي اواخر اربعينيات القرن التاسع عشر زار «ج.أ.فالين» وهو عالم باللغة العربية الاجزاء الشمالية من شبه الجزيرة العربية، وبصفته استاذا في جامعة هيلسنجفور، كتب عددا من المقالات العلمية المبنية على ملاحظاته التي جمعها في اثناء زياراته، فضلا عن قيام الضابط الروسي(دافلين شين) بزيارة الحجاز اواخر القرن المذكور وكتبوا مقالات عنها(1).

ولاجل متابعة اوضاع الروس القادمين إلى الجزيرة العربية ولا سيما الحجاج المسلمين منهم، اولت الجهات الرسمية الروسية اهتماما بضرورة اقامة قنصلية تتولى تلك الواجبات والتنسيق مع اشراف الحجاز(2) الذين يتولون ادارة الاماكن المقدسة هناك، فضلا عن توفير الخدمات واشاعة الامن في ربوع الحجاز للحجاج القادمين لاداء مناسك الحجاج من كل بلدان العالم وشعوبها، إذ تم افتتاح

---

(1) الأرشيفات التاريخية للدولة الروسية (الصندوق ن-821، فهرس الجرد ن-8، الملف - ن726، وزارة الداخلية للإمبراطورية الروسية، دائرة التجارة والملاحة - تقرير للقنصل الروسي في جدة، ص 32، نقلا عن: سيرجي كريكورييف، الحجاج الروس إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشرة، يوليو (تموز) 1997، ص 159.

(2) لمزيد من التفاصيل ينظر: صبري فالح الحمدي، إشراف الحجاز في القرن الثامن عشر، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2009.

اول قنصلية روسية في جدة المطلة على البحر الاحمر في 3 حزيران 1891، وكان ممثلها يؤدي وظائف قنصلية وتجارية، كما ان عدد لا بأس به من مواطني روسيا اعتنق الإسلام، كذلك كان من الضروري ضمان الظروف المناسبة لتسهيل قيامهم بالحج إلى اماكن مقدساتهم الدينية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكان هذا من بين وظائف القنصلية الروسية في جدة، التي عليها واجبات ادامة الصلات مع دواخل شبه الجزيرة العربية، فضلا عن قيام التجار الروس بعمليات التبادل التجاري مع التجار المحليين، ومع ذلك كانت العلاقات بين روسيا وشعوب الجزيرة العربية قليلة اواخر القرن التاسع عشر، بالمقارنة مع مناطق الخليج العربي، إذ كان قنصلها في جدة غير مستقل في عمله، حيث انه يعمل تحت اشراف السفير الروسي في اسطنبول، وكان (ش.م. ابراهيموف) مديرا لها، وهو من آسيا الوسطى، تتولى متابعة شؤون الحجاج الروس إلى الحجازوتسوية القضايا المتعلقة بهم، واستمر وجودها حتى بعد قيام ثورة اكتوبر (تشرين الاول) عام 1917[1].

وحري بنا تناول اساليب التغلغل الروسي التي تمت وفق خطة بعية المدى ركزت على الامور الاتية[2]:

---

(1) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية المحفوظة بالسفارة في القسطنطينية، الملف 2/517، الإضبارة 1243، 1899، المحفظة 149، المكتب التركي القديم، الملف أ502، الإضبارة 425، 1890، ص 36-3، نقلا عن: جينادي جارياتشكيين، المصدر السابق، ص 134.

(2) يفجييني سيدوروف، تاريخ العلاقات السياسية والدبلوماسية الروسية بدول المنطقة، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشر، يوليو (تموز) 1997، ص 66.

1. توسيع الشبكة الإقليمية لمراكز المراقبة الدبلوماسية الروسية.
2. تولى مصلحة الأسطول الحربي الروسي حل مسألة دخول السفن الحربية الروسية إلى الموانئ الخليجية.
3. تنشيط أعمال الشركات التجارية الروسية في الجزيرة العربية.
4. إقامة رحلات بحرية منتظمة بين موانئ روسيا وسواحل الخليج العربي.

احتلت هرمز بحكم موقعها في مدخل الخليج العربي، اهمية في المخططات الروسية الرامية إلى اقامة مراكز لها في موانيء الخليج العربي، بحكم موقعها في مدخله، وظهر اول دليل على اهتمام روسيا الاستراتيجي بالمضائق الموصلة إلى مدخل الخليج العربي، بزيارة ضابط مهندس روسي لجزيرة هرمز عن طريق كرمان وبندر عباس الواقعتين على الساحل الشرقي في ربيع عام 1895، إذ قام في اثناء بقاءه لمدة يومين فيها، بمسح شامل للجزيرة، وصرح قبل عودته ان روسيا ستقيم مخزنا للفحم هناك لسفنها من المزمع وصولها إلى الخليج العربي، وقد هيأ انتشار مرض الطاعون الدملي بالعام التالي في الهند، حجة تذرعت بها روسيا للوصول إلى المنطقة واجزاء اخرى من فارس، لمعارضة النفوذ البريطاني هناك، ثم ارسلت في عام 1897 طبيبان آخران هما «اوست ost ومير Mar» أو «مارك» وكان الاخير يشغل منصب طبيب البعثة الدبلوماسية الروسية في طهران لدراسة مرض طاعون بوشهر، على الرغم من ان الوباء لم ينتشر بعد، الا بعد مرور عامين من وصولهما، ولحق بهما العام التالي طبيبان روسيان اخران هما: رودزيفش Rodzewitz وكورنويسكي

Kornajesk) بعدها جاء طبيب خامس هو باشوفسكي Basehowsk) الذي اتخذ بوشهر مقرا له خلال عامي 1899-1898، وقام بنشاط طبي حينما انتشرت موجة خفيفة من الطاعون هناك، مع التذكير ان هؤلاء الاطباء قاموا بزيارة بندر عباس وبوشهر، كما قام رودزيفيسكي وكورنويسكي بزيارة البصرة، مما اثار استياء الحكومة البريطانية، إذ إن قصر المدة وقلة انتشار المرض في بوشهر وقيام الاطباء الروس بمعالجة السكان المحليين مجانا قد رجح ان لهذه البعثة الروسية عمل آخر تؤديه وهو ايجاد موطيء قدم لروسيا في الخليج العربي[1].

ومن الضروري الاشارة إلى النشاط الروسي في شمال الخليج العربي اواخر القرن التاسع عشر والرغبة في اقامة مراكز تجارية ومحطات للوقود، لا سيما بعد تعيين كروجلوف Hrougloff)[2] قنصلا لروسيا في بغداد اواخر عام 1897، المعروف بنشاطه الدبلوماسي في وقت كانت فيه بريطانيا تتمتع بنفوذ واسع في عموم المنطقة، فقد كان يتطلع للحصول على محطة وقود لبلاده في الخليج العربي، كما كان يأمل في ان يمتد بالنفوذ الروسي حتى الكويت، مما جعله يساند ما طرحه احد الرعايا الروس ويدعى الكونت كابنست Kapnist) في مشروع يهدف إلى مد خط حديدي يصل شرق البحر المتوسط

---

(1) فواز مطر نصيف الدليمي، التنافس البريطاني - الروسي في منطقة الخليج العربي 1909-1798، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2007، ص 53-52.

(2) تولى كروجلوف الإشراف على القنصلية الروسية في بغداد (3 آذار 11-1889 مايس 1901)، وظل مسؤولاً عليها بعد أن رفع تمثيلها إلى قنصلية عامة في 31 آذار 1902 بعد ذلك أشرف و. دي نوفل O.D. ivauphal (1 نيسان 1902 - 28 شباط 1903)، وآداموف Adamoff (11 آذار 17-1903 مايس 1904) وأعقبه ف. ماشكو V. Macchkow.

بالخليج العربي، وقد حاولت الحكومة الروسية جاهدة تنفيذ المشروع عام 1899[1].

اما المصادر البريطانية فاكدت ان روسيا طلبت من قنصلها في بغداد تقريرا عن اقامة ميناء لها في الخليج العربي وهنا تقدم الكونت كابنسـت إلى السـلطات العثمانية في اسـتانبول ملتمسا الحصول على امتياز مد خط حديدي يربط بين طرابلس على البحر المتوسط وميناء الكويـت[2]، حصـل ذلـك فـي الوقـت الـذي كان الالمـان يفاوضون العثمانييـن بشـأن مـد سـكة حديد برلين- بغـداد، لذلك قيل ان قبول الحمايـة البريطانيـة علـى الكويـت عـام 1899 كان مرجعـه مواجهـة الخطر الروسـي اكثر من مقاومته المشـروع الالماني الخاص بسـكة حديد بغداد - برلين[3].

وفي اواخر القرن التاسـع عشـر اصبح انشـاء شبكة من القنوات الروسية احدى الخطوات الاولى لسياسة روسيا، إذ اكد «أ. ماشكوف القنصل الروسـي في بغداد في مذكرة بعث بها إلى السـفير الروسـي بالقسـطنطينية على وجوب انشـاءها، مستشـهدا بما قامت به بريطانيا، لذلك انشأت قنصليات في البصرة وبوشهر، ووضعت تحت تصرف قنصـل بوشـهر سـفينة حربيـة مع قـوة مرافقـة للقنصل في السـنوات التالية[4].

(1) جمال زكريا قاسم، دراسة لتأريخ الإمارات العربية 1914-1840، دار البحوث العلمية، القاهرة، 1974، ص 398.
(2) لوريمر، المصدر السابق، ص 478.
(3) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1982، ص 212.
(4) لمزيد من التفاصيل ينظر: يفجييني سيدوروف، المصدر السابق، ص 67.

كان من الطبيعي ان يؤدي التحرك الدبلوماسي الروسي والجهود المبذولة من الاوساط الحكومية الهادفة إلى اقامة مشاريع اقتصادية في مدن الخليج العربي إلى اثارة المخاوف البريطانية على مصالحها هناك، وهي التي سبقت روسيا الوصول والهيمنة على اوضاع الخليج العربي منذ قرابة القرن من الزمان، فبرز الاحتكاك بين الدولتين اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في مجالات عدة، بسبب عدم تأثير بلاد فارس في تقليل الوجود البريطاني والحد من نفوذه، بسبب الظروف الصعبة الداخلية التي كانت تعيشها، الامر الذي جعل الاحتكاك مباشرا بين روسيا وبريطانيا[1].

ومع اطلالة القرن العشرين تنوعت المهام الروسية ما بين دبلوماسية واقتصادية اتخذت اشكالا ومظاهر عدة وفي اكثر من مدينة في الخليج وسواحل الجزيرة العربية، حتى نلحظ مساهمة الصحف الروسية في تشجيع السلطات الحكومية بذل المزيد من الجهود لترسيخ الوجود الروسي، فقد دعت صحيفة سانت بطرسبرج (St. Petersburg في عددها الصادر يوم 4 شباط 1900، الحكومة القيصرية لزيادة تغلغلها في الخليج العربي مستغلة انشغال بريطانيا بالمشاكل التي واجهتها جراء حربها في جنوب افريقيا (حرب البوير)[2] لتحقيق

(1) George N. Curzon; Russia in Central Asia in 1859 and the Anglo Russia Question, London, 1967, p. 377.

(2) حرب البوير (1899-1902): وقعت الحرب بين بريطانيا وتحالف جمهورية ترانسفال ودوقة أورنج الحرة بسبب النزاع بشأن استثمار مناجم الذهب في أفريقيا، وتمكن القائد البريطاني كتشنر من فرض سيطرة بلاده على جنوب افريقيا. محمد عبد العزيز عمر، أوروبا (1815-1905)، الإسكندرية، (د.ت)، ص 322-325.

اهدافهـا فـي المنطقـة، وممـا يؤكـد زيـادة النفـوذ الروسـي في عموم المنطقـة ومخاطـره علـى المصالح البريطانية، هو ما نشـرته الصحف البريطانية من مقالات تطالب بوقف التوسع الروسي[1].

وفـي الوقـت الـذي كان فيه الروس يقومون بدراسـاتهم الخاصة بالمشـاريع الحديديـة، كانـت سياسـتهم قـد اتجهـت نحو تسـيير خط ملاحـي عبـر منطقة الخليـج العربي، عندما عهدوا إلى المختصين امر القيام بجولة للفحص والمعاينة، فزار كل من المستر «سيرواومياتيكوف Siromiatuikoff) ومسـتر بيلنبـرج Mr. Pellenberg) بوشـهر فـي 19 حزيـران 1900، ومنهـا اتجـه الاخيـر نحو المحمرة، فـي الوقت الذي زار فيه الاول كل من البصرة وبغداد والكويت، ثم لم يلبثا ان تقابلا عند بوشهر في نهاية آب من العام نفسه، حيث امضيا اسبوعا في بندر عباس، اتجها بعده إلى طنجة، وعلى اثر عودة مستر» سيرواومياتيكوف إلى سان بطرسبرج كلف باعداد تقرير عن رحلته، فتقدم به إلى مستر» دي ويت Mr.Duwitte) وزير المالية الروسـي، إذ عبر فيه عن اهمية منطقة الخليج العربي للتجارة الروسية التي يمكن ان تجد رواجا في جنـوب فـارس، ويجـب ان تحظى بعون الحكومة الروسـية لكي يتاح المجـال امامها لمنافسـة التجـارة البريطانية المزدهرة، وفيما يأتي نص التقرير المذكور: «إن ثمة مجالا لتصريف المنتجات الروسية في جنوب ايران كالسـكر والصوف والحبوب والمشـروبات الروحية، غير انه في رأيـه ان تحظـى تلـك التجارة بعون رسـمي لتسـتطيع منافسـة التجارة البريطانية، كما يمكن رجوع السفن إلى روسيا محملة بالارز والتمر،

(1) Ravinder, Kumar ;India and the persian Region 1858-1907, Bombay, 1963, p. 323-324.

واقترح سيروامياتيكوف فتح مصرف روسي في احد موانئ الخليج العربي واقامة مخازن للفحم في بوشهر والبصرة وافتتاح وكالات قنصلية روسية هناك، على ان تحرس بقوة كبيرة، وان تبقى على الاقل سفينة حربية روسية بشكل دائم في منطقة الخليج العربي»[1].

ولتحقيق تلك الاهداف ينبغي اتخاذ الاجراءات المناسبة بشأنها، حيث عين وزير المالية لجنة خاصة لدراسة التقرير تضم ممثلين من مختلف الاجهزة الادارية والهيئات التجارية، وحققت اجتماعا لها في سان بطروسبرج بتاريخ 11 كانون الاول 1900، إذ اقرت الاقتراحات الواردة في التقرير، كما اوصت ان يبدأ خط ملاحي بخاري تعينه الحكومة الروسية من ميناء اوديسا على البحر الاسود إلى بوشهر والبصرة، وان يعهد إلى شركة البحر الاسود الروسية للملاحة التجارية امر الاشراف عليه، فكانت السفينة «كورنيلوف Kornilof» اول من عملت على هذا الخط الملاحي الجديد، فضلا عن جذب الكويت اهتمام الروس، فقد كانت محط انظار الاوساط التجارية لاتخاذها كمحطة للفحم، ويمكن ان تصبح الميناء الطبيعي للسفن الروسية المتجهة نحو الخليج العربي[2].

وحينما اتضح للحكومة البريطانية في اواخر القرن التاسع عشر

(1) طارق نافع الحمداني، العثمانيون والروس في الخليج العربي دراسة في العلاقات السياسية بينهما 1907-1878، العلاقات الروسية - العثمانية بعد عام 1878، مجلة الوثيقة، العدد السادس عشر، السنة الثامنة، يناير (كانون الثاني) 1990، ص 92-91.

(2) بدر الدين عباس الخصوصي، النشاط الروسي في الخليج العربي 1907-1887، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الثامن عشر، السنة الخامسة، نيسان (أبريل) 1979، ص 118.

المساعي الروسية بالحصول على جزيرة قشم الواقعة على الساحل الشرقي من الخليج العربي، من خلال اتفاقها في 15 آذار 1899 مع مظفر الدين (1869-1905) حاكم فارس الذي عرف بكثرة رحلاته إلى اوربا وشدة بذخه، ما دفعه ذلك إلى الاقتراض من روسيا وبريطانيا، فتراكمت الديون على فارس- فارسل اللورد كرزن (G. Curzon نائب الملك في الهند (1898-1908) - الذي عرف باتباعه سياسة من شأنها تقوية السيطرة البريطانية على المنطقة- برقية إلى وزارة الهند، مؤكدا عدم احقية مظفر الدين شاه منح روسيا جزيرة قشم بوصف الاخيرة من ممتلكات عمان، مبينا ان قشم كانت موقعا عسكريا بريطانيا اثناء الحملة العسكرية على القواسم عام 1819، وعندما استفسرت الحكومة البريطانية من السلطات الروسية حول الموضوع، نفى مورايييف Mouraieff) وزير الخارجية الروسي (1897-1900) وجود اية نية لبلاده في الحصول على جزيرة قشم أو اي موقع آخر في الخليج العربي، لعدم امتلاك بلاده لاسطول بحري يمكنه من الدفاع عن تلك المواقع، لكن كرزن ظل قلقا من احتمال سيطرة روسيا على جزيرة قشم حتى بعد التطمينات الروسية، فطلب من وزارة الهند ببرقيته المؤرخة في الاول من ايار 1901، برفع الاعلام البريطانية على جزر قشم، هرمز وهنجام للدلالة على السيطرة البريطانية على تلك الجزر، الا ان رد الوزارة في 16 حزيران 1901 كان الرفض - لاسباب لا مجال لذكرها[1].

(1) فرح باسم إبراهيم، اللورد كرزن ودوره في توجيه السياسة البريطانية في الخليج العربي حتى عام 1905، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2006، ص 109-108.

ادت الزيارة التي قامت بها السفينة الحربية الروسية «جلياك Gilyak» وعلى متنها «كروجلوف» القنصل في بغداد إلى بندر عباس والبصرة والكويت وبوشهر خلال المدة (14-18 شباط و6 آذار 1900) إلى رد فعل بريطانيا بارسال السفينة الحربية «بومون Pomone» إلى تلك الموانئ لتراقب تحركات جلياك»، فيما كرر كرزن تحذيراته إلى حكومته بان تحقيق روسيا لتلك المخططات من شأنه ان يلحق الضرر بالمصالح والتجارة البريطانية[1]، واستمرت تقاريره تظهر بشكل متطرف احتمالات غزو روسي للهند إذا ما تفككت ايران وتحالفت مع روسيا[2].

الا ان واقع الحال ومجريات الاحداث في المنطقة لا تشير إلى حقيقة الخطر الروسي المحدق بالمصالح البريطانية التي ترسخت هناك خلال القرن التاسع عشر، وان هناك مبالغة بهذا الموضوع من جانب بريطانيا، التي اصرت في تهويل الخطر الروسي وكيفية مواجهته والحد من توسعه، فعقدت اجتماعات مطولة واصدرت بلاغات على لسان رجال الدولة، تبين مدى خطورة هذه القوة في منطقة الخليج العربي، وان وجودها فيه منافسة قوية للمصالح البريطانية وتهديد لسيطرتها[3]. والواقع ان الامر الذي استفز كرزن هو وصول النفوذ الروسي إلى جنوب فارس (اصفهان وشيراز وبوشهر)

(1) Briton Cooper. Bush; Britain and the (Persion) Gulf, (1894-1914) University of California press, 1967, p. 115.

(2) محمود علي الداود، الخليج العربي والعمل العربي المشترك، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1980، ص 45.

(3) رندة المصري قطينة، الكويت دراسة تحليلية لقيام الدولة، مجلة الوثيقة، العدد الثاني، يناير (كانون الثاني) 1983، ص 203.

ومـن ثـم تطلعهـا إلى الخليج العربي، وكان رأيه أن السـكة الحديدية التي تأمل روسيا انشائها في جنوب فارس ينبغي ان توضع في ايدي الحكومة البريطانية، وان سـيطرة روسـيا في الشـمال ينبغي ان توازن بسيطرة بريطانيا في الجنوب[1].

من جانب آخر ابدى الاقتصاديون الروس اهتماما بالغا بالملاحة البحريـة التـي توصـل سـفنهم إلـى ميـاه الخليج العربي وسـبل توفير مسـتلزمات نجـاح رحلاتهـم التجارية،عقـب زيـارة السـفينة الحربيـة «جليـاك» موانـئ بندر عباس وبوشـهر والبصـرة والكويت عام 1900، وفي عام 1901 افتتحت شركة الملاحة والتجارة الروسية خط ملاحيا منتظمـا بيـن اوديسـا وموانئ الخليـج العربي، وبغية احتكار السـيطرة علـى حـوض الخليـج العربي قـررت حكومة الهنـد البريطانية العمل علـى اضعـاف المنافسـة الروسـية فـي التجـارة والنقـل البحري وهي فـي مهدهـا، باقدام شـركات الملاحـة البريطانية بعد وصول السـفينة «كورينلوف» وهي محملة بكمية كبيرة من السـكر الروسـي التي تعد اول سـفينة لشـركة الملاحـة والتجـارة الروسية تدخـل ميـاه الخليج العربـي عنـد البصـرة عـام 1901، وعلـى متنها وكلاء وتجـار يمثلون مختلف الشـركات الروسـية الشـهيرة لعرض نماذج من البضائع على شـركائهم الخليجييـن علـى تخفيـض اجـرة النقل البحـري من موانئ المنطقة إلى اوربا بنسبة (70٪)[2].

وتشـير المصادر الروسـية إلى تزايد حجم نقل الركاب والمواد

---

(1) Curzon, op. cit., p. .378.

(2) بونداريفسكي، سياستان إزاء العالم العربي، الترجمة إلى اللغة العربية دار التقدم، موسكو، 1975، ص 267-266.

على متن السفن الروسية المتوجهة إلى موانئ الخليج العربي، فيما اولت السلطات الروسية العناية بتطوير شبكة الطرق والمواصلات مد خطوط لمد انابيب الكيروسين من باكو إلى تلك الجهات، فضلا عن مد سكة حديد عبر اراضي فارس واصبحت السفن الروسية منذ مطلع القرن العشرين وحتى قيام الحرب العالمية الاولى تمخر مياه الخليج العربي بنقلها الركاب ومختلف انواع البضائع من ميناء اوديسا على البحر الاسود إلى موانئ الخليج العربي، فيما كانت السفن التابعة للجمعية الروسية للملاحة البحرية تقوم باربع رحلات سنوية إلى تلك المناطق، وجاءت اكثر من (60) سفينة إلى موانئ الخليج العربي خلال تلك المدة من تاريخ الخليج العربي الحديث[1].

ويمكننا ملاحظة استمرار تردد السفن الروسية على ميناء مسقط العماني لاهميته التجارية، واوردت المصادر البريطانية وصول السفينة «فارباخ» إلى الميناء المذكور منتصف عام 1901، وفي العام التالي جاء الطراد «بوياريـن» إلى ميناء مسقط والتقى امام عمان فيصل بن تركي (1913-1888) وقد تباحثا في موضوعات بشأن تطوير التعاون التجاري بين البلدين[2].

ويلاحظ حدوث تقارب كويتي- روسي في عهد الشيخ مبارك الصباح، وعلى وفق ما تذكره المصادر الروسية فان شيخ الكويت بعث عام 1902 برسالة إلى «اوفستكان» القنصل الروسي في بوشهر و«كروجلوف» القنصل الروسي في بغداد، يطلب منهما الحماية الروسية، حين قابل مبارك الصباح العالم الروسي «يوغويا فلينسكي»

(1) يفجيني سيدوروف، المصدر السابق، ص 67.

(2) لوريمر، المصدر السابق، ج5، ص 508-507.

قبـل ذلـك الوقـت صرح له: «إذا كان فـي امكانك ان تخبر جماعتك من المسؤولين اني صديق الروس واعتبرهـم كاخوتي»[1].

واذا حاولنـا استقراء الجهـود الروسـية فـي محاولتهـا تحقيـق مصالحهـا السياسـية والاقتصاديـة، يمكننـا تلمـس ذلـك فيمـا دونـه «راووسـينكو» القنصل الروسـي في بغداد عام 1905، في تقريره إلى وزارة الخارجية الروسية في خلاصة موجزة للنتائج المتحققة من انشاء قنصلية في بوشهر وعلاقة الروس بالسكان المحليين، ومما ورد فيه: «خلال عدة سنوات تحققت نتائج واضحة، مواجهة الانكليز، الامر الذي اثار حماس السكان المحليين، واقامة صلات سياسية وتجارية وحضاريـة وثقافيـة بيـن الروس والخليجيين وانشـاء خط ملاحي بين اوديسا والبصرة وافتتاح فروع للبنوك الروسية في المنطقة»[2].

ادت الهزيمة التي اوقعتها اليابان بروسيا عام 1905والاضرابات الداخليـة فـي الاخيـرة والخـوف الروسـي- البريطانـي المشـترك من تصاعـد قـوة المانيـا، إلـى أن تقـف الدولتـان علـى ارضية مشـتركة، ويتوصـلا فـي 29 آب 1907 إلـى اتفـاق تـم بمقتضـاه تقسـيم مناطق النفوذ في اواسط آسيا وفارس وافغانستان بينهما، إذ سلمت بريطانيا بنفوذ روسيا في شمال فارس مقابل اعتراف روسيا بالنفوذ البريطاني

(1) بونداريفسكي، التوغل البريطاني في جنوب وادي الرافدين ومحاولات احتلال الكويت في بداية القرن العشرين، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد الثالث، 1975، ص 53-52.

(2) لمزيد من التفاصيل ينظر: أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية المحفوظة في القسطنطينية، الملف 2/517، المحفظة: القنصلية في بوشهر، الإضبارة 156، 1913-1901، ص 6-5، نقلا عن جينادي جارياتشكين، المصدر السابق، ص 135.

في المناطق الجنوبية من فارس بما فيها منطقة الخليج العربي، وهي اول دولة اوربية تعترف بذلك النفوذ[1]، وتضمن الاتفاق ما يأتي[2]:

1. ان لا تقوم بريطانيا لتحوز لنفسها أو لمساعدة رعاياها على الحيازة أو ان تساعد قوة ثالثة لتحوز امتيازات سياسية أو تجارية مثل اقامة الخطوط الحديدية، البنوك، البرق، الطرق، المواصلات، التأمينات...الخ، وذلك وفقا لخط يبدأ عند قصر شيرين مارا باصفهان وويزد، وينتهي عند منطقة تقاطع الحدود الروسية الافغانية، وهذه المناطق المذكورة، مدرجة في منطقة النفوذ الروسي.

2. ان لا تقوم روسيا لتحوز لنفسها، أو لمساعدة رعاياها على الحيازة، أو إن تساعد قوة ثالثة لتحوز امتيازات وذلك وفق خط يبدأ من جاسك ويمر عند بيرجند وكرمان، وينتهي في بندر عباس، وهذه المناطق المذكورة مدرجة في منطقة النفوذ البريطاني.

3. المنطقة بين البينين لفارس، وتتعاون الدولتان في تثبيت الامن والسلام فيهما.

4. تستعمل عائدات الموانىء الداخلية لضمان تسديد القروض الروسية وعائدات موانئ الخليج العربي وبعض الموانئ الاخرى لتسديد القروض الهندوبريطانية.

(1) Philip, Graves; The Life of Sir Percy Cox, London, 1951, p. 130.
عبد الرحمن يوسف بن حارب، الخليج العربي والتطورات السياسية 1914-1971، دار الثقافة العربية، بيروت (د. ت)، ص 13.

(2) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، السلام البريطاني في الخليج العربي 1899-1947، دراسة وثائقية، دار المريخ، الرياض، 1982، ص 121-122.

وبذلك تخلصت بريطانيا من مزاحمة الروس لها في الخليج العربي، ويبدو ان الحكومة الروسية قد اطمأنت بعد عقد الاتفاق إلى البريطانيين، واعتراف مبعوثها في طهران بالتفوق البريطاني في الخليج العربي، حتى اصبح الوزير الروسي في طهران يستشير زميله البريطاني في شؤون تنظيم بعض مصالح روسيا التجارية في الخليج العربي، ولعل ابرز مثال لهذا ان الوزير الروسي في طهران استطلع في عام 1912 رأي الوزير البريطاني في شأن شخص ما كان يعمل وكيلا للشركة الروسية التجارية في مسقط، وعما إذا كان جديرا ان يجدد له عقد وكالته للشركة المذكورة، وبعد اتصال بين الوزير البريطاني في طهران والوكيل في مسقط عن طريق المقيم البريطاني في بوشهر، لم يجدد العقد لهذا الشخص لانه كان في رأي المقيم يعارض المصالح البريطانية في المنطقة[1].

وعلى اية حال خففت اتفاقية عام 1907 التناقضات بين الدولتين وساعدت على قيام الوفاق الودي بين بريطانيا وروسيا وفرنسا، لكنها لم تقض على تلك التناقضات في السنوات اللاحقة بصورة تامة، وقد اشتد التنافس البريطاني- الروسي قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى، لكنه كان باسلوب خفي جدا، فاستمر الكثير من المسؤولين البريطانيين في نظرتهم إلى روسيا، بوصفها العدو الاول لبريطانيا حتى عام 1914، على الرغم من عمق التناقضات الروسية- الالمانية، حتى انه طرحت بعض التساؤلات ومنها: لماذا نشبت الحرب في عام 1914 بين روسيا والمانيا، ولم تنشب بين بريطانيا وروسيا[2].

(1) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المصدر السابق، ص 124-123.
(2) فواز مطر نصيف الدليمي، المصدر السابق، ص 262.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى عام 1914 انشغلت روسيا في احداثها وتطوراتها السياسية والعسكرية، بعد انضمامها إلى جبهة بريطانيا وفرنسا في الحرب ضد المانيا والنمسا والمجر وفي عام 1917 قامت ثورة اكتوبر التي انهت الحكم القيصري في البلاد، واعلن تأسيس الاتحاد السوفيتي الذي اتبع سياسة خارجية على وفق افكار الثورة الاشتراكية، ومؤكدا على مصالح السوفييت ورغبتهم في اقامة علاقات الصداقة والتعاون مع البلدان الاخرى، ومنها امارات الخليج والجزيرة العربية.

الخاتمة:

هناك جملة من الحقائق التاريخية توصل اليها البحث اهمها:

اولا- يمكننا القول بوجود جذور تاريخية للتوجه الروسي نحو الخليج والجزيرة العربية - الى سنوات ما قبل العصور الوسطى، ثم تزايد ذلك الاهتمام في السنوات الاولى من التاريخ الحديث الذي اقترن برغبة القياصرة الروس وتطلعهم للوصول إلى المياه الدافئة. وهو ما شكل الحلم الروسي بتحقيق ذلك الهدف، وقد تعاقب على محاولة تنفيذه عدد من القياصرة، بوصفه يمثل احد مرتكزات السياسة الخارجية الروسية في تلك المدة من تاريخ روسيا القيصرية.

ثانيا- تبين من البحث اتخاذ النشاط الروسي اشكالا عدة، من النواحي الدبلوماسية، واحيانا اخذ منحى تجاريا، فضلا عن الامور الطبية والهندسية ومشاريع السكة الحديدية عبر اراضي العراق أو فارس للوصول إلى سواحل الخليج والجزيرة العربية، الا ان الغالب من تلك الفعاليات هي المعلومات المتاتية مما تم تسجيله

من الرحلات التجارية للسفن الروسية المنطلقة من موانيء البحر الاسود نحو السواحل العربية، ويلاحظ من خلال الوثائق التي ضمت مراسلات القناصل وقباطنة السفن الروسية، مدى ترحيب الاهالي وحكام المنطقة بقدومهم، وهذا يفسر لنا رغبتهم بالتخلص من الوجود البريطاني، الذي مارس انواع الضغوط على شعوبها لتحقيق مصالحه، مما كان سببا في معارضة بريطانيا لكل خطوة تقدم عليها روسيا لترسيخ نفوذها هناك.

ثالثا- خلصت الدراسة إلى أن المصادر الروسية المعربة زودت الباحث بمعلومات لا غنى عنها لمن يدرس تاريخ الخليج والجزيرة العربية من جوانب كثيرة، وعدم الاقتصار على الاحداث السياسية، بل هناك كنوز من المعلومات تضمها الوثائق الروسية عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية الخليجية، قلما تتوفر في مصادر اخرى، وهي مستقاة من معايشة الرحالة والمبعوثين الروس ومخالطتهم لاهاليها وشيوخها، وتعرفهم بالتالي على امور كانت خافية من قبل ولم تكشف عنها المصادر الاخرى التي نعول عليها في دراساتنا التاريخية.

المصادر والمراجع

الوثائق المنشورة:

1. الارشيفات التاريخية للدولة الروسية (الصندوق ن821-، فهرس الجرد ن8-، الملف-ن726، وزارة الداخلية للإمبراطورية الروسية، دائرة التجارة والملاحة - تقرير للقنصل الروسي في جدة، ص 32، نقلا عن: سيرجي كريكورييف، الحجاج الروس إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مجلة الوثيقة،مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشرة، يوليو(تموز)1997.
2. ارشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية المحفوظة بالسفارة في القسطنطينية، الملف 517/ 2، الإضبارة 1243، 1899، ص 146، نقلا عن: جينادي جارياتشكين، من هم القناصل الروس في شبه الجزيرة العربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مجلة الوثيقة، العدد السادس والاربعون، السنة الثالثة والعشرين، مركز الوثائق التأريخية، البحرين، يوليو (تموز) 2004.
3. ارشيف المخطوطات الروسية، مجموعة مخطوطات سوفيسكايا، ج11، نقلا عن التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، اعداد آداموف، القنصلية الروسية العامة في تبريز 1902، ترجمة نوري عبد البخيت، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد 9، 1978.
4. القنصلية الإمبراطورية الروسية في بغداد، وثيقة رقم 426 في 26 اكتوبر (تشرين الاول) 1892، نقلا عن: مصطفى عقيل، التنافس العثماني - البريطاني حول قطر (1902-1892) في ضوء الوثائق الروسية، مجلة

دراسـات تاريخية، العددان(66-65) جامعة دمشـق، ايلول-كانون الاول 1998.

- الرسائل الجامعية:

1. فواز مطر نصيف الدليمي، التنافس البريطاني- الروسي في منطقة الخليج العربي 1909-1798، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2007.
2. فـرح باسـم ابراهيـم، اللـورد كرزن ودوره في توجيه السياسـة البريطانية في الخليج العربي حتى عام 1905، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2006.

- الكتب العربية والمعربة:

1. ارنولد ويلسـون، تاريخ الخليج، ترجمة محمد امين عبد الله، ط1، دار الحكمة، لندن، 2001.
2. بونداريفسـكي، سياسـتان ازاء العالم العربي، الترجمة إلى اللغة العربية دار التقدم، موسكو، 1975.
3. ج.ج.لوريمـر، دليـل الخليج، القسـم التأريخـي، ج1، ترجمة ديوان امير قطر، الدوحة، 1967.
4. جمال زكريا قاسـم، دراسـة لتأريخ الأمارات العربية 1914-1840، دار البحوث العلمية، القاهرة، 1974.
5. صبري فالح الحمدي، اشـراف الحجاز في القرن الثامن، ط1، مؤسسـة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.
6. صـلاح العقـاد، التيـارات السياسـية فـي الخليج العربـي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1982.
7. عبـد الرحمـن يوسـف بن حارب، الخليج العربي والتطورات السياسـية 1971-1914، دار الثقافة العربية، بيروت (د.ت).
8. عبـد العزيـز عبـد الغنـي إبراهيم، السـلام البريطاني فـي الخليج العربي

1899–1947، دراسة وثائقية، دار المريخ، الرياض، 1981.

9. كمال مظهر احمد، هاشم التكريتي، قطر في الدراسات الروسية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الرابع عشر، كانون الأول 2003.
10. محمد عبد العزيز عمر، اوربا (1815–1905) الإسكندرية، (د.ت).
11. محمـود علـي الـداود، الخليج العربي والعمل العربي المشـترك، مطبعة الارشاد، بغداد، 1980

- الكتب الأجنبية:

1. *Bush Cooper.; Britain and the (Persion) Gulf, (*1894-1914*) University of California press,* 1967.
2. *Curzon N. George; Russia in Central Asia in* 1859 *and the Anglo Russia Question, London,* 1967.
3. *Graves Philip; The Life of Sir Percy Cox, London,* 1951.
4. *Herawitz, J.C; Diplomacy in the Near and Middle, East, vol.I, New York,* 1956.
5. *Hopkins John; The (Persian) Gulf States, London,* 1951.
6. *Kumar Ravinder; India and the persian Region*1858-1907*, Bombay,* 1963.
7. *Marlow John;(Persion) Gulf in Twentieth Century the Ereset press, London,* 1973.
8. *Sir Percy Sykes; History of persian , Vol.II, London,* 1951.

البحوث المنشورة:

1. بـدر الديـن عبـاس الخصوصـي، النشـاط الروسـي في الخليـج العربي 1887–1907، مجلة دراسـات الخليج والجزيرة العربية، الكويت،العدد الثامن عشر، السنة الخامسة، نيسان (أبريل) 1979.
2. بواندريفسكي، التوغل البريطاني في جنوب وادي الرافدين ومحاولات احتلال الكويت في بداية القرن العشرين، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد الثالث، 1975.
3. رندة المصري قطينة، الكويت دراسة تحليلية لقيام الدولة، مجلة الوثيقة، العدد الثاني، يناير (كانون الثاني) 1983.

4. علي ابا حسين، من العلاقات الثقافية بين روسيا ودول الخليج العربي، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والثلاثون، السنة الثامنة عشرة، يناير (كانون الثاني) 1999.
5. طارق نافع الحمداني، العثمانيون والروس في الخليج العربي دراسة في العلاقات السياسية بينهما 1907-1878، العلاقات الروسية- العثمانية بعد عام 1878، مجلة الوثيقة، العدد السادس عشر، السنة الثامنة، يناير (كانون الثاني) 1990.
6. مصطفى عبد القادر النجار، العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي بالخليج العربي، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد الثاني، السنة الثانية، جامعة البصرة، 1975.
7. مصطفى عقيل، التنافس العثماني- البريطاني حول قطر (1902-1892) في ضوء الوثائق الروسية، مجلة دراسات تاريخية، العددان (66-65)، جامعة دمشق، أيلول - كانون الأول، 1998.
8. نوري عبد البخيت، الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مجلة الخليج العربي، العدد السادس، 1976.
9. يفجييني سيدوروف، تاريخ العلاقات السياسية والدبلوماسية الروسية بدول المنطقة، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشر، يوليو (تموز) 1997.

الفصل الثاني

الخليج والجزيرة العربية
في المصادر الروسية
(1471-1900)

المقدمة:

يتضمن هذا الفصل عرضا للمعلومات التي ذكرها البحارة والرحالة الروس، فضلا عن آخرين من اعضاء البعثات الطبية والهندسية، وافراد من الهيئات أو الوكالات القنصلية التي انشأت في مدن مسقط والبحرين والبصرة وبوشهر، الذين كانوا يعملون وبالتعاون مع وزارة الخارجية والبحرية الروسية لمتابعة النشاط الروسي في تلك المناطق وادامة صلاتهم مع الاوساط الرسمية والتجارية ذات الشأن في المشروعات الروسية في تلك المناطق، التي تفاوتت اعمالها بين مدينة واخرى، أو بالعلاقة مع شيوخ المنطقة، التي تباينت هي الاخرى تبعا لعلاقات الاخيرين مع السلطات البريطانية الموجودة على سواحل الخليج والجزيرة العربية، المقترنة قوتها بوجود الاسطول البريطاني.

ومن الجدير بالذكر ان التقارير التي كان يبعثها الروس وهم يحملون وظائف مختلفة واصحاب مهن متعددة إلى الجهات الحكومية في موسكو، تضم معلومات قيمة عن جغرافية تلك المناطق واوضاعها الطبيعية بما فيها المناخ السائد في تلك الربوع، فضلا عن تزويد تلك التقارير الباحثين بتفاصيل عن سكان تلك المناطق من حيث لباسهم ومعيشتهم قلما تتوفر في مصادر اخرى، وما لاحظه

الروس في جولاتهم البحرية من عادات وتقاليد الناس، وكيفية انهم يستقبلون الروس الوافدين اليهم بالتقدير واظهار الاحترام، وان العرب مشهورين بضيافة الزوار الذين يحلون في ديارهم، وهو دليل على كرمهم المشهود.

ولعل فيما تحمله ثنايا هذا الفصل من وصف للمدن التي وفد اليها البحارة والمهندسين والتجار الروس وغيرهم، من حيث موقعها والابنية المشيدة فيها، وتزويد القاريء بنبذة تأريخية عن نشوء تلك المدن وتطور وظائفها التجارية واهميتها السياسية للدول الاوربية التي راحت تتنافس للسيطرة عليها، مع ذكر القوافل التجارية التي تخرج منها إلى البلدان المجاورة، وهي محملة بانواع البضائع، حتى وصفها بعضهم تلك المدن اصبحت بمثابة مستودع كبير لتلك المنتجات، يتم نقلها عبر الطرق التجارية إلى المناطق التي تحتاجها.

وحين نحاول التعرف على الاوضاع السياسية في تلك الامارات التي شهدت تطورات على درجة من الاهمية، بفعل اشتداد التنافس الاقليمي والدولي للسيطرة عليها عبر سنوات التاريخ الحديث، نلاحظ ان المصادر الروسية التي احتوت على كم وافر من النصوص تطرقت إلى تلك القضايا بشكل واضح، مما يعطينا اضافات مهمة عن تلك الاوضاع ومستجداتها، منها على سبيل المثال لا الحصر ان تلك المصادر الروسية افادت الباحثين في تسليط الضوء على الحياة السياسية في الجزيرة العربية، ولا سيما الحجاز ونجد في القرنين التاسع عشر والعشرين، فيما يتعلق بقوافل الحج القادمة لزيارة الحرمين الشريفين في الحجاز، ومكانة شريف الحجاز وعلاقته بسكانها، ومدى صلاته بالدولة العثمانية من خلال والي جدة

وولاة مصـر والشـام العثمانييـن، فضلا عن حصولنـا على معلومات فـي الجوانـب الاجتماعية والاقتصادية لمدن مكـة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف، نحن احوج ما نكون اليها في دراساتنا التي انصبت اغلبها على الامور السياسية، كما كشفت تلك الوثائق اللثام عن جوانب جديدة عن نشوء الدولة السعودية وتطورها في الجزيرة العربيـة، بحكـم تدويـن اولئك الرحالـة والبحارة الـروس والعاملين فـي المجـال الهندسـي والطبـي والقناصل ملاحظاتهم عما شـاهدوه بانفسـهم، أو وقوفهـم علـى معلومـة عـن قـرب عـن الظـروف التي رافقت ظهور الحركة السـلفية في نجد واتسـاع نفوذها نحو المناطق الاخـرى، وموقـف القوى المجاورة، كالدولـة العثمانية وبريطانيا من تلك التطورات التي لها مساس مباشر باوضاع امارات الخليج العربي وتزامن ذلك مع اشتداد التنافس العثماني- البريطاني على المنطقة.

وفـي الوقت الذي نشيد به بالجهـود المبذولة من قبل الباحثين والدارسـين فـي التاريـخ الحديـث والمعاصر، بالكشـف عـن الوثائق العثمانيـة وارشـيفها فـي اسـتانبول، التـي اسـدت لمكتباتنـا خدمـات جليلة في اضافة تلك الوثائق التي تم تعريبها، شواهد ذات اهمية عن تاريخنا العربي، فاننا ندعو إلى الافادة من ارشـيفات الدولة الروسـية الموجودة خزائنها في موسكو ولينينغراد، هي تضم ملايين الوثائق عن بلـدان العالـم كافة، ومنها الخليج والجزيـرة العربية موضوع البحث، والعمل على ارسـال المختصين بالشـؤون التأريخية وطلبة الدراسات العليـا، للاطـلاع علـى مكنوناتها من المعلومات التي تشـكل مصادر جديدة تعين الباحثين في مجال دراسـة بلدانهم والتطورات السياسـية والاقتصادية التي مرت بها شعوبهم.

- الخليج والجزيرة العربية في المصادر الروسية (1471-1900):

جذب الخليج العربي بوصفه ممرا للتجارة العالمية بين الشرق والغرب ومنذ ازمنة قديمة، اهتمام اعضاء البعثات القنصلية والتجارية والطبية والهندسية الروسية التي وفدت إلى المنطقة لاغراض شتى، وسبقت هرمز غيرها من مدن الخليج والجزيرة العربية في تردد اسمها في المصادر الروسية، ولعل من الملفت للنظر ان يذكر اسم هرمز في تلك الوثائق ومنذ العصور الوسطى، فقد جاء في مخطوطة للتاجرة الروسية[1] (اناناسيا نيكيستينا) التي ابحرت إلى الهند عن طريق الخليج العربي قبل فاسكوديكاما[2] باربعمائة سنة،ذكر لمدينة هرمز على النحو الآتي: «تعتبر مدينة هرمز محطة تجارية عظيمة يأتيها الناس من جميع انحاء العالم وتوجد فيها مختلف انواع البضائع[3]، وعقب ان سيطر البرتغاليون على هرمز عام 1507 على اثر وصولهم إلى الخليج العربي، اصبحت مركز تجاري فازداد رخاء الجزيرة ومكانتها التجارية»[4].

---

(1) حرص الباحث على إتيان النصوص المقتبسة من المصادر كما وردت فيها دون التلاعب بها لذا اقتضى التنويه.

(2) اكتشف فاسكوديكاما طريق رأس الرجاء الصالح في غرب أفريقيا الذي يوصل إلى بلاد الشرق، وبالفعل وصل إلى الهند في 23 مايس 1498. جورج فاضل حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، القاهرة، 1958، ص 237.

(3) أرشيف المخطوطات الروسية، مجموعة مخطوطات سوفيسكايا، ج11، نقلا عن: التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، إعداد آداموف، ترجمة نوري عبد البخيت، مجلة الخليج العربي، العدد9، 1978، ص 10-9.

(4) لمزيد من التفاصيل عن الاستعمار البرتغالي ينظر:

F.C. Danvers, The Portuguese in India, 2 vol, London, 1966.

وفي الربع الاخير من القرن الخامس عشـر برزت اهمية عمان والبحريـن للمصالـح الروسـية فـي سـنوات مبكرة مـن تاريخ الخليج العربـي، فقـد كان» افانـاس نيكيتـن» اول روسـي يـزور عمـان، وهو تاجر من مدينة» طفير» الروسـية، الواقعة بالقرب من موسـكو، وفي طريـق عودتـه مـن الهنـد، قـام بزيـارة مسـقط عـام 1471، كما قضى بعـض الوقـت في البحرين وبعض الموانـئ للامارات الحالية، وألف كتابا بعنوان «السفر وراء ثلاثة بحار» وفيه معلومات قيمة عن المناخ والاقتصاد والوضع السياسـي وبعض مظاهر الحياة التقليدية وعادات الناس الذين سكنوا البلد التي زارها في طريقه إلى الهند واثناء عودته منهـا، واعجـب التاجر الروسـي بالطقس الحار والمـاء الدافيء الذي صادفه في منطقة مسـقط في شـهر آيار نظرا لان الطقس في روسـيا كان باردا على العموم»[1].

تـردد اسـم هرمـز اكثـر من مرة فـي المصادر الروسـية لوقوعها في مدخل الخليج العربي وكثرة دخول السـفن إلى ميناءها المحملة بمختلف البضائع، وتلك السفن الخارجة منها، المتوجهة إلى مواني‌ء شـرق افريقيـا وبـلاد الهند، وعلى متنها انـواع البضائع التي يتم بيعها هناك، إذ وصف السـائح الروسـي «افاناس نيكيتين» هرمز عام 1472 في اثناء زيارته لها بقوله: «إنها مسـتودع كبير للسـلع وفيها اناس من مختلف الجنسـيات، ولكنه شـكا من كثرة الضرائب المفروضة على

(1) نقلا عن: سيرجي جريجورف، عمان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من خلال الوثائق الموجودة في الأرشيفات الرسمية لسان بطرسبرج، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد الحادي والأربعون، السنة الحادية والعشرون، يناير (كانون الثاني) 2002، ص 155.

البضائع»[1].

وخلال الرحلات التي كانت تقوم بها السفن الروسية إلى موانيء الخليج والجزيرة العربية بطريقها إلى بلاد الشام عبر نقل بضائعها بالقوافل البحرية إلى هناك، فضلا عن تلك المتوجهة إلى البصرة عبر اراضي العراق والشام إلى سواحل البحر المتوسط والمدن الايطالية التجارية، نلاحظ ورود اسم الخليج العربي في الوثيقة التي اعدها» أ. نيبلويين» المقيم الروسي في القسطنطينية عام 1745 التي بعثها إلى الامير» يوسفوف» رئيس صنف التجار في وصف الخليج العربي من الناحية الجغرافية والوضع الاقتصادي، ومما جاء في ذلك التقرير فيما يخص موضوع الدراسة ما يأتي: «تسير القوافل من تركيا إلى ايران عن طريق ارضروم وانغورا، ومن ازمير إلى حلب... ومن الاسكندرية كذلك إلى حلب وبابل والبصرة على خليج فارس (يقصد الخليج العربي)»[2].

ومن المعلوم ان بعض مدن الخليج العربي احتلت مكانة تجارية ملحوظة لدورها في التجارة عبر الطرق البحرية مع المناطق المجاورة، فضلا عن تجارتها الخارجية مع مدن ذات منزلة تجارية سواء في شرق افريقيا، مثل زنجبار، أو بومباي مثلا على سواحل الهند، لكن البعض الآخر مثل بندر عباس فكانت لها علاقات تجارية مع داخل بلاد فارس، بوصفها البوابة التجارية لتلك المناطق

---

(1) لمزيد من التفاصيل ينظر: علي أبا حسين، من العلاقات الثقافية بين روسيا ودول الخليج العربي، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والثلاثون، السنة الثامنة عشرة، يناير (كانون الثاني) 1999، ص 14.

(2) نقلا عن: او. أي. ردكين، الرحلات المنتظمة للسفن التجارية الروسية للخليج العربي 1904–1900، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) 2007، ص 116.

الداخلية، وهو ما اوضحه آداموف القنصل الروسي في تبريز، عن بندر عباس في منتصف القرن السابع عشر، حوالي عام 1650بقوله: «تتجلى اهمية ميناء بندر عباس باتصاله بالطرق البحرية التي تربطه بالمناطق الداخلية من بلاد فارس، فهناك طريقان للقوافل البرية بين بندر عباس وشيراز، الاول الطريق الشمالي الذي يمر بالقرب من تارون ثم فورك ودرب، والثاني الطريق الجغرافي باتجاه مدينة فاز مرورا بمدينة لار عاصمة مقاطعة لارستان، وقد ركز الهولنديون نشاطهم التجاري في هذا الميناء، كما اسس الفرنسيون والانكليز وكالاتهم التجارية فيه ايضا»[1].

ولم تغفل المصادر الروسية ذكر بوشهر الذي يتمتع ميناءها بمكانة طيبة بين مدن الساحل الشرقي من الخليج العربي، بدليل انه حظيَّ بعناية شركة الهند الشرقية الانكليزية التي تأسست منذ بداية القرن السادس عشر، قبل مجيء الروس إلى المنطقة، وقد وصفته تلك التقارير الروسية في اواخر القرن الثامن عشر بالآتي: «اصبح هذا الميناء يمثل المركز التجاري الرئيسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية، ومما زاد من اهميته اتصاله بمدينة شيراز بطرق القوافل البرية»، فيما حرصت الوثائق الروسية المدونة لاحداث تلك المدة من تاريخ الخليج والجزيرة العربية على بيان تطورات عسكرية وسياسية شهدتها عمان في عهد السلطان احمد بن سعيد[2] (1749-1783) وعلاقاتها مع

(1) أرشيف المخطوطات الروسية، مجموعة مخطوطات سوفسكايا، ج11، نقلا عن: التجارة الدولية في الخليج العربي، ص 110.

(2) لمزيد من التفاصيل عن تلك التطورات ينظر: فاضل محمد عبد الحسين جابر، عمان في عهد احمد بن سعيد (1783-1749) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، ابن رشد/ جامعة بغداد، 1988.

القوى المجاورة، ومما جاء فيها الآتي: «إنها اوردت انتصار السلطان احمد بن سعيد مؤسس دولة البوسعيد على الجيش الفارسي فحفظ استقلال عمان، وعقدت في عهده اتفاقية للتجارة بين بريطانيا وامام مسقط، واصبح لها مقيم في المدينة تطورت علاقاتهما لحمايتها من غزو السلفيين في ارض نجد من شبه الجزيرة العربية»(1).

ولم تكن الجزيرة العربية غائبة عن الاهتمام الروسي بعموم المنطقة مع تنامي المخططات الروسية الرامية إلى ايجاد منطاق نفوذ لها هناك مع اطلالة القرن التاسع عشر، رغم معارضة بريطانيا للتغلغل الروسي واستخدامها اساليب دبلوماسية للحد من النشاط المذكور واحيانا التلويح باستخدام القوة، ويتحدث لنا المؤرخ فاسيلييف عن الموارد المالية والعائدات التي يحصل عليها اشراف الحجاز(2)، من الرسوم المفروضة على السفن القادمة إلى ميناء جدة على البحر الاحمر، والهدايا التي يتسلمها من السلطان العثماني بوصفه خليفة المسلمين عليه واجب حماية قوافل الحجاج وادامة صلاته مع الاشراف، اضافة إلى موارد اخرى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر واليكم ما ذكره بشأن ذلك: «وتبين عائدات شريف مكة اساليب اثراء الوجهاء من حكام الواحات فقد كانت الرسوم الجمركية في جدة تعود إليه باكبر المداخيل، وكان يشارك في التجارة المربحة التي تمر عبر هذه المدينة، كما كان يمتلك سفن بحرية ويبيع

(1) أرشيف المخطوطات الروسية، مجموعة مخطوطات سوفسكايا، ج11، نقلا عن: التجارة الدولية في الخليج العربي، ص 110.

(2) لمزيد من المعلومات عن حكم الأشراف وأصوله التاريخية ينظر: صبري فالح الحمدي، إشراف الحجاز في القرن الثامن عشر، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.

المـواد الغذائيـة إلـى الحجـاج، وكان يسـتحوذ على قسـم من النقود التـي تأتـي من الاسـتانة إلى مكـة بمثابة هدية من السـلطان العثماني لاهالـي مكـة المكرمـة، وتـرد إلـى خزينة الشـريف عائـدات الملكية العقاريـة مـن الطائـف والواحات الاخرى، ومن الدور العائدة، ويدفع السـلطان للاشـراف مبالغ كبيرة لقاء مرور قوافل الحجاج العثمانيين إلـى مكـة، وكان وجهـاء البدو يسـتلمون مدفوعات تحددها الاعراف لقاء حماية الضياع والباعة المتجولين، وظلت السلطة في مكة بايدي عوائل الاشراف المتنافسة التي كانت تبعث إلى والي مصر والسلطان العثمانـي نقـودا وهدايـا ثمينـة، الا ان مكة كانـت مدينة متميزة تعيش على الحج والتبرعات الخيرية من العالم الإسـلامي وكان السـلاطين والمسـلمون الوجهـاء يتبرعـون بالامـوال لترميـم الكعبـة والمسـاجد والانفـاق عليهـا وشـق القنـوات، ولـم يسـتطع العثمانيـون ان يقيموا سيطرتهم المباشرة عليها[1].

وبحكـم اتسـاع الحركـة السـلفية بزعامة الشـيخ محمـد بن عبد الوهـاب[2] فـي الجزيـرة العربيـة منـذ منتصـف القـرن الثامـن عشـر، وتحالفها مع محمد بن سـعود امير نجد حوالي عام 1745، وتمكنها من بسـط سـيطرتها على بعض مناطق الجزيرة العربية، وتحولها لمد نفوذها في المناطق المجاورة لها، وقد تناولت مجلة المنوعات الادبية

(1) أرشيف السياسة الخارجية الروسية، ديوان/ 1812، الإضبارة 2282، ص 128. نقلا عن: اليكسي فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2010، ص 45 وص 78–61.

(2) لمزيد من التفاصيل عن الحركة وحياة مؤسسها، ينظر: مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الثقافة، بيروت، 1967.

الروسـية هـذا الموضـوع عام 1805 في السـطور الآتيـة: «قبل حوالي النصف قرن اسس طائفة الوهابيون شيخ عربي اسمه محمد ابن عبد الوهاب بن سـليمان وتقول رواية قديمة ان سـليمان اعرابي فقير من قبيلة نجدية صغيرة، قد رأى في المنام ان لهبا اندلع من بدنه وانتشر في البراري على مسافات بعيدة ملتهما في طريقة الخيام في البوادي والمنازل في المدن، ارتعب سليمان من هذا الحلم وطلب له تفسيرا من شـيوخ قبيلته الذين اعتبروه بشـير خير، واخبروه ان ابنه سـيكون مؤسسـا لمذهـب جديـد يعتنقـه اعـراب البادية، وان هـؤلاء الاعراب سـيخضعون سـكان المدن، وقد تحقق هذا الحلم ليس بشـخص ابن سليمان عبد الوهاب، بل شخص حفيده الشيخ محمد»[1].

وعلـى اثـر سـيطرة القوات النجدية بقيـادة عبد العزيز بن محمد بـن سـعود (1765–1803) علـى مكـة المكرمـة عـام 1803، وتهديده لحكم الاشـراف المتحالفين مع الدولة العثمانية في الحجاز فقد امر السـلطان محمود الثاني (1808–1837) والي مصر محمد علي باشـا (1807–1840) ان يتولى قيادة جيش لاعادة الحجاز للحكم العثماني، فجـاءت قـوات مصريـة اعـادة الحجاز لسـيطرة الدولـة العثمانية عام 1813[2]، ووثق تلك الوقائع التأريخية «ش. روسـيتي» قنصل روسـيا في مصر بالعام نفسـه بما يلي: «إن اسـتمرار تصدير الاطعمة من هنا (من الاسكندرية) إلى مالطة واسبانيا تقدم (لمحمد علي) وسيلة لسد العجـز فـي خزينتـه ويمكنه من انفاق الاموال على اسـتئناف تحصين

(1) أرشيف السياسة الخارجية الروسية، ديوان، 1812، الإضبارة 2282، ص 128، نقلا عن: اليكسي فاسيلييف، المصدر السابق، ص 87.

(2) A. Abir; The Arab Rebellion of Amir Chulib Mecca (1788-1813), Meddle Eastern Studies, Vol. 2, May, 1916, p. 189.

هذه المدينة...، وعلى الاستعدادات الهامة للحملة على عبد الوهاب، والحال تصل من تركيا إلى الاسكندرية بلا انقطاع قوات جديدة يرسلها هو بفصائل صغيرة إلى ينبع عن طريق السويس...، ويوجد خلاف شديد بين عبد الوهاب وشريف مكة»[1].

ونظرا للمقاومة الكبيرة التي ابداها القواسم[2] ضد الاحتلال البريطاني للخليج العربي وخوضهم معارك بحرية ضد سفنهم استمرت سنوات كثيرة (1778-1819) فمن الطبيعي ان يكون لهذا الحدث المهم في تاريخ الخليج العربي الحديث صدى لدى الاوساط الروسية، لكن المؤرخ لوتسكي وقع في خطأ عندما انساق وراء الاكاذيب البريطانية التي وصفت القواسم بانهم قراصنة يعرقلون التجارة في المنطقة، ولنستمع إلى ما قاله: «عام 1819 احرق الاسطول الانكليزي اسطول القراصنة (القواسم) حلفاء الوهابيين، وفي كانون الثاني 1820 اجبر شيوخ ساحل القرصنة على توقيع ما يسمى بمعاهدة الصلح مع شركة الهند الشرقية الانكليزية، حيث تعهدوا بعدم الهجوم على سفن شركة الهند الشرقية، وحرمت المعاهدة القرصنة بتجارة الرقيق في الخليج العربي شكليا»[3].

عاودت مسقط تصدرها موضوعات التقارير التي كان يرفعها المبعوثون الروس إلى حكومتهم وتضم وصفا لموقع الميناء ودوره

(1) أرشيف السياسة الخارجية الروسية، ديوان، 1812، الإضبارة 2282،ص128، نقلا عن: اليكسي فاسيلييف، المصدر السابق، ص 90.

(2) لمزيد من التفاصيل عن القواسم والصراع مع بريطانيا ينظر: صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي 1747-1820، مطبعة العاني، بغداد، 1976.

(3) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دار الفارابي، بيروت، 1980، ص 11.

التجاري واهميته الحربية والدعوة لاحتلال روسيا لمسقط للاعتبارات المذكورة، وجسد تلك التوجهات بالمستر «سيرفير» المبعوث الذي زار عمان بداية عقد العشرينيات من القرن التاسع عشر، في تقريره الذي قدمه في ايار 1824 إلى الإمبراطور اليكساندر الاول، المكون من (12) صفحة وخريطة مفصلة لشبه الجزيرة العربية، ترى فيها المناطق الشرقية بما فيها الاراضي الحالية لسلطنة عمان والامارات المتحدة، مقدما في الوقت نفسه الدلائل الآتية المؤيدة لاقتراحه المذكور وهي[1]:

1. يقع ميناء مسقط في شرق الجزيرة العربية وهي ليست بعيدة عن ملتقى الخليج العربي بخليج عمان.
2. يلعب الخليج العربي نفس الدور في الشرق الاوسط الذي يلعبه البحر المتوسط تجاه اوربا، وتأتي هذه السفن التجارية من جميع انحاء العالم محملة بالسلع المتنوعة من جنوب ايران وتركيا واقاليم الجزيرة العربية.
3. ان كافة السفن الحربية والتجارية الداخلة والمغادرة للخليج العربي تمر بمسقط وبجانب الساحل العماني.
4. الدولة الاوربية التي تسيطر على سواحل عمان وخليج هرمز وميناء مسقط هي التي تسيطر على الوضع السياسي والاقتصادي في هذين الخليجين الهامين في الجزء الغربي من المحيط الهندي.

ويعطينا «سيرفير» وصفا شيقا عام 1824 عن عمان وسكانها

(1) سيرجي جريجورف، المصدر السابق، ص 160-159.

وعاداتهم العربية النبيلة في الكرم والشجاعة، واوضاع عمان الاقتصادية وانتاجها الزراعي والحيواني وتفاصيل عن المناخ فيها وارتفاع الحرارة صيفا مع ذكر المناخ موزعا على فصول السنة في التقرير نفسه على الشكل الآتي: «إن المدينة الرئيسة في عمان هي رستاق التي تقع في المنطقة الخلفية لعمان على بعد حوالي «50» فرشت (الفرشت في الاصطلاح الروسي يساوي مسافة ميل) يسكنها المسلمون من مذهب اباضيون[1]، ان العمانيون ذوو اخلاق كريمة يتصفون بالشجاعة كما انهم مخلصين ويبدون الصداقة مع الاجانب، ويؤمنون بالسحر والكيمياء، وكثيرا ما يترك العمانيون سلعهم التجارية والممتلكات في شوارع مسقط دون حراسة بدلا من الدكاكين والمخازن، ويكثر ضباط الشرطة في شوارع مسقط، تتمتع دولة عمان وميناء مسقط بوفرة الفواكه والخضروات واللحوم الطرية، وتكثر الاسماك في خليج عمان وفي الخليج العربي على السواء، كما توجد مناجم رصاص حول مدينة مسقط، وتوجد مزارع كثيرة للقمح والذرة، والتمر والعنب ويزرع القمح في منطقة مسقط في ديسمبر (كانون الاول) ويحصد في نهايته، ويحصد التمر من فبراير (شباط) إلى ابريل(نيسان) والمحاصيل الزراعية في سلطنة عمان بشكل عام غزيرة ومتوافرة، يبدأ فصل الامطار في شهر اكتوبر (تشرين الاول)

---

(1) التركيب القبلي في عمان يتألف من فرعين رئيسيين هم: القبائل الهناوية التي وجدت في عمان منذ أزمنة سابقة، وعرفوا بنشاطهم في التجارة البحرية، وهم على المذهب الإباضي. أما الغافريون فهم الذين وفدوا إلى البلاد من قلب الجزيرة العربية بسبب الجفاف واستقروا في شمال وغرب عمان، وكانوا على المذهب السني. سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أهل عمان، 1986 (د.م)، ص 26-21.

وينتهي في ديسمبر (كانون الاول) وتكون فترة الصيف في عمان في يناير (كانون الثاني) وفبراير (شباط) جافة، الطقس في سبتمبر (ايلول) واكتوبر (تشرين الاول) لطيفا ومعتدلا ويأتي بالثمار الاولى، بينما يشتد الصيف من يونيو (حزيران) إلى اغسطس (آب) غير ان الرياح من البحر تخفض شدة الحرارة بعض الشيء، وفي الختام لاحظ سيرفير بان المسافة بين عاصمة الإمبراطورية الروسية سان بطرسبرج وميناء مسقط في عمان ليست كبيرة للغاية كما يبدو، ولا تزيد عن المسافة بين لندن في بريطانيا العظمى وكالكوتا في الهند، أو بين مدريد في اسبانيا ومستعمراتها في ارخبيل الفيلبين في المحيط الهندي»[1].

وحسب الكتابات التي نشرت في الصحيفة المسماة «صحيفة كاميرفورير» التي نشرت قائمة باسماء الأشخاص الذين كانوا مخولين لعقد مقابلات رسمية مع أشخاص بارزين نيابة عن الإمبراطور الروسي، جرت هذه المقابلات بدقة وصرامة، ودخل اقتراح سيرفير حول احتلال مدينة مسقط لترويج تجارة رابحة ضمن هذه المقابلات، ولم يتلقاه الإمبراطور في عام 1824 أو حتى في 1825، وهو العام الذي توفي فيه الإمبراطور[2]، ولا تحمل صفحات هذه الوثيقة اي علامات أو ملاحظات للإمبراطور، وعلى الارجح انه لم يرها ولم يتخذ اي قرار في الموضوع سواء كان سلبا أو ايجابا، حول ما إذا كان اقتراح احتلال ميناء مسقط من قبل البحارة والجنود الروس لانشاء قاعدة بحرية فيها وهي بالقرب من ملتقى الخليج العربي والخليج

(1) نقلا عن: سيرجي جريجورف، المصدر السابق، ص 163-162.
(2) وهو القيصر الروسي السكندر الأول (1825-1801).

العماني مقبولا ام لا، وكانت هذه الوثيقة مجهولة إلى الآن ولم يطلع عليها الروس أو العمانيون أو العالم الخارجي، أو احد من العلماء، أو المستشرقين أو المستعربين، وهذا التقرير ليس طويلا من حيث الحجم ولا يزيد عن (12) صفحة، ومع ذلك فهو ملفت للنظر بصفته وثيقة مهمة تأريخية ذات معلومات عن عمان في القرن التاسع عشر من شخص قام بزيارتها فيما قبل»[1].

ومقابل ذلك حظيت الحركة السلفية التي انتشرت في الجزيرة العربية والتي لقيت دعما من الاسرة السعودية، عقب اتساع ممتلكاتها خارج نجد والمدن المجاورة في قلب الجزيرة العربية مع بداية القرن التاسع عشر، باهتمام الروس من رحالة أو زوار إلى الاماكن المقدسة في الحجاز، وما كتبه «جورج اوغست فالين» (1811-1852) عبر اسفاره في الجزيرة العربية ما بين سنوات (1845-1848) من وصف لمناطق نجد وحولها من القبائل الساكنة هناك، نقلتها لنا الوثائق المحفوظة في ارشيفات سان بطرسبرج التي تعتبر عاصمة للقوات البحرية الروسية مع مينائها الدولي التجاري واحواض السفن وقواعدها للقوات البحرية تكشف لنا عن جانب من الصلات بين روسيا والجزيرة العربية، ومما ورد في رحلته الآتي: «إن الولايات الشرقية لنجد هي الآن تحت حكم الامراء السلفيين من اسرة آل سعود، حيث تمثل نجد نفسها ولاية مهمة في الجزيرة العربية، اتمت علاقات ودية مع بعض القبائل المحلية اثناء رحلتي السابقة إلى الجزيرة العربية، احاول ان اصل إلى القصيم وهي المركز القديم

(1) نقلا عن: سيرجي جرجيجورف، المصدر السابق، ص 164-163.

للثقافة في الجزيرة العربية، واتوجه من هناك إلى الرياض حيث يسكن الحكام السلفيون»[1].

وهناك رحلة العقيد «ي. جيركوف» الوسيط الروسي الذي طاف في مدن العراق صوب الخليج العربي في مهمة تبدو لتعزيز المصالح الروسية في المنطقة عام 1849، ضمن وفد غادر القسطنطينية لهذا الغرض، المدونة في الوثيقة التي اعدها (أ. تيبلوييف) المقيم الروسي في القسطنطينية إلى (يوسفوف) رئيس صنف التجار، واحتوت فيما يخص موضوع الدراسة ما يأتي: «تحركوا من قسطنطينية بحرا حتى وصلوا ديار بكر ماردين ودخلوا مدينة الموصل في 24 نيسان 1849، ثم انحدروا نحو بغداد، وكانت القافلة تتألف من (41) فرسا و(22) شخصا توجهت اللجنة في كانون الاول على ظهر البواخر في نهر دجلة وشط العرب حتى الخليج الفارسي (يقصد الخليج العربي)»[2].

يمكننا القول في ضوء استعراض الصفحات السابقة مدى تبوأ الخليج والجزيرة العربية، المكانة الطيبة لدى الاوساط الروسية التي راحت بعثاتها التجارية والفنية ذات المظاهر المتعددة خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر، تبدي اهتماما بهذه المنطقة الحيوية للمصالح الدولية، وتزودنا بآراء وطروحات جديدة كما كانت معلوماتها اضافة علمية للجهود المبذولة في اغناء الدراسات

(1) نقلا عن: نيكولاي دياكوف، بعض الوثائق عن تاريخ العلاقات بين روسيا وبلدان الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين المتواجدة في أرشيفات سان بطرسبرج الرسمية، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) 2007، ص 63.

(2) نقلا عن: أو. أي. ردكين، المصدر السابق، ص 270-269.

الاكاديمية بتأريخ العرب الحديث والمعاصر، ومنها ذات الصلة بموضوع البحث، بنصوص كثيرة من النواحي الجغرافية والسياسية عن امارات الخليج والجزيرة العربية[1] واوضاع سكانها، الامر الذي فتح الباب على مصراعيه امام الباحثين لدراسة جوانب اخرى من تأريخ المنطقة، وشجعهم في الخوض بموضوعات تحمل الاصالة والابتكار في جهودهم العلمية الخيرة لترصين النشاط الاكاديمي والبحثي في هذا المجال.

كان من الطبيعي ان تأخذ منطقة الخليج والجزيرة العربية حيزا كبيرا من المصادر الروسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، نتيجة تزايد التنافس الدولي الممثل ببريطانيا وفرنسا والمانيا وروسيا، وكانت له مظاهر عدة من دبلوماسية واقتصادية متشعبة، مثل مشاريع سكة الحديد وانشاء القنصليات وتوسيع مهامها وتردد السفن الاوربية على موانيء المنطقة، وسجلت تلك المصادر الصراع السياسي داخل عمان بين الامامة والسلطنة للسيطرة على البلاد، وتم التعرف من خلالها على دور بريطانيا بدعم السلطنة ضد امامة عزان بن قيس (1868-1871)[2]، وما ادته تلك السياسة من اثارة تلك الحرب بين العمانيين، واليكم نص ما ذكره المؤرخ» لوتسكي» بشأن تلك الوقائع: «استطاع الانكليز عام 1871 قمع اكبر الانتفاضات الشعبية التي بقيت مندلعة في عمان قرابة عشر سنوات ولقي عزان بن قيس قائد الثوار حتفه في المعركة واستولى

---

(1) وجدت في هذه المدة قوى قبلية وإمارات ذات تأثير في تطورات المنطقة، مثالها في الكويت والبحرين وعمان، فضلا عن آل سعود في الجزيرة العربية وآل الرشيد شمالها في حائل، والأشراف في الحجاز وأئمة اليمن.

(2) M. Yapp; British Policy in the Gulf, A Total Survey, London, 1980, p. 80.

الانكليز على مسقط ووضعوا على العرش العماني السلطان تركي (بن سعيد) (1871-1888) الذي اخذ يقتل القبائل المتمردة والعناصر المعادية[1] وهي تكافح من اجل استقلال البلاد»[2].

من جانب آخر استأثرت حملة الاحساء[3] بقيادة مدحت باشا والي بغداد العثماني (1869-1871) وكان هدفها اعادة النفوذ العثماني في الخليج العربي بمتابعة من الجانب الروسي في مواجهة المنافسة البريطانية المتزايدة في المنطقة ومستعرضا موقف شيخ قطر قاسم بن محمد آل ثاني (1824-1913) من الحملة العسكرية التي تمكنت من الوصول إلى الاحساء والقطيف، وتزودنا المصادر الوثائقية الروسية بتفاصيل عن الحملة ورد فعل شيخ قطر منها على النحو الآتي: «تولى نافذ باشا قيادة الحملة في 1 ابريل(نيسان) 1871 واستطاع الاستيلاء على مقاطعات الاحساء وتعيين حكام لها من قبل الدولة العثمانية، وتفيد المصادر ان الشيخ جاسم (قاسم) بن محمد آل ثاني كان يعاون والده[4] في حكم قطر، واوضحت الوثائق الروسية ان جاسم توجه

(1) بعد وفاة الإمام عزان بن قيس فقد المدافعون عن مطرح حماسهم واستسلموا للقوات المهاجمة، فيما انسحب أحد قادته (السيد إبراهيم بن قيس) إلى صحار ليستمر بالمقاومة، ومقتل الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي قاضي القضاة ومحافظ مسقط في 16 شباط 1871 بعد أن ظل يقاوم في أحد قلاع مسقط. نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج2، سلطنة عمان، 1974، ص 282-278.

(2) لمزيد من التفاصيل ينظر: لوتسكي، المصدر السابق، ص 417.

(3) زكريا قورشون، قطر في العهد العثماني 1916-1871 دراسة وثائقية، ترجمة حازم سعيد منتصر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008، ص 87-82.

(4) برز دور الشيخ قاسم في معاونة والده منذ عام 1851 حينما شن غارة مع رجاله ضد القوات السعودية بزعامة الأمير فيصل بن تركي، فضلا عن تمكنه من جمع =

إلى الاحساء مبديا رغبته في الخضوع للحكومة العثمانية، وانه طلب ان تمده الدولة العثمانية من الاحساء بقوة عسكرية لتأييده ودعمه في مواجهة الضغوط البريطانية[1]، التي شكلت قيدا على والده منذ توقيعه مع البريطانيين اتفاقية عام 1868، وانه وصلت حملة عثمانية يقودها عبد الله آل الصباح (شيخ الكويت) إلى الدوحة في تموز 1871 حيث احسن جاسم استقبالها وعلق الراية العثمانية على قصره»[2].

استمرت الاوساط الروسية تولي حملة الاحساء عنايتها وتراقب تحركات السفن العثمانية المتجهة صوب الاحساء والبحرين وقطر، وهي ترصد التنافس العثماني- البريطاني على الخليج والجزيرة العربية، لا سيما بعد نجاح الحملة البريطانية بالقضاء على مقاومة القواسم منذ عام 1820، مرورا بعقد الاتفاقيات مع شيوخ المنطقة، وانتهاء بحملة الاحساء عام 1871 ونتائجها على اوضاع المنطقة، ووثق لنا تلك التطورات السياسية والعسكرية (آداموف) على الشكل الآتي: «استولى القواسم على سفينتين تابعتين للوكالة التجارية البريطانية في

= شمل القبائل القطرية، وكان الشيخ محمد آل ثاني قد طعن في السن واخذ ابنه قاسم بن محمد تصريف شؤون قطر منذ عام 1868. صبري فالح الحمدي، الصراع الدولي في الخليج العربي، دار الحكمة، لندن، 2010، ص 151.

(1) لمزيد من التفاصيل عن سياسة الموازنة بين العثمانيين والبريطانيين التي اتبعها الشيخ قاسم ينظر: احمد العناني، الشيخ قاسم بن محمد ثاني ومشكلات الزعامة المحلية في الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر، مجلة الخليج العربي، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، 1981، ص 194-190.

(2) القنصلية الروسية في بغداد، وثيقة رقم 426 في 26 أكتوبر (تشرين الأول) 1892. نقلا عن: مصطفى عقيل، التنافس العثماني- البريطاني حول قطر(1902-1892) في ضوء الوثائق الروسية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 66-65، جامعة دمشق، أيلول - كانون الأول 1998، ص 132.

البصرة، فاضطرت بريطانيا للتعاون مع سفن سلطان عمان (المعارض للقواسم) فتغلبوا على شيخ القواسم، واجباره بالتعهد بعدم الاعتداء على السفن الانكليزية...، وهناك اشتداد التنافس العثماني- البريطاني للسيطرة على الاحساء وقطر والبحرين عقب حملة الاحساء عام 1871، لكن بريطانيا تمكنت من بسط سيطرتها على البحرين وقطر بعد انسحاب مدحت باشا عام 1872»[1].

على ان المصادر الروسية في عقد ثمانينيات القرن التاسع عشر لم تغفل ذكر قطر في خضم اهمية موقعها الجغرافي، وعلاقة اهلها مع العمانيين وسكان الاحساء، ومساهمتهم في مقاومة سكان الخليج العربي للغزو البرتغالي، وبيان اصول سكان الجزيرة بالمعلومات القيمة الآتية: «ينتمي القطريون إلى اصول سامية معروفة، وان تحديد موقع وطنهم ووصفه ورد لاول مرة في مجلدات العالم الروماني المعروف «بلين الاكبر دبلتيوس Plinins» التي يعود تاريخها إلى القرن الاول للميلاد، وان بلادهم تمتعت باهمية كبيرة بحكم موقعها الجغرافي المتحكم في خليج البحرين، وشاركت قطر مع القوى العربية الاخرى في الخليج العربي، خلال القرن السادس عشر في خضم هبة عامة لاتحاد القبائل بالمنطقة، تمخضت عنها تحرير عمان ومسقط والبحرين، فضلا عن قطر نفسها من الاستعمار البرتغالي، وفي القرن التاسع عشر، اصبحت قطر ساحة للصراع العثماني- البريطاني، واثرت النزاعات الداخلية سلبا على دور القطريين بالحصول على الاستقلال، فيما لوحظ مساندة سكان قطر والاحساء ومسقط سكان عمان جزيرة البحرين ضد محاولات الفرس الدائمة

(1) التجارة الدولية في الخليج العربي، ص 112-111.

للسيطرة عليها...، وقد فشل البريطانيون بفرض حمايتهم المباشرة على قطر بالعقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر بفضل السياسة الذكية التي اتبعها الشيخ (قاسم) الذي عرف ان يستغل تبعية قطر الاسمية للدولة العثمانية من اجل تحقيق هدفه، وبخاصة بجمع كلمة قبائل بلاده لذلك...»[1].

ومما يستلفت النظر بهذا الخصوص ورود اسماء الكويت والبحرين وقطر في الدراسات الروسية، عقب دخول الالمان منافسين للبريطانيين في الخليج العربي، محاولين عبر نشاطهم التجاري البدء بالتحرك بمشروع سكة حديد بغداد- برلين[2] الذي اقترح ان ينتهي في الكويت لاحقا، وتضمن ذلك بالنص الآتي: «إن وكلاء الاحتكارات الالمانية في البصرة وبغداد قاموا بدعاية نشطة معادية للانكليز، وانهم ظهروا حتى في الكويت والبحرين وقطر قبل الحرب العالمية الاولى»[3].

ونظرا لاهمية عمان التجارية في مدخل الخليج العربي واستمرار عدم استقرار اوضاعها الداخلية، واندلاع اضطرابات فيها، تطلب تدخل بريطانيا عام (1886) وقد لخص لنا (لوتسكي) ابرز

---

(1) كمال مظهر أحمد، هاشم التكريتي، قطر في الدراسات الروسية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الرابع عشر، كانون الأول 2003، ص 127-122.

(2) اهتم الألمان بمشروع سكة الحديد منذ عام 1892 وبذلوا جهودا دبلوماسية للحصول على موافقة الدولة العثمانية على المشروع المذكور، لكنه لم ينفذ بسبب عدم موافقة بريطانيا بأن يكون لألمانيا ميناء على الخليج العربي وحتى قيام الحرب العالمية الأولى.

- B.C. Bush; Britain and the (Persian) Gulf (1894-1914), University of California press, 1967, p. 142-144.

(3) كمال مظهر أحمد، هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 129.

ما وقع هناك بما يأتي: «وفي عام (1886) نشبت في عمان انتفاضة جديدة وحاصر الثوار مسقط، فاتجه تركي (بن فيصل) (1888-1913) ثانية إلى الانكليز وقمع الانتفاضة بمساعدتهم، وفرض حمايتهم على عمان في عهد السلطان فيصل، وهو ابن وخليفة تركي، الذي عقد مع بريطانيا في 20 آذار 1891 معاهدة[1] صداقة وتجارة وملاحة»[2].

والملاحظ كتابة بعض الحجاج الروس الذي يؤدون فريضة الحج في الحجاز بزيارتهم للحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، تقارير عن الاحوال الاجتماعية في الحجاز، ومن هؤلاء «سليم عزي سلطانوف» الذي حج عام 1893، مما يعزز الدراسات التأريخية باستشهادات موثقة عن الحياة الاجتماعية التي تحتاج للبحث والتقصي من جوانبها المختلفة، فضلا عما تحدث عنه الكابتن «عبد العزيز دافلتشين» الذي وفد الحجاز لاداء الحج في العام التالي، وتحدث بايجاز عن سلوك الجنود العثمانيين وسوء معاملتهم للحجاج في اثناء تلك الزيارة، إذ كانوا يتعرضون للنهب والسلب، ومشيرا إلى تردي الخدمات المقدمة للحجاج، وعدم نظافة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام» المدينة المنورة» التي يكثر فيها بيع الرقيق، وتحدث «سلطانوف» عن رحلته إلى الحجاز بحرا، ثم وصوله إلى المدينة المنورة، إذ وصف المسجد النبوي وبيوت المدينة وشوارعها، ثم ذكر ان مساحة مكة المكرمة حوالي اربعة

---

(1) أهم ما ورد في هذه المعاهدة هو النص على تعهد فيصل بن تركي حاكم مسقط بعدم التنازل أو تأجير جزء من أراضيه إلا بموافقة الحكومة البريطانية، وقد اعتبره «كرزن» خطوة لوضع عمان تحت الحماية البريطانية.

- J.C. Jurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. 1, New York, 1956, p. 208.

(2) لوتسكي، المصدر السابق، ص 418.

كيلومترات مربعة تحيطها الجبال، ووصف بيوتها واسواقها وسلعها واعتماد السكان على التجارة، ويذكر عن المدينة (المنورة) ومكة (المكرمة) والطائف ان فيها مكاتب للبريد وصيدليات ومستشفيات وثكنات (عسكرية) لحوالي (200) جندي ومطبعة وسوقا للكتب، والمواصلات في هذه المدن هي الدواب والعربات، ثم يذكر سلطانوف اسلوب الحياة اليومية والاعياد والحفلات واخيرا فان الحج ساعد على احياء شعلة الإسلام في الإمبراطورية الروسية»[1].

ادى التوتر في العلاقات بين قاسم بن محمد آل ثاني شيخ قطر والدولة العثمانية إلى اثارة المشاكل بين الجانبين، بسبب رغبة الاول في الاستقلال عن الدولة، الامر الذي دفع الاخيرة إلى محاولة اعتقال شيخ قطر، باديء الامر عام 1884 وارساله إلى البصرة، ولكن ذلك لم يتحقق، على ان يتولى هذه المهمة حافظ باشا والي البصرة[2].

وعلينا ان لا نغفل دور الحكومة البريطانية في التحريض على هذا النزاع وتحوله إلى حرب بين قطر والدولة العثمانية، مما كان سببا مباشرا في وقوع معركة الوجبة في 3 نيسان 1893، وقد علقت الوثائق الروسية على تلك المعركة وارجعت اسبابها إلى سوء تصرف السلطات العثمانية في قطر من جهة، وسيادة بريطانيا في احداثها، وهزيمة العثمانيين بالمعركة: «إن هزيمة هذا الفصيل التركي والخسائر التي تكبدها تعد خطيرة للغاية سواء على الصعيد الاداري أو على

(1) نقلا عن: علي أبا حسين، من العلاقات الثقافية بين روسيا ودول الخليج العربي، ص 19-16.

(2) لمزيد من التفاصيل ينظر: جي. اس. سالدانا، الشؤون القطرية من سنة 1873 إلى 1904، تعريب أحمد العناني، مطابع دار العلوم، الدوحة، 1976، ص 168.

الصعيد السياسي، فالوجود العثماني في هذه البلاد والذي لم يأت على الاهالي الا بالتضييقات والتجاوزات، لا يمكنه ان يرضي العرب المعتادين على نمط عيش مستقل فيثير في اوساطهم الريبة والسخط، فهزيمة الفصيل التركي يحط من هيبة الحكومة التركية في اعين القبائل العربية الخاضعة، بل حتى المتعاطفة معها...، وان الحكومة التركية ألقت تبعية ثورة القبائل القطرية ضد النفوذ التركي في قطر على تشجيع البريطانيين، لان هؤلاء العرب ما كانوا يجرؤن على الثورة لولا وجود السفن الانكليزية الدائم بوجه خاص قرب البحرين، ويشتبهون حتى في تحريض البريطانيين للعرب تحريضا مباشرا وتزويدهم بالسلاح السريع الرمي»[1].

ولم تكن الصحف الروسية بعيدة عن نشر الوثائق الدبلوماسية الروسية العسكرية لبلدان الخليج العربي، في عرضها للعلاقات التاريخية بين روسيا وسكان الخليج العربي، إذ ظهرت اولى تلك الوثائق اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ففي عام 1892 نشرت احدى الصحف الروسية مقالة دار الحديث فيها عن قطر، وكتبها»ا.كروجلوف» القنصل الروسي في بغداد آنذاك، وتضمنت وصفا مسهبا للقبائل القاطنة هناك، بما فيها قبيلة بنو هاجر بقيادة آل ثاني، ونشر «كروجلوف» عام (1899) مقالة عن تاريخ الكويت، وتوصل إلى استنتاج مفاده انها كانت تميل بسياستها الخارجية إلى الدول العثمانية تارة، والى فارس تارة اخرى، لكنها ظلت مستقلة

(1) القنصلية الروسية في بغداد، وثيقة رقم 136 في 14 أبريل (نيسان) 1893، نقلا عن: مصطفى عقيل، المصدر السابق، ص 142-140.

دوما في جوهر الامر[1].

مقابل ذلك ظلت التجارة هي العمود الفقري في الحياة المعيشية لسكان الخليج والجزيرة العربية، واستمرت موانئها تستقبل السفن القادمة من بقاع عدة، وهي تتعامل مع التجار والهنود والافارقة والاوربيين من بلدان شتى، ولعل «آداموف» كان موفقا في اعطائنا صورة عن النشاط التجاري في لنجة والبصرة اواخر القرن التاسع عشر بما يأتي: «انتعشت تجارة الخليج العربي وصارت الميدان الرئيسي لتجارة اوربا في طريقها إلى بلاد فارس خلال العشرين سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر...، اما ميناء لنجة فقد تحول إلى مركز للتجارة الهندية والاوربية التي تنقل بعد ذلك إلى مسقط والبحرين وبقية الموانيء العربية، كما يؤدي دور الوسيط في نقل البضاعة الاوربية إلى كرمان وخراسان، وفي تصدير المنتجات الهندية مثل الشاي والشخاط التي تصله من مدن خراسان وهرات وكابل التي توجد فيها الوكالات الهندية، وكانت البصرة تتمتع باهمية كبرى بتجارة الترانزيت، وكان لجميع الشركات التجارية العاملة في الخليج العربي ممثلياتها ووكالاتها في الميناء، وقدرت قيمة البضائع الاوربية الواصلة عام 1897 إلى ميناء البصرة من الهند أو البلدان الاوربية بما يساوي (813، 472) جنيه استرليني»[2].

وعلى الرغم من بعد المسافة بين شبه الجزيرة العربية وسواحل

---

(1) يفجيني سيدرويوف، تاريخ العلاقات السياسية والدبلوماسية الروسية بدول المنطقة، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشرة، يوليو (تموز) 1997، ص 66.

(2) نقلا عن: التجارة الدولية في الخليج العربي، ص 115-114.

البحر الاحمر والخليج العربي، ما كان عاملا في قلة اعداد الرحالة الاوربيون، ولا سيما الروس- موضوع الدراسة- الذين وصلوا إلى تلك المناطق الصحراوية، وصعوبة نقل الأشخاص والبضائع عبر طرقها البرية، التي تحتاج إلى توفير امن وسلامة تلك القوافل من هجمات الاعراب عليها، الا ان ذلك لم يقف عائقا امام وصول بعض من الرحالة، فقد قدم لنا الرحالة الروسي «بي ستينين» - الذي كان عضوا في الجمعية الجغرافية الاميريالية في سان بطرسبرج- وصفا جغرافيا تضمن معلومات مفصلة عن جغرافية شبه الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومعالمها العمرانية وطبيعة سكانها والوافدين إليها من غير العرب، فضلا عن عرض تأريخي لبعض الحوادث التي مرت بها المنطقة بما يأتي: «إن ثلثي منطقة شبه الجزيرة العربية صحراوية قاحلة ولا توجد انهار فيها، وان اكبر الاودية هو وادي الرمة، ويمتد إلى حوالي (250) كيلومترا ولا تقل مساحته عن مساحة وادي نهر الراين (في المانيا) وتوجد في الشمال صحراء النفوذ الكبرى» حيث لا توجد آبار للمياه الا نادرا وعلى ابعاد كبيرة من بعضها البعض، لكن بها اجود المراعي، حيث ترسل المواشي هنا كل ربيع لترعى، وفي الجنوب تقع «صحراء الدهناء» حيث الحرارة مرتفعة ليلا ونهارا، وفي جنوبها «الاحقاف» ذات الرمال اللينة حيث تغوص فيها الاقدام وتبتلع الناس احياء، اما قبائلها فقد نجحت القبائل البدوية ومنها مطير[1] وبني خالد[2] والظفير وشمر في

(1) لمزيد من التفاصيل عن هذه القبيلة ينظر: مهنا الدويش المطيري، قبيلة بني مطير، مكتبة دار الفتال للطباعة والنشر والتوزيع، 1991.

(2) لمزيد من التفاصيل عن القبيلة ينظر: جزائر جليل عطيوي الوائلي، إمارة بني خالد في شرقي الجزيرة العربية (الإحساء)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2005.

تربية الخيول»[1].

ونقل لنا الرحالة «ستينين» مشاهداته في نجد مركز الحركة السلفية والمدن المحيطة بها، كالدرعية وبريدة وحائل ولنقرأ ما دونه من اخبار وثقتها رحلته: «الرياض عاصمة نجد وعدد سكانها (30,000) نسمة حولها اسوار متينة مع أبراج، وعلى البعد منها بثلاث ساعات توجد آثار العاصمة السابقة الدرعية[2] التي قام بغزوها ابراهيم باشا، وقام السعوديون بالدفاع عنها، وفي الشمال توجد ولاية شمر[3]، حيث يسكنها البدو وعددهم (400,000) نسمة، ومن مدنها: حائل يسكنها (15,000) نسمة وهي مركز لتجارة القوافل بين نجد وكل من مصر وسوريا، وبريدة وعدد سكانها (22,000) نسمة، وهي مشيخة مستقلة، ومشيخة عنيزة[4]، وتعداد سكانها (20,000) نسمة»[5].

(1) تي. ان. ليبدنسكايا، شبه الجزيرة العربية كما وصفها بي ستينين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) 2007، ص 35-34.

(2) تمكنت القوات المصرية من احتلال الدرعية عاصمة السعوديين عام 1818 وبذلك سقطت الدولة السعودية الأولى. صبري فالح الحمدي، قراءة جديدة لتاريخ الجزيرة العربية في العهد العثماني، ط1، دار الآفاق العربية، 2008، ص 33-32.

(3) استمر حكم آل الرشيد وعاصمتهم حائل التي تسمى ولاية شمر في بعض المصادر الواقعة شمال نجد حتى الثاني من تشرين الثاني 1921، بعد نجاح عبد العزيز بن سعود (1953-1902) من احتلال حائل عام 1921 واستسلام أميرها محمد بن طلال بعد حصار دام خمسة وخمسين يوما، وكان ذلك آخر العهد بأقوى إمارة في الجزيرة العربية شغلت ابن سعود ثلاثين عاما. صبري فالح الحمدي، المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبد العزيز بن سعود (1953-1915)، ط1، دار الحكمة، لندن، 2011، ص 16-15.

(4) عنيزة: وهي من أبرز القبائل العربية في وسط الجزيرة، تفرعت منها أفخاذ وأسر حكمت مناطق في الخليج العربي.

(5) تي. ان. ليبدنسكايا، المصدر السابق، ص 36.

وعلـى اثـر تجوالـه فـي مدن الحجـاز في المدة نفسـها، قدم لنا (ستينين) معلومات طيبة عن جغرافية تلك المدن وسكانها والخدمات الاجتماعيـة، اغنـت الدراسـة بنصوص حملت نكهـة خاصة عن ابرز مالفـت نظـره في رحلتـه، نقلتها الكاتبة لبيدنسـكايا ملخصة بما يلي: «مكة من احسـن المدن في الإمبراطورية العثمانية، يبلغ عدد سـكانها (120,000) نسمة حسب الاحصاءات الرسمية، غير ان هذا العدد مغالي فيـه بقـدر مرة ونصف المرة، ويشـكل العـرب ثلاثة اخماس مجموع السـكان، وخمس السـكان» ملايو» الاصل (الواقعة في جنوب شـرق آسـيا) هنـاك هنود واتراك واحباش وبعـض الايرانيين والتتر والقرغيز (من آسيا الوسطى) يحكم المدينة شريف مكة وهو يدعي انه ينتسب للرسـول (ص)...، اما جدة تقع على مسـافة (8) فرسـت[1] من مكة نحو السـاحل، نفوسـها (30,000) نسـمة، وهي تعد اكبر مدينة على البحر الاحمر، ويزورها اكثر من الف سـفينة سـنويا، بما فيها (250) باخـرة، ... وتعتبـر المدينـة المنورة هـي ثاني اكبر مدينة في الحجاز، تحتل واديا محاط بجبل احد من الشمال وخيبر من الجنوب، وتحيط المدينة اسـوار قوية في أركانها أبراج، ولها أبراج، ولها اربعة ابواب وتمتد المصابيح بطول الشـارع العريض حيث تقع القصور والمنازل علـى جانبيـه...، توجـد المستشـفى علـى ارض الاوقاف فـي المدينة وتمول من تبرعات السـلطان (العثماني) عبد المجيد (ابن السـلطان محمـود) 1839-1861 يوجـد بهـا طبيب واحد مـع صيدلي، ويتكون المستشفى من بيت ذي ثلاثة طوابق وبه (30) برجا، فضلا عن وصف

(1) فرست: تعني فرسخ باللغة العربية وحدة قياس الطول. وهو نوع من قياس المسافات البحرية وهو يعادل (4,7) كيلو مترا.

للمدارس والخدمات وغيرها»[1].

والجدير بالذكر ان الرحالة الروسي «ستينين» تجول ايضا في مدن الخليج العربي الواقعة على ساحله الغربي في المدة نفسها، وقدم لنا ما سجله من ملاحظات بشأن تلك الموانيء المعروفة بنشاطها التجاري ومزاولة سكان بعضها كالبحرين استخراج اللؤلؤ وصيد السمك بوصفها تمثل مصدر رزقهم ومعيشتهم، فضلا عن موقعها الجغرافي وتضاريس ارضها ومعالم بيوتها ومحلاتها، وفيما يأتي المدن التي زارها وما سطره حولها: «يمتد الساحل الشرقي «الإحساء» من شط العرب إلى جزر البحرين ويشكل ولاية يبلغ عدد سكانها (162,000) نسمة، اما الكويت فهي مدينة تجارية تقع بالقرب من شط العرب، يبلغ عدد سكانها (20,000) نسمة، والميزة الخاصة بالكويت هو مينائها الممتاز ويحكم البلاد حاكم عربي[2] بالوراثة....، والميناء الثاني هو القطيف، وعدد سكانها ما بين (20-30) الف نسمة وموقعها في ارض خصبة، لكن طقسها (درجات حرارة مرتفعة) مهلك للروس، وتظهر الهفوف بعيدا عن الساحل، سكانها (25,000) نسمة، وهناك المبرز وتقع بعيدا عن الشاطيء حيث يسكنها حوالي (20,000) نسمة، فيما يمتد ارخبيل البحرين بالقرب من الساحل الشرقي «من الخليج العربي» والبحرين غنية جدا حيث توجد المراعي والبساتين والعيون المائية، والمهنة

(1) تي. ان. لبيدنسكايا، المصدر السابق، ص 41-37.

(2) تولى آل الصباح إدارة الكويت منذ عام 1750 تقريبا. لمزيد من التفاصيل ينظر: صبري فالح الحمدي، الكويت نشوءها وتطورها 1871-1750، ط1، دار الحكمة، لندن، 2005.

الرئيسية لسكانها الـ(70,000) نسمة صيد اللؤلؤ وزراعة النخيل والملاحة، عاصمتها المنامة نفوسها (25,000) نسمة تقع في اوال «جزيرة» وهي أكبر جزيرة في الأرخبيل يملك سكان المدينة (140) مركبا للتجارة الساحلية و(3000) زورق لصيد السمك، تبلغ صادرات البحرين (1.220,000) روبل[1]، والواردات (927,000) روبل والدخل السنوي للشيخ الحاكم[2] يبلغ (1.830,000) روبل»[3].

وقد استكمل الرحالة «ستينين» جولته في مدن الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بزيارته إلى عمان، إذ سلط الضوء على جغرافية الاخيرة وطبيعة ميناءها لاستقبال السفن، فضلا عن الاشارة إلى المواد التي كانت تصدرها إلى البلدان الاخرى على النحو الآتي: «تقع سلطنة عمان في جنوبي شرقي الجزيرة العربية دولة امام مسقط التي تشمل تسع ولايات، يمتد الساحل الصخري العماني ما بين خليجين، اي خليج رأس الحد ورأس مسندم، ويقسم مسندم إلى قسمين، شق عريض يمكن للسفن ان تمر به، ويقع الجبل الاخضر وارتفاعه (الفا) متر على بعد من (8 إلى 15) كم منه، تمتد العاصمة في اسفل الصخور ويبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نسمة من اجناس مختلفة، يبلغ حجم تجارتها (30) مليون فرنك سنوي، وكانت الصادرات الرئيسية هي التمر والسمك وخيوط القطن واللؤلؤ والحلويات والصبغة الحمراء (للهند) والماكولات المختلفة. اما قصر

(1) الروبل: العملة الرسمية لروسيا القيصرية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والدولار الأمريكي يساوي (26.5) روبل.

(2) وهو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (1923-1869).

(3) تي. ان. لبيدنسكايا، المصدر السابق، ص 35.

السلطان فهو مزين بنقوش جميلة مختلفة، وتقع مدينة مطرح[1] غرب العاصمة «مسقط» في خليج مريح، وهي مدينة صيفية للاثرياء»[2].

وحيـن زار الحجـاز عـام 1898 النقيب «دافلتشـين» ونشـر فيما بعد تقريرا عن سـفرته، جاء به عن تجارة الرقيق ما يأتي: «ان العبيد الذين يباعون في الحجاز ينتمون إلى قوميتين لا غيرها وهما: الزنوج السود للغاية وهم من السودان ويعتبرون افضل العمال، ويسعى الناس لامتلاكهم رجالا ونساءا على السواء لاغراض العمل فقط. واما العبيد الاكثر بياضا الاحباش فيتم شـراء النسـاء لاسـتخدامهن كعشيقات...، وفـي مكـة والمدينـة لا توجـد بيت لا يضم عبـدا أو جارية من الذين يقومون بجميع الاعمال المنزلية...، وتعتمد القبائل الرحالة في الواقع على جهود العبيد في اعمالها الشاقة، وعند زيارتي لهذا المكان رايت فيه ثمانين شخصا كان اكثرهم من النساء الحبشيات الشابات...»[3].

وهنـاك رحلـة العقيـد الروسـي «عبـد العزيـز دولتشـين»[4] إلـى

(1) أشارت المصادر التأريخية إلى أن السلطات الإدارية للسلطان فيصل بن تركي في تسعينيات القرن العشرين، كانت مقصورة على مسقط ومطرح، وتميز دوره في أغلب الأحيان في إيجاد توازن سلبي بين مناطق عمان، بحيث يترك أمر الإدارة الفعلية للمناطق لرؤسائها القبليين. روبرت جيران لاندن، عمان منذ 1856 مسيرا ومصيرا، ترجمة محمد أمين عبد الله، (د. م)، 1970، ص 310.

(2) تي. ان. لبيدنسكايا، المصدر السابق، ص 36-35.

(3) ب. م. دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة وتعليق معروف خزنة دار وزارة الثقافة والإعلام، 1981، ص 339.

(4) عبد العزيز دولتشين: من مواليد روسيا في 24 حزيران 1861، وهو من عائلة ضابط في الجيش الروسي، تخرج عبد العزيز من مدرسة الإمبراطور بافل العسكرية المتميزة في بطرسبرج، تعلم اللغات الشرقية، أبدى رغبة بالحج إلى مكة ووصف الشعائر الدينية، ترجمة آيات من القرآن، أتيحت له الفرصة لزيارة الحجاز، بعدها شكلت هيئة الأركان الروسية قبل الحرب العالمية الأولى عام

الحجاز عام 1898، التي ترجمت إلى اللغة العربية، وقد عدت مصدرا مهما لكل من يتصدى لدراسة تاريخ الجزيرة العربية، لا سيما مدن الحجاز، التي تكتسب مكانة دينية بحكم احتضانها للحرمين الشريفين، وتوافد الحجاج من كل بلدان العالم العربي والإسلامي إليها، إذ وصف الحرم النبوي في المدينة المنورة بما وثقه من العبارة الآتية في 6 ايار 1898 في اثناء زيارته: «اليوم ركعنا امام قبر النبي[1] (محمد صلى الله عليه وسلم) الحرم الشريف، هنا مبنى حسب احدث منجزات علم الهندسة، ويحدث انطباعا عميقا، الاضرحة محاطة بشعيرية حديدية كثيفة والمداخن نفسها مغطاة بديباج غال، وفي وسط جنينة الحضرة الصغيرة، وبقربها بئر فاطمة، المدينة تطوق الحرم الشريف لصقا، لاجل النساء مكان خاص مسيج»، وفي 8 ايار رحنا اليوم منذ الصباح نحو (5) فرستات إلى قبر حمزة (عم النبي محمد صلى الله عليه وسلم) وهو من انصار النبي (ص) وقد لقي مصرعه في هذا المكان حيث شن المكيون الكفار هجوما، ثم عدنا في ساعة متأخرة»[2].

وتحدث دولتشين عن انطباعاته حيال سكان المدينة المنورة من

1914 اللجنة العسكرية العلمية لديها لتتولى إصدار (مجموعات المواد الجغرافية والطوبوغرافية والإحصائية عن آسيا) وحين وصل الحجاز دون يومياته عن مدنها ووصف مكة المكرمة والمدينة المنورة بمعلومات تاريخية واقتصادية تتعلق بالجزيرة العربية والحج أواخر القرن التاسع عشر. ينظر: الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين إلى الحجاز سنة 1899-1898، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008، ص 8-5.

(1) يقصد به ضريح النبي (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة.

(2) الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين إلى الحجاز سنة 1898، ص 107.

حيث لباسهم، فضلا عن الآخرين الذين وفدوا لاداء فريضة الحج من العرب وغيرهم، ووثق ما شاهده في زيارته المدينة كالآتي: «البدو في قمصان مقلمة سوداء (عباءات) مدججين بالسلاح على رؤوسهم المناديل (العقالات) حفاة...، وجوههم صغيرة، عيونهم حية جدا، الجميع سمر شيوخ البدو والملتزمون بتقدير الجمال لاجل الحج يجلسون بمهابة في المقاهي، اليوم يوجد ايضا عدد كبير من السوريين، وهم حسنوا السلاح والالبسة، وهناك ايضا مصريون مع نساءهم، وجميعهم طويلوا القامة، نحيلون، في شملات سوداء طويلة من قماش خفيف، على وجوه الرجال والنساء وفرة من الوشم، وهناك ايضا كثيرون من الفرس وهم بمعظمهم يعودون من هنا عبر السهب إلى البصرة وكربلاء ينقلهم بدو تلك الانحاء...»[1].

يمكننا القول في ضوء ما تضمنته الصفحات السابقة مدى اهتمام الرحالة والبحارة والقناصل الروس وغيرهم، الذين جاءوا بمهمات مختلفة إلى الخليج والجزيرة العربية ما يجري من احداث سياسية، مع رصد لاوضاع السكان المعيشية وبيان موارد رزقهم وفي مقدمتها التجارة، وعلاقة الشيوخ بالقوى المحلية المتمثلة بالدولة العثمانية وبلاد فارس، كذلك مع القوى الدولية كبريطانيا والمانيا وروسيا المؤثرة في تطورات المنطقة، ومدى ترحيب سكانها بالروس الوافدين، وتسجيل هؤلاء ما يقع امام اعينهم من ظواهر في الحياة الاجتماعية لسكان الخليج والجزيرة العربية، حتى تمكنوا من الاطلاع على عاداتهم وتقاليدهم ومدى ترحيبهم بالضيوف الاجانب، ما يعطينا

(1) المصدر نفسه، ص 119-118.

ادلة مضافة على اهمية المصادر الروسية بوصفها رافد مهم لدراسة تاريخ المنطقة.

اما سكان الحجاز الذين شاهدهم الرحالة»دولتشين» فترجم ما دار في خاطره وما سجله من آراء ووصف لما كانوا يلبسونه، وتوزيع قبائل[1] الحجاز الجغرافي، وفيما يأتي نص ما ذكره: «يتألف سكان الحجاز من مختلف قبائل الحجاز، وهناك كثيرون من الزنوج والاحباش الذين صاروا بينهم بوصفهم عبيدا، مجمل عدد السكان بين (700–800) الف نسمة، ينقسم البدو إلى كثرة من القبائل التي يشرف على كل منها شيخها والتي تشغل كل منها منطقة معينة للترحل، وهناك قبائل غالبا جدا ما تعادي فيما بينها، وتهاجم بعضها بعضا، البدو الرحل يربون الماشية ويتعاطون الزراعة ايضا إذا سمحت الظروف، اثناء اشهر الحج ينصرف كثيرون منهم إلى نقل الحجاج وامتعتهم، وسكان السواحل بوصفهم بحارة ماهرين يمارسون النقل الساحلي على زوارقهم الشراعية، كما يمارسون صيد السمك واستخراج المرجان واللؤلؤ والصدف والمحار...، البسة البدو بسيطة جدا، قميص حتى الركبة، واسعة الكمين، على الرأس دائما منديل قطني كبير مثبت بحزام خاص مسمى»عقال» وبهذا المنديل يغطي اذنيه وكذلك انفه في غالب الاحيان، فوق القميص يلقي عباءة صوفية سوداء عريضة باشرطة بيضاء نادرة...، يحمل البدو

---

(1) تعد قبيلة حرب أبرز قبائل الحجاز وهي تتحكم في المنطقة ما بين الحرمين الشريفين، وهناك قبيلة عنزة، فضلا عن قبائل هذيل وعتيبة وثقيف والمطير وسبيع وغيرها.

-David George Hogarth; Hejaz Before Word I, New York, 1979, p. 43.

دائما الاسلحة، في اليدين بندقية شطف (بقداحة) أو بندقية بفتيل أو رمح، على الكتف أو على الظهر يتدلى سيف ذو حد واحد أو سيف ذو حدين، على حزام جلدي فرد وخنجر ولوازم معدنية مختلفة لحفظ البارود والرصاص، ترتدي المرأة قميصا اسود طويلا، ومنديلا على الرأس من اللون نفسه، وتغطي وجهها ادنى من خط العينين بقطعة من القماش الاسود، ومسكن البدو عبارة عن نموذج خفيف جدا من خيمة من نفس القماش الاسود الذي يخيطون منه العباءة، المواد الغذائية الرئيسية هي منتوجات تربية المواشي والبلح، وعند عرب السواحل السمك، الغذاء الاكثر استعمالا اللبن، الطعام اللذيذ هو التمر مع السمنة...»[1].

ويزودنا الرحالة «دولتشين» بانطباعاته في عام 1898 عن المواد التي يتم تبادلها تجاريا بين سكان المدن والبدو، مذكرا بأهم البضائع في تلك التجارة، وموضحا الصناعة عند السكان واصحاب الحرف المتنوعة، وبذلك يزود الباحثين بمعلومات نادرة عن الحياة الاقتصادية[2]، التي يروم الكثير من الدارسين تناولها والكشف عن جوانبها على النحو الآتي: «سكان السواحل يبيعون من التجار الكمية التافهة من اللآلئ والمرجان والصدف وعظم السلاحف وما إلى ذلك التي يستخرجونها من البحر، واصحاب البساتين الواقعة على طرق الحج الكبيرة يتعاطون بيع الحناء وبلسم والفلسنك والتمر من الحجاج، والتجارة الباقية كلها تتلخص في تزويد المدن بالمحروقات

(1) الرحلة السرية للعقيد عبد العزيز دولتشين، ص 140-138.

(2) نشير إلى عدم وجود دراسات تاريخية عن أوضاع الحجاز الاجتماعية والاقتصادية - قدر علمنا - في دراسات أكاديمية ورسائل جامعية بالمدة الزمنية المذكورة.

والخضروات والمؤن وغير ذلك، في الانحاء التي تتواجد فيها البساتين يجدلون ببالغ التفنن من اوراق النخيل الحصائر والمراوح والحبال، يصنعون اقمشة صوفية سميكة لاجل المعاطف والخيام والاكياس، ويحيكون رحالا كبيرة مزدانة بكثرة من الشراشيب لاجل الهواجن، وهناك حرفيون حاذقون يصنعون الاسلحة وشتى الحلي الفضية، ولجميع هذه الاشياء تصريف محلي حصرا»[1].

ومن المفيد ان نذكر في هذه الصفحات الافكار التي سجلها «دولتشين» عن اوضاع الحجاز السياسية وعلاقته بالدولة العثمانية، مع الاشارة إلى كيفية ادارتها لمدن الحجاز والحاميات العثمانية المتواجدة على بعض الطرق، لا سيما بين مكة المكرمة وجدة الميناء المطل على البحر الاحمر اواخر عام 1898 بقوله: «ان سلطة الحكومة العثمانية لم ترتكز الا على القوة المسلحة، ولا تبتديء الا في النقاط التي ترابط فيها القوات المسلحة، وهذا يعني ان الاتراك لا يملكون غير المدن، وكذلك بنحو ما الطريق بين مكة وجدة التي تحميها مخافر متعددة. لكن سلطتهم في هذه النقاط ايضا لا تحظى بالمكانة اللازمة، وفي غضون اربعة اشهر من امتلاك الحجاز لم يقم الاتراك اية صلات بينهم وبين السكان المحليين، والعلاقات بين الطرفين لا تزال علاقات عداء وعدم ثقة، وجميع الاتراك الذين تسنى لي ان اتحدث معهم كانوا يضمرون خوفا وكرها خاصا حيال البدو...، كانت السلطات الادارية تتميز في غالب الاحوال باعمال الابتزاز والاضطهاد. اما اعمال العساكر، فقد كانت على الدوام

---

(1) الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين، ص 144-143.

فـي منتهـى التـردد، ولـذا لا يكـن البدو حيالها ما يلـزم من الخوف والاحترام»[1].

ولعل من الطريف ان تكون رحلة دولتشين قد ضمت بين دفتيها تفاصيل عن بيوت مكة المكرمة، والمواد التي تبنى منها، واهلها وهم مـن اجنـاس عـدة والمدن الاخرى، وهو يقـول: «ان البيوت في مكة مبنية في المعتاد من ثلاثة طوابق مع انه توجد كذلك بيوت من (4) أو (5) طوابق، الهندسة المعمارية اصلية جدا، جميع الجدران تحفل بصنوف من نوافذ نائتى تسـمى «مشـربية». اما مادة البناء فهي الحجر الاسـود والآجـر المحـروق المرصوصـان فـي الاغلب علـى الطين، وكذلك الخشـب المسـتورد على الاغلب من جزر الزوند والخشـب الروسي (الالواح) المستورد من القسطنيطينية، والبيوت مبنية الواحد بلصـق الآخـر دون فتحـات، الطابـق الاسـفل ليس معدا فـي المعتاد للسـكن ويسـتعملونه لاجل ايداع الاشـياء الضخمة، والطوابق العليا تتشكل من شقات غير كبيرة، كل شقة من غرفتين أو ثلاث ومعزولة تماما عن الشقات الاخرى ومزودة بالمرافق اللازمة...، وسكان مكة الدائمييـن فهـم خليـط من ابناء جميع القوميات التي تدين بالإسـلام، وعـدا السـكان المحلييـن العـرب الذيـن يؤلفون زهـاء ثلاثة اخماس عـدد السـكان الاجمالـي، يوجـد هنا عدد كبير مـن الماليزيين الزنوج والاحبـاش والمصرييـن والهنود والعرب والافارقـة، وكذلك الاتراك والفرس وينتمي قليلون إلى سـكان البلد الاصليين معظمهم قادمون من الخارج واستعربوا كليا مع مر الزمن»[2].

---

(1) الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين، ص 146.

(2) الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين، ص 179 وص 183.

يمكننا القول باعتماد الرحالة «دولتشين» اسلوبا في تدوين ملاحظاته عن تلك المدن معتمدا على توثيق اكبر عدد من النصوص التاريخية، وهنا يتحدث عن مدن اخرى في عام 1898 على النحو الآتي: «تقع الطائف[1] في محلة مكشوفة على السفح الشرقي من جبل القرى، تحيط بها بساتين كثيرة، يخص قسم منها سكان المدينة، وقسم آخر بدو الضواحي، وهي تشبه مكة من حيث الشوارع ومعمارية البيوت، وحول الطائف ينتصب نور حجري له (3) بوابات يغلقونها ليلا، وعدد السكان الدائميين فيها الف وخمسمائة...، وتعد المدينة المنورة هي المدينة الثانية من حيث الكبر في الحجاز ومن حيث الاهمية في العالم الإسلامي، وهي مطوقة بسور حجري تنتصب أبراج في زواياه وقرب بواباته الاربع، وقد بنى السور في عام 1535 وتم تجديده عند انتهاء حركة الوهابيين، يبلغ عدد سكان المدينة بموجب المصادر العثمانية[2] (80000) نسمة، يتألف السكان من عناصر متنوعة...، وهناك ينبع وهي الاقرب مرفأ إلى المدينة

(1) أدى موقع الطائف لتوسطها في بلاد العرب وأرضها الزراعية واعتدال مناخها حتى صارت بمثابة مصيف مكة المكرمة التي تقع الطائف شرقها، وتعتبر سلة فواكهها وحبوبها. عبد القدوس الأنصاري، الطائف تاريخا وحضارة مصادر ثراء وآثارا واعلاما وعلماء وشعراء، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، جدة، 1978، ص 5-4.

(2) خضع الحجاز للسيطرة العثمانية بعد إرسال الشريف بركات بن محمد (1512-1524) ابنه أبو نمي حاملا معه مفاتيح مكة المكرمة وهدايا أخرى، إلى السلطان سليم الأول الذي رحب بقدومه وأكرمه، وكان لوالي جدة العثماني تأثير في أوضاع البلاد. صبري فالح الحمدي، أشراف الحجاز، ص 30.

- Randall Baker; Kinghusain and the Kingdom of Hejaz, the Oleander press, New York, U.S.A., p. 2.

المنورة، بيوتها من الهندسة المعمارية المتوجدة في مكة، ولكن مع فارق وحيد هو ان جميع الطوابق السفلى في ينبع مأهولة، والبيوت متزاحمة في الجانب الجنوبي من المحلة المحاطة بالسور، اما في القسم الشمالي من المدينة فان المباني موزعة على نطاق واسع دون اي نظام، وفي الطرف الشرقي تقوم بنايات غير سكنية يستعملونها لجمع الماء وحفظه، ويعيش (5000) نسمة من سكانها الدائميين، وشغلهم في زمن الحج ممارسة التجارة اما في الوقت العادي فيتعاطون صيد السمك والملاحة الساحلية وما إلى ذلك والتجار القادمون من مصر وجدة والمدينة المنورة في زمن تدفق الحجاج هم تجار اكبر من تجار ينبع، تنطلق السفن من ينبع إلى مرافيء البحر الاحمر الاخرى بما فيها السويس والحديدة...، وجدة تعتبر ام مرفأ على ساحل البحر الاحمر، وعبره تمر حركة الحجاج الرئيسية وهي تشبه كثيرا من حيث طابع عماراتها ومواقع الشوارع والحالة الصحية يبلغ عدد سكانها زهاء (20000) نسمة، بينهم زهاء (50) اوربيا، والسكان يتعاطون على الاغلب التجارة ثم صيد السمك واستخراج اللآلئ والمرجانات من البحر والملاحة الساحلية وبناء السفن»[1].

ومن الامور الجديرة بالدراسة وعدت ذات اهمية في التوجهات الروسية صوب الخليج والجزيرة العربية، وتزايد الاهتمام الروسي بالمنطقة، هو ما نلمسه في تزايد اعداد الحجاج الروس إلى الاماكن المقدسة في الحجاز عام 1898، الامر الذي كان عاملا مساعدا في معاونة الباحثين بالحصول على نصوص تأريخية خاصة بتاريخ

---

(1) الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين، ص 203 وص 225-222.

المنطقـة، لـم تتوفـر فـي المصادر الاخرى، ومن دراسـة التقارير التي كتبها الروس: «عرفنا عدد الحجاج في كل عام، ففي عام 1898 ذكر «دافلتشـين» ان عددهـم بلـغ حوالي (8000) نسـمة، ويشـكل العرب نحـو ثلاثـة اخمـاس هـذا العـدد، ومعظـم سـكان مكة مـن الوافدين الذين استوطنوها، واهل مكة كرماء ويستضيفون الحجاج، وقلما نجد منهـم مـن يعرف القراءة والكتابـة، ويعمل اكثرهم في خدمة الحجاج كمرشدين ومطوفين، ويضيف: «وفي عام 1898 قدم إلى مكة (450) حاجا روسيا اغلبهم من كبار السن ومعظمهم من الاغنياء والملاكين ورجـال الديـن، وكانـت رغبتهم ان ينالوا احترام الناس بحملهم لقب (الحاج) وتدوم الرحلة نحو سنتين لصعوبة المواصلات»[1].

على ان زيارة السفينة التجارية الروسية «غيلياك» إلى مدن الخليج العربي اواخر عقد التسعينيات من القرن التاسع عشر، وما احتواه تقرير قائدها المقدم البحري (اندريفيوس) من معلومات سياسية واقتصادية واجتماعيـة عـن تلـك الزيارة ورد الفعل البريطانـي ازاء زيارتها يمثل رافدا جديدا يزود الباحثين الذين يرومون التصدي للنشـاط الروسـي والافـادة ممـا تضمنته خزائن وثائقه بشـأن اغناء الدراسـات التأريخية المتعلقـة بموضـوع البحـث، وفيمـا يأتـي نـص مـا اورده عند دخول السفينة بندر عباس في 6 شباط 1899: «المرفأ الاول للخليج العربي الذي دخلته السـفينة «غيلياك» كان بندر عباس، واثار وصول السـفينة اهتمـا شـديدا لـدى السـكان المحليين، وهي تسـتقبل علـى متنها في اليـوم الواحـد (100) زائـر مـن العـرب والهنـدوس والايرانييـن، غير

(1) علي أبا حسين، من العلاقات الثقافية بين روسيا ودول الخليج العربي، ص 180.

ان العلاقات مع السلطات الايرانية التي استقبلت السفينة بالحفاوة بادىء الامر تأزمت بصورة غير منتظرة، فعلى اثر دخول «غيلياك» بندر عباس كان ينبغي لمركب بريطاني محمل بالفحم ان يدخل هذا المرفأ وفق اتفاقية مع شركة بومباي، وعند ذلك طلب قبطان «غيلياك» «اندريفيوس» من الحاكم العام الايراني السماح له مؤقتا ان يترك على الساحل ذلك الجزء من الفحم الذي لا تستطيع السفينة ان تاخذه على متنها، وذلك بحيث تتمكن من اخذه لدى عودتها من الجولة في الخليج (العربي) وافق الحاكم العام بادىء الامر ولكنه رفض فيما بعد بذرائع مختلفة، وفي النهاية اضطر «اندريفيوس» لتحميل الفحم كله في السطح العلوي، مما ادى إلى جعل منظر السفينة المطلية بالدهان الابيض منظرا قبيحا، والى زيادة سوء قدرتها على الابحار، وكما تبين فيما بعد فان رفض الحاكم العام كان نتيجة للدسائس والتهديدات من جانب الانكليز، فقد تسنى لاندريفيوس ان يتوضح من مصادر مختلفة انه حالما علم الانكليز بان (غيلياك) اتجهت نحو الخليج العربي وان مركبا محملا بالفحم يتجه إلى بندر عباس، قامت القنصلية العامة البريطانية في بوشهر بنشاط محموم، فقد ارسلت إلى بندر عباس الطراد» بومونيه» الذي قام قبطانه باخافة الحاكم العام من ان الروس سيضعون حراسة مسلحة لحماية الفحم، وان ذلك سيكون الخطوة الاولى لاحتلال بندر عباس من جانب روسيا، وكانت سفن الاسطول البريطاني في الخليج (العربي) بعد تعزيزها بطرادين ترافق «غيلياك» في جميع المرافيء التي تدخلها، ساعية حينما تسنح الفرصة إلى عرض قوتها، وعلاوة على ذلك طلب الانجليز من الشركات الاجنبية في مرافيء الخليج (العربي) عدم بيع اي شيء للروس،

وحتى زيت الشحم لم يتمكن قبطان «غيلياك» من شرائه الا بفضل وساطة قبطان خفر السواحل الفارسية «بيرسيبوليس»[1].

توجهت «غيلياك» إلى المحمرة[2] على الساحل الشرقي من الخليج العربي ويصف قبطانها ترحيب شيخ المحمرة بقدوم السفينة ورسوها في الميناء، وكان يأمل بالحصول على دعم روسي في مواجهة الضغوط البريطانية بقوله: «لقد اجرى القنصل الروسي في بغداد (كروغلوف) محادثة مع الشيخ خزعل الذي كان يعول على المساعدة الروسية في محاولاته لمجابهة تدخل الانكليز الذين كانوا يطالبونه بدفع مبلغ فوق طاقته لقاء مساندة كفاحه ضد السلطات الايرانية في سبيل الاستقلال الذاتي الداخلي، وفي معرض حديثه عن الانكليز اعلن خزعل لكروغلوف: ليس لدى هؤلاء المتكبرين قلب ولا نبالة، ان كل شيء لديهم منوط بالنقود، ولذا يستحيل تصديقهم، كما يحتوي التقرير على بيان الوضع السياسي في المحمرة، ومما جاء فيه: «ان الشيخ خزعل كان، خوفا من عمليات يحتفظ في قصره بحرس مسلح قوامه (1000) شخص، علما بان اثنين أو ثلاثة منهم كانوا يرافقونه في كل مكان، وخوفا من الاختطاف السري لم يقم في

(1) أرشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف السفارة في القسطنطينية، إضبارة رقم 1244، ص 40-39، نقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي 1899-1903، إعداد ي. ريزفان، دار التقدم، موسكو، 1990، ص 10.

(2) كان حاكم المحمرة الشيخ خزعل بن جابر وقتذاك (1897-1925) . لمزيد من التفاصيل عن أوضاع المحمرة في عهده وعلاقته مع بريطانيا والدولة العثمانية ينظر: ويليام ثيودورسترانك، حكم الشيخ خزعل بن جابر واحتلال إمارة عربستان، ترجمة عبد الجبار ناجي، ط2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006.

يوم من الايام بزيارة سفينة اجنبية، ولذا لم يزر سفينة «غيلياك» ايضا، وارسل ابن شقيقه نيابة عن نفسه، ولم تكن تخوفات الشيخ في غير محلها، إذ إن سكرتيره الشخصي وقبطان يخته التجاري، كانا في رأي «كروغلوف» مخبرين مأجورين للانكليز»[1].

مقابل ذلك كشفت الوثائق الروسية وما كتبه الرحالة والحجاج الروس عن الكثير من المعلومات، منهم من ذكر احصائيات لعدد سكان الاماكن المقدسة والتي اغفلت ذكرها كتب التاريخ، فان تقرير الكابتن «دافلتشين» الذي كتبه عام 1899 حيث زار الحجاج، ذكر ان عدد سكان مكة المكرمة يتراوح بين (70,000-80,000) نسمة، وكان العرب يشكلون معظم هذا العدد والباقي من جنسيات اخرى، ويصف احوالهم وصفاتهم البيولوجية وعاداتهم والمهن التي يزاولونها وقلة المتعلمين منهم، ثم المواد المستوردة لسد حاجة الحجاج الذين يفدون كل عام إلى مكة المكرمة والعملة المتداولة، فضلا عن تزويدنا باشارات مهمة تلقي الضوء على الاحوال الاجتماعية والامنية في عهد الاشراف والعثمانيين»[2].

ونختم محتويات هذا الفصل من الدراسة بما افادنا به الاشارة في خضم تنافس القوى الاوربية (بريطانيا- المانيا- روسيا) للاستحواذ على الخليج والجزيرة العربي- من نصوص قيمة عن ولاية البصرة والمدن المجاورة لها. من الشمال حيث العمارة والناصرية، والى الجنوب الكويت وقطر بوصفها من توابعها خلال فترة الحكم

(1) أرشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف السفارة في القسطنطينية، إضبارة رقم 1244، ص 52 وص 56-55، نقلا عن: سفن روسية، ص 12.
(2) نقلا عن: علي أبا حسين، المصدر السابق، ص 18-17.

العثماني لتلك المناطق نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (السكندر- آداموف)، وهو واحد من ديبلوماسي روسيا القيصرية المعروفين، عمل في تلك المدة من تاريخ العلاقات بين روسيا والبلاد العربية التي شهدت نموا ملحوظا في مجالات عدة، قنصلا لبلاده في البصرة، وكتابه هذا الذي صدر في سان بطرسبرج عام 1912 له اهمية خاصة، كون معلوماته تعد حصيلة لاطلاع المؤلف على عدد واسع من المصادر والمراجع الروسية والفرنسية والالمانية والانجليزية القيمة، التي تتعلق بالمواضيع المختلفة التي يعالجها الكتاب، فضلا عن المصادر العثمانية، وملاحظات المؤلف ومعايشته للاحداث، وقد ترجمه إلى اللغة العربية الاستاذ الدكتور هاشم صالح التكريتي.

ونقتبس هنا وصف آداموف الجغرافي في الربع الاخير من القرن التاسع عشر لمدينة البصرة وحدودها والمدن التابعة لولاية البصرة، مع تعريف واضح لوضعها السياسي وعلاقتها بالدولة العثمانية وباشا بغداد، ومرافقها الصحية والخدمية بشيء من الاختصار، واليكم نص ما ذكره: «لم تكن البصرة حتى الربع الاخير اكثر من جزء من باشوية بغداد التي تمتد من الخليج العربي حتى مدينة ماردين طولا ومن كردستان وجبال فارس حتى صحراء شبه جزيرة العرب عرضا، تبلغ مساحة ولاية البصرة بما في ذلك الحساء والقطيف وقطر ما يقرب من (130,000) كم، حين تقدر المعطيات العثمانية التأريخية الواردة في الحوليات الرسمية الخاصة بولاية البصرة هذه المساحة

بـ (150,000) كم»[1].

ثم تجول في العمارة والناصرية، وسجل لنا مشاهداته عن تلك المدينتيـن، مـن الناحيتين الجغرافية والسياسـية، وعلاقـة قبائلها، ولا سيما المنتفق[2] بالدولة العثمانية ووالي بغداد على النحو الآتي: «تعد العمارة المدينة الثانية بعد البصرة، تقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة على بعد (170)كم تقريبا اعلى مدينة البصرة، تأسست عام 1836 بامر من والي بغداد العثماني محمد نامق باشـا[3]، اما الناصرية فتقع على الضفة اليسـرى للفرات عند مصب شـط الحي فيه، على بعد (170) كم إلى الغرب من البصرة، تأسست في سبعينيات القرن التاسع عشر، بعد ان عمل مدحت باشا والي بغداد على استمالة الشيخ ناصر باشا السعدون وتهدئة المنطقة وترسيخ سلطته عن طريق الشيخ المذكور، علـى موافقـة اسـطنبول على فصـل الاراضي التي يقطنهـا المنتفقيون وجعلهـا منطقـة قائمـة بذاتها يوضع على رأسـها الشـيخ ناصر، الذي

(1) السكندر آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، دار الوراق، لندن، 2009، ص 14-13.

(2) المنتفق: قبائل معروفة يشمل نفوذها كل بادية العراق (البرية)، أما النهرية فكانت تشمل كل شط العرب مصعدة في الفرات إلى ما وراء السماوة، وأدت المنتفق دورا مهما في أحداث العراق الحديث، سلمان فائق، تاريخ المنتفق، نقلها إلى اللغة العربية محمد خلوصي الناصري، مطبعة المعارف، بغداد، 1961، ص 10-9.

(3) تذكر المصادر التأريخية تولي محمد نامق باشا ولاية بغداد مرتين، الأولى بين سنوات (1853-1851) والثانية بين سنوات (1867-1862) ونرى أن تأسيس العمارة ليس في عام 1836 كما ورد في المتن، وإنما ضمن السنوات اللاحقة المبينة في ولاية نامق باشا الثانية وبالتحديد في عام 1863.فردوس عبد الرحمن كريم، لواء العمارة في العهد العثماني 1914-1861، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، 1998، ص 32.

حصل في الوقت نفسه على لقب باشا ورتبة متصرف عثماني، وقد قرر المدير الجديد ان يؤسس مدينة جديدة لتكون مقرا له، فحاول ان يجد لها موضعا ملائما للمحافظة على طاعة المنطقة التابعة له، وكذلك لصد هجمات القبائل المعادية للمنتفقين، وخصوصا الشمريين، وبعد ان بنى ناصر باشا في المكان الذي اختاره قلعة واسعة وحصينة وألحق بها ثكنات بدأ بتشييد مدينة جديدة حولها سميت» الناصرية» نسبة إلى مؤسسها»[1].

وانتقل آداموف إلى الكويت التي بين مكانتها التجارية، ثم وصف لنا الاحساء، فضلا عن معلومات عن قطر بشأن تضاريسها الجغرافية ووضعها السياسي وعلاقتها بالدولة العثمانية بما يأتي: «تحتل الكويت[2] اهمية تجارية، فهي الميناء الوحيد لدواخل شبه الجزيرة العربية، ومنها تتجه يوميا تقريبا القوافل المحملة بمختلف البضائع إلى نجد وحائل، وهي المورد لبضائع التهريب المختلفة وبالدرجة الاولى طبعا الاسلحة المختصة للقبائل التي تسكن العراق العربي والتي تنقل إليها عن طريق الزبير، كما ان نقل البضائع التجارية المختلفة التي تمنع الحكومة العثمانية تصديرها مؤقتا من العراق العربي إلى الخارج، كالحبوب والخيل مثلا يتجه ايضا إلى الزبير فالكويت، ذلك ان الكمارك التركية لا تمتلك في هذه الاخيرة فرعا خاصا أو حتى وكيلا، وهناك الاحساء التي يطلق اسمها على كل الشريط الساحلي الذي يمتد من خليج الكويت محتضنا منطقة

(1) السكندر آداموف، المصدر السابق، ص 49 وص 54-53.

(2) R.H. Sanger; Arabian Peninsula, Cornell University press, Ithaca, New York, 1954, p. 150.

القطيف الساحلية وواحة الحسا وشبه جزيرة قطر، وتؤلف هذه المناطق الثلاث جميعها سنجقا واحدا يطلق عليه الاهالي هناك اسم «سنجق الاحساء» علما بان اسمه في الوثائق التركية الرسمية وكذلك في الحوليات الخاصة بولاية البصرة «سنجف نجد»[1].

واختتم آداموف جولته في تلك الربوع بالحديث عن قطر بقوله: «يبلغ طول شبة جزيرة قطر مائة وعرضها خمسين ميلا، تتكون من سلاسل من التلال الجرداء الواطئة تختفي بالقرب من البحر لتحل محلها رمال متحركة غرينية، ومن الجهة الاخرى من التلال سهل اجرد يمتد حتى واحة الهفوف، تتنقل فيه قبيلتان معروفتان هما: آل مرة والمناصير، والقرى في شبه جزيرة قطر عبارة عن مجموعات صغيرة متناثرة ومتباعدة عن بعضها من المساكن المحفورة في الارض ومن الاكواخ التي تصنع من سقف النخيل وتحاط حتما باسوار لحمايتها من هجمات البدو، وتبنى فضلا عن ذلك على التلال التي تحيط بكل قرية أبراج خاصة محصنة يصل ارتفاعها إلى ثلاثين قدما يلجأ إليها السكان عندما تباغتهم احدى الهجمات البدوية، إذ يصعدون بواسطة سلم من الحبال إلى منتصف البرج، حيث توجد فتحة يدخلون منها، ثم يواصلون صعودهم بواسطة الدرج فيقطعون بذلك على مطارديهم سبيل الوصول إلى ملجئهم، ويتركون لهم كغنائم مواشيهم ودوابهم وجميع الامتعة التي لم يتمكنوا من اخذها معهم إلى البرج...، وتبدو البدع عاصمة شبه جزيرة قطر كواحدة من هذه القرى وان كانت اكبر حجما يقطنها (6000) نسمة ويقوم في

(1) السكندر آداموف، المصدر السابق، ص 66-65.

وسط المدينة بناء يشبه برج السجن هو قلعة حاكم البدع، ولشيخ قطر الذي يحمل اعتبارا من 1871 لقب قائمقام ويرفع على قلعته العلم العثماني، ويحتفظ في العاصمة بفصيل من القوات النظامية العثمانية يبلغ تعداده (250) شخصا، وبسبب من ان شبه جزيرة قطر قاحلة كليا فان سكانها يعيشون على البحر الذي يقدم لهم السمك كغذاء ويوفر لهم وسيلة للعيش الرغيد، ونعني الرزق الذي يتأتى من استخراج اللؤلؤ، ويقضي القطريون نصف عامهم في صيد اللؤلؤ[1]، في حين يصرفون النصف الآخر في صيد السمك، بحيث انهم إذا توخينا الدقة يقضون كل وقتهم تقريبا على ظهور سفنهم ولا يعيش على الساحل الا النساء والاطفال والشيوخ»[2].

نستنتج من عرض الصفحات السابقة ان الخليج والجزيرة العربية قد حظيت باهتمام روسيا القيصرية، التي راحت توجه انظارها نحو المنطقة منذ سنوات قديمة، وتزايد ذلك الاهتمام في القرن التاسع عشر، ولا سيما النصف الثاني منه والعقد الاول من القرن العشرين، متخذا اوجه عدة، من وصول رحالة وبحارة روس إلى مياه الخليج العربي، فضلا عن مجيء اطباء ومهندسين وعاملين في المجال الدبلوماسي كانوا يعملون في القنصليات التي تم انشاءها في بعض تلك المدن، وهؤلاء حرصوا على تدوين مشاهداتهم ووثقوا لنا ملاحظاتهم الجغرافية والاجتماعية عن المدن التي زاروها، فضلا عن تزويدنا بمعلومات عن التطورات السياسية هناك، مما عد اضافة

(1) Admiralty War Staff, Intelligence Division, Ahandbook of Arabia, Vol. 1, May 1916, p. 313-327.

(2) السكندر آداموف، المصدر السابق، ص 79-78.

جديدة إلى المكتبة العربية التي هي بحاجة للاطلاع على السياسة الروسية وتوجهاتها نحو عموم المنطقة.

يمكننا القول في ضوء استقراء معلومات ما دونه الروس الذين وفدوا إلى الخليج والجزيرة العربية، ولا سيما الحجاج منهم، ومثلت مذكراتهم مصدرا لا غنى عنه لمن يتصدى لدراسة تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، بوصفهم شاهدي عيان للظواهر التي لمسوها بانفسهم، ومعاصرين لاحداث المنطقة، ونجحوا إلى حد كبير في اغناء المؤرخين والباحثين الذين يرومون البحث في موضوعات اكاديمية بالكم الوافر من تلك النصوص التي من شأنها ان تعزز المحتوى العلمي لتلك البحوث والدراسات التاريخية.

الاستنتاجات:

خلصت الدراسة إلى بيان الامور الآتية:

1. ان التوغل الروسي في الخليج والجزيرة العربية تزامن مع دعوات رسمية اطلقها الروس وتتمثل بضرورة توجه البلاد نحو المياه الدافئة كجزء من استراتيجية سياستهم الخارجية، وجرت محاولات بهذا الخصوص، جسدتها تصريحات حكومية، اقترنت بوصول سياح وتجار روس من موسكو ومدن اخرى عبر موانيء البحر الاسود منذ القرن الخامس عشر الميلادي والسنوات اللاحقة، وزيارتهم لمدن هرمز، مسقط، عمان، وتمكن بعضهم من الوصول إلى دواخل الجزيرة العربية، لا سيما الحجاز، وقد اعطونا وصفا دقيقا لاوضاعه الاقتصادية والاجتماعية وحكم الاشراف وعلاقتهم مع القبائل، فضلا عن

الدولة العثمانية، وطبيعة الوجود العثماني هناك.

2. بـرز مـن البحـث ان بعـض المصادر الروسـية انسـاقت وراء ما ذكرتـه الاوسـاط الحكوميـة البريطانيـة، التـي اشـارت إلى قيام العرب باعمال القرصنة على حركة الملاحة في الخليج العربي، بقصد مهاجمة السـفن البريطانية، وبخاصة القواسـم، وهو الامر الذي تفنده الحقائق على ارض الواقع، إذ إن التدخل البريطاني بشـؤون المنطقة اثار اسـتياء العرب الذين ابدوا مقاومة شـرعية ضد الوجود الاجنبي في بلدانهم.

3. ويلاحظ توثيق المصادر الروسية على اختلاف مسمياتها الاوضاع والتطورات السياسية في الخليج والجزيرة العربية، وفي مقدمتها رصدها لاحداث عمان الداخلية والنزاع العسكري بين الامامة والسـلطنة، ودور بريطانيـا فـي مجريـات ذلـك النـزاع، ونجـاح مبعوثيهـا بحـارة وتجـارا وعلمـاء طبيعـة، فضـلا عـن القناصل العامليـن فـي المـدن والموانيء التي عملوا فيهـا، والذين نقلوا لنا عما شـاهدوه من احداث سياسـية في قطر وعلاقة شـيخها قاسم بن محمد آل ثاني مع الدولة العثمانية وموقف بريطانيا من ذلك النزاع، حتى ان بعضهم دون آراءه بشـأن الحركة السـلفية نشوءها في نجد وانتشارها في اجزاء اخرى من الجزيرة العربية، وهي تقع في عمق اراضي صحراوية بعيدة عن جدة المطلة على سـاحل البحر الاحمر، أو الاحسـاء الواقعة على سـاحل الخليج العربي.

4. اسـتخلصت الدراسـة نتائج طيبة بحصولها على معلومات قيمة

استقاها الحجاج الروس الذين زاروا الحجاز لأداء فريضة الحج للاماكن المقدسة، وهؤلاء نقلوا لنا وصفا لقوافل الحجاج وطرقها، ومنها القادمة من مصر والشام والعراق واليمن، وما يقوم به شريف الحجاز من واجبات في توفير الامن لهم، ومع حرص الحجاج الروس في تسليط الضوء على ما يبتاعونه من بضائع في اسواق الحجاز، والتعريف بسكانها الذين هم من اجناس متعددة، والاشارة إلى طبيعة مدنها ونوع بناءها وامور اخرى ذات جانب عمراني تتصل بالمدن المذكورة ذات المكانة الدينية لدى المسلمين كافة.

المصادر والمراجع

- الوثائق المنشورة:

1. ارشيف المخطوطات الروسية، مجموعة مخطوطات سوفيسكايا، ج11، نقلا عن: التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، اعداد آداموف، ترجمة نوري عبد البخيت، مجلة الخليج العربي،مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد 9، 1978.
2. ارشيف السياسة الخارجية لروسيا، ديوان،1812، الإضبارة 2282، ص 28. نقلا عن: اليكسي فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2010.
3. ارشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف السفارة في القسطنطينية، إضبارة رقم 1244، ص 40-39، تقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي 1903-1899، اعداد ي. ريزفان، دار التقدم، موسكو، 1990.

- الكتب الوثائقية المنشورة:

1. زكريا قورشون، قطر في العهد العثماني 1916-1871دراسة وثائقية، ترجمة حازم منتصر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008.

- الرسائل الجامعية:

1. فاضل محمد عبد الحسين جابر، عمان في عهد احمد بن سعيد (1749-1783) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية،ابن رشد، جامعة بغداد، 1988.
2. جزائر جليل عطيوي الوائلي، امارة بني خالد في شرقي الجزيرة العربية (الاحساء)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2005.

3. فـردوس عبـد الرحمـن كريم، لـواء العمارة في العهـد العثماني -1861 1914، اطروحـة دكتـوراه غيـر منشـورة، كلية التربية، ابن رشـد، جامعة بغداد، 1998.

- الكتب العربية والمعربة:

1. السـكندر آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشـم صالح التكريتي، دار الوراق، لندن، 2009.
2. الرحلة السـرية للعقيد الروسـي عبد العزيز دولتشـين إلى الحجاز سـنة 1898-1899، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008.
3. ب. م. دانتسـيغ، الرحالة الروس في الشـرق الاوسـط، ترجمة وتعليق معروف خزنه دار، وزارة الثقافة والاعلام، 1981.
4. جـورج فاضـل حوراني، العرب والملاحة فـي المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، القاهرة، 1958.
5. جي. اس. سـالدانا، الشـؤون القطرية من سـنة 1873 إلى 1904، تعريب احمد العناني، مطابع دار العلوم، الدوحة، 1976.
6. روبـرت جيـران لانـدن، عمان منذ 1856 مسـيرا ومصيرا، ترجمة محمد امين عبد الله، (د.م)، 1970.
7. سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ اهل عمان، (د.م)، 1986.
8. سـلمان فائـق، تاريـخ المنتفـق، نقلها إلى اللغة العربيـة محمد خلوصي الناصري، مطبعة المعارف، بغداد، 1961.
9. صالـح محمـد العابـد، دور القواسـم في الخليج العربـي 1747-1820، مطبعة العاني، بغداد، 1976.
10. صبري فالح الحمدي، اشـراف الحجاز في القرن الثامن عشـر، مؤسسـة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.
11. ـــــ، الصراع الدولي في الخليج العربي، دار الحكمة، لندن، 2010.
12. ـــــ، قراءة جديدة لتاريخ الجزيرة العربية في العهد العثماني، ط1، دار الآفاق العربية، 2008.

13. ــــــــ، الكويت نشوءها وتطورها 1750-1871، ط1، دار الحكمة، لندن، 2005.
14. ــــــــ، المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبد العزيز بن سعود (1915-1953)، ط1، دار الحكمة، لندن، 2011.
15. عبد القدوس الأنصاري، الطائف تاريخا وحضارة مصادر ثراء وآثارا وأعلاما وعلماء وشعراء، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، جدة، 1978.
16. لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دار الفارابي، بيروت، 1980.
17. كمال مظهر أحمد، هاشم التكريتي، قطر في الدراسات الروسية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الرابع عشر، كانون الأول، 2003.
18. نوري عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج2، سلطنة عمان، 1974.
19. مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الثقافة، بيروت، 1967.
20. مهنا الدويش المطيري، قبيلة بني مطير، مكتبة دار الفتال للطباعة والنشر والتوزيع، 1991.
21. ويليام ثيودورسترانك، حكم الشيخ خزعل بن جابر واحتلال إمارة عربستاق، ترجمة عبد الجبار ناجي، ط2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006.

- الكتب الأجنبية:

1. *Admiralty War Staff, Intellingence Division, Ahandbook of Arabia, Vol.* 1, *May* 1916.
2. *Baker Randall; Kinghusain and the Kingdom of Hejaz, the Oleander press, New York, U.S.A.*
3. *Bush.B.C; Britain and the (Persian) Gulf (*1894-1914*), University of California press,* 1967.

4. *Danvers. F.C, The Portuguese in India, 2vol, London,* 1966.
5. *Hogarth George David; Hejaz Before Word I, New York,* 1979.
6. *Jurewitz. J.C, Diplomacy in the Near and Middle East, Vol.*1, *New York,* 1956.
7. *Sanger R.H.; Arabian Peninsula, Cornell University press, Ithaca, New York,* 1954.
8. *Yapp. M; British Policy in the Gulf, A Total Survey, London,* 1980.

- البحوث المعربة المنشورة:

1. أو. أي. ردكين، الرحلات المنتظمة للسفن التجارية الروسية للخليج العربي 1900-1904، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) 2007.
2. أحمد العناني، الشيخ قاسم بن محمد ثاني ومشكلات الزعامة المحلية في الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر، مجلة الخليج العربي،مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، 1981.
3. تي. ان. ليبدنسكايا، شبه الجزيرة العربية كما وصفها بي ستينين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) 2007.
4. سيرجي جريجورف، عمان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من خلال الوثائق الموجودة في الأرشيفات الرسمية لسان بطرسبرج، مجلة الوثيقة، العدد الحادي والأربعون، السنة الحادية والعشرون، يناير (كانون الثاني) 2002.
5. علي ابا حسين، من العلاقات الثقافية بين روسيا ودول الخليج العربي، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والثلاثون، السنة الثامنة عشرة، يناير (كانون

الثاني) 1999.

6. نيكولاي دياكوف، بعض الوثائق عن تاريخ العلاقات بين روسيا وبلدان الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين المتواجدة في ارشـيفات سـان بطرسبرج الرسـمية، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) 2007.
7. يفجيني سـيدوريوف، تاريخ العلاقات السياسـية والدبلوماسـية الروسـية بـدول المنطقـة، مجلـة الوثيقـة، العد الثاني والثلاثون، السـنة السادسـة عشرة، يوليو (تموز)، 1997.

- البحوث الأجنبية المنشورة:

1- *Abir. A; The Arab Rebellion of Amir Chalib Mecca(*1788-1813*), Meddle Eastern Studies, Vol. 2, May,* 1916.

الفصل الثالث

الخليج والجزيرة العربية في المصادر الروسية 1900-1917

المقدمة:

بات من الضروري تسليط الضوء على ما تضمه المصادر الروسية، لا سيما الوثائقية منها، من معلومات وثقتها عن مناطق الخليج والجزيرة العربية، عبر ما دونه الرحالة والبحارة الروس واعضاء البعثات القنصلية الموجودة في بوشهر ومسقط والبصرة والبحرين، فضلا عن جدة، في خضم التنافس الدولي المتمثل ببريطانيا وفرنسا والمانيا وروسيا، في محاولة كل منها فرض سيطرتها على المنطقة والحصول على مناطق نفوذ لها.

وستوضح الدراسة هذه جوانب لم تكشف عن اوضاع الخليج والجزيرة العربية من النواحي الجغرافية، إذ ستعطي صفحات البحث اجابة طيبة عن مناخ وتضاريس تلك البلدان وحتى حدودها الجغرافية، وهو الامر الذي نجده غالبا في الكتب الجغرافية المتخصصة، فضلا عما تحويه الوثائق الروسية من كم وافر من الرسائل والتقارير التي كان يبعث بها اعضاء القنصليات الروسية عما يشاهدونه من حركة التجارة وانواع البضائع التي يتعامل بها سكان الخليج العربي مع بلاد فارس ودواخل الجزيرة العربية، ومع بلاد الشرق، ولا سيما الهند وشرق افريقيا ومدن البحر المتوسط التجارية، مما يفتح ذلك المجال واسعا لمزيد من البحث عن الاصول التاريخية للعلاقات الروسية مع شعوب هذا الجزء من البلاد العربية.

وافترضت الدراسة لنفسها محاولة الولوج في محتويات تلك المصادر المتنوعة، وفي مقدمة ذلك، ما ستكشفه صفحاتها عن ردود الفعل العربية من تردد السفن الروسية لمدن الخليج والجزيرة العربية، اكان ايجابيا أو سلبيا كما حصل مع قوى اوربية اخرى كالبرتغاليين والانكليز الذين واجهوا مقاومة شديدة من العرب المعارضين للوجود الاجنبي في اوطانهم، وما هي طبيعة الصلات بين الروس الوافدين على مختلف مهامهم وشيوخ واهالي المنطقة، وهو ما سنحاول في هذا الجهد المتواضع بيانه، وربما كان ذلك الشعور وسيلة للأخيرين في محاولتهم التخلص من السيطرة البريطانية التي استمرت سنين طويلة منذ بداية العصور التاريخية الحديثة.

- الخليج والجزيرة العربية في المصادر الروسية (1900-1917):

لا بد من توضيح ان الروس، منذ بداية تغلغلهم في منطقة الخليج والجزيرة العربية، لا سيما سواحلها، قد استخدموا الخرائط الملاحية البريطانية لان المنطقة كانت مجهولة للسفن الروسية، فكان مهام الرحالة اعداد الوصف للموانيء والخطوط الملاحية المساعدة للسفن الروسية التجارية، وكان هذا العمل مهما لأنه مهد الطريق للسفن التجارية الروسية لانشاء خط بحري بين موانيء البحر الاسود وسواحل الخليج والجزيرة العربية، فضلا عن تنظيم رحلات لسفن القوات البحرية، وقد استهل الروس فعالياتهم الدبلوماسية والاقتصادية في الخليج والجزيرة العربية بداية القرن العشرين، بزيادة ملحوظة في نشاطهم المتعدد الجوانب، وتزامن ذلك مع تصاعد تنافس الدول الاوربية الاخرى، لا سيما بريطانيا والمانيا للحصول على مناطق نفوذ

لها عبر وسائل عدة، فقد اوفدت الحكومة الروسية السائح «إس.أن. سيروماثيكوف» مطلع عام 1900 إلى المنطقة ليمهد الطريق للتعاون مع امارات الخليج العربي مستقبلا ويتحرى امكانية التوغل التجاري والمالي الروسي في موانئها ومدنها، وعلى اثر عودته إلى بلاده من زيارته لتلك المدن، اعد تقرير كاملا ضمنه مشاهداته وبعد عام، اي في تشرين الثاني 1901 القى محاضرة عن انطباعاته عن سفره إلى الخليج العربي بحرا، تحت عنوان (اهمية الخليج والكويت الدولية) امام اعضاء جمعية انصار المعلومات العسكرية في سان بطرسبرج، وننقل لكم فيما يأتي وصفه لمسقط: «وهي بلد مترامي الاطراف في شرق الجزيرة العربية، ومساحته اكثر من (81,000) ميل مربع وعدد سكانها حوالي مليون ونصف المليون نسمة في عام 1900، وكان عدد السكان في مسقط حوالي (30,000) نسمة، وكان اجمالي المبيعات فيها بقيمة (5) ملايين روبل[1] في عامي 1901-1902، والواردات بقيمة (4,258,800) روبل، والصادرات بقيمة (1,034,000) روبل، والايراد من الجمرك (200,000) روبل»[2].

ولم تخلو المصادر الروسية من الاشارة إلى موقف بريطانيا الرافض للتحركات الروسية في الخليج والجزيرة العربية، وتجسد ذلك فيما كتبه قائد السفينة «جلياك» «ام اندرينيونس»، الذي زار

(1) الروبل: العملة الرسمية لروسيا القيصرية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والدولار الأمريكي يساوي (26.5) روبل.

(2) نيكولاي إن. دياكوف، شبه الجزيرة العربية والخليج من خلال الوثائق والدوريات بسان بطرسبرج بداية القرن العشرين، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد السادس والأربعون، السنة الثالثة والعشرون، يوليو (تموز) 2004، ص 68-67.

بسفينته الكويت وموانيء خليجية اخرى عام 1900، ومشيرا إلى ترحيب السكان بقدوم السفينة الروسية، في وقت كان فيه التنافس قائما بين الدولة العثمانية وبريطانيا، ولنستمع إلى ما ذكره بشأن تلك الزيارة وردود الفعل البريطانية ازاءها بقوله: «انه رغم جميع الفتن التي يدبرها الانكليز فان مجرد ظهور «جيلياك» في البصرة سبب موجة من الحماس بين المحليين...، ان الترحيب الحار الذي قدمه الشيخ مبارك شيخ الكويت لـ«جيلياك» قد اظهر لعبته السياسة المعقدة ونية واضحة ليقيم ميزانا جديدا للقوى في الخليج باضعاف قوة الاتراك وتقوية النفوذ المتزايد لبريطانيا العظمى»[1].

وتزودنا الوثائق الروسية بمعلومات وافرة عن رحالة روس جاءوا إلى الخليج والجزيرة العربية لاغراض شتى، لا سيما تلك المستقاة من الارشيفات الرسمية الروسية وارشيفات البحرية، فهناك رحلة «رومانوف فاسيلي اليكسيفيتش» المؤرخة في 20 تشرين الاول 1900، الا ان صاحبها بدأت مغامراته مطلع نيسان من العام نفسه، بناء على تعليمات من جمعية علم الانسان في جامعة بطرسبرج، وبمساعدة من الشركة الروسية للملاحة التجارية، رغم العراقيل التي اقامتها السلطات البريطانية في طريقه طالبة منه دفع مبالغ ضخمة لسفره من الاسكندرية إلى الخليج العربي، بعد ان عرفت انه مواطن روسي، ومع ذلك كانت رحلاته ناجحة كما يظهر من

(1) المؤلف نفسه، بعض الوثائق عن تاريخ العلاقات بين روسيا وبلدان الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين المتواجدة في أرشيفات سان بطرسبرج الرسمية، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) 2007، ص 66.

تقاريـره التـي وصفت موانـيء الخليج العربي واعداد السـكان ونمو التجـارة والحـرف اليدويـة الرائجـة، وعقـب زيارتـه الكويـت كتـب رومانوف الآتي: «تقع مدينة الكويت الصغيرة على الساحل الخليجي الغربي على خط العرض 28 5، وحاكمها (مبارك الصباح) يميل إلى الروس بمشـاعر الود، على الرغم من انه يكسـب رزقه من الانجليز الذي يجهدون لارضائه وحمايته...، والكويت ولنجة على الموانيء الرئيسـية والمسـتودعات للسـلع التجارية على الساحل العربي، وهو مكان لصيد السمك واستخراج اللؤلؤ، ويتم تصدير الاخير بكميات ضخمة»(1).

من جانب آخر اوردت لنا مصادر تاريخية خطابا لطبيب روسي زار بوشهر في تموز 1900، سجل فيه ما وثقه من تلك الزيارة إلى بعض المدن، حيث ذكر فيه ان خطا من البواخر الملاحية الروسـية سـيبدأ بالاتجاه نحو الخليج العربي، وبعد رحلة استطلاع ارسلتها الحكومة الروسية شملت بوشهر، بندر عباس، الاحواز، البصرة، الكويت، اشار تقرير البعثة ان هناك امكانية لتصريف المنتجات الروسية في المنطقة التي تقع جنوب ايران المطلة على الخليج العربي، ولكنه كان يرى ان تلك التجارة لا بد ان يدعمها خط بواخر روسي مدعوما من الحكومة الروسية، واقترح على حكومته فتح مصرف واقامة مخزن للفحم في بوشـهر والبصرة، وافتتاح قنصلية، وبقاء سـفينة حربية بشكل دائم في مياه الخليج العربي، وقد اقرت لجنة خاصة شكلتها الحكومة الروسية

---

(1) أوليج ردكين، وصف الخليج العربي للرحالة والبحارة الروس من 1906-1897، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والخمسون، السنة الثامنة والعشرون، يناير (كانون الثاني) 2009، ص 158.

هذه التوصيات بالكامل[1].

ويمكننا ان نرصد نجاح تلك السفن في متابعة الاحوال الجوية والظروف المناخية، ففي اثناء جولة السفينة «جيلياك» إلى موانيء الخليج العربي، رصدت الاحوال الجوية كل (4) ساعات، وقبل ذلك ما كان لدى الروس اي معلومات عن الطقس هناك، وجاء بتقريرها عن الظروف الملاحية في منطقة البصرة والكويت: «قد وظفنا مرشدا في بوشهر ليرشد سفينتنا في شط العرب بواقع (6) روبيات[2] لكل رحلة لكل قدم من العمق بالاضافة إلى رسوم الارساء بروبيتين لكل يوم في البصرة، والحجر الصحي فيها يفرض على كل سفينة تجيء من اماكن خطرة ومن اي ميناء فارسي»[3].

على ان ما سجله قبطان السفينة «جيلياك» التي زارت اكثر من ميناء في الخليج العربي، من ملاحظات تفصيلية في الجوانب السياسية والتجارية، وكيفية تعامل شيوخ وسكان تلك المناطق مع الروس، ورد الفعل البريطاني واليكم نص ما ذكره بشأن البصرة حوالي منتصف عام 1900 على النحو الآتي: «وصلت «غيلياك» إلى البصرة وبعد تمضية الحجر الصحي، ادت التحية للحاكم العام محسن باشا بطلقات المدفعية، واثار تبادل التحايا المدفعية

(1) نقلا عن: ناهدة حسين علي، الملاحة البحرية الروسية في الخليج العربي 1899-1914، بحوث المؤتمر العلمي السادس عشر (13-11 أيار 2009)، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ص 995.

(2) الروبية: وتساوي 75 فلسا.

(3) أوليج ردكين، وصف الخليج العربي، ص 160.

احتشـادا عارما من الناس، وجرت زيارات متبادلة ومآدب احتفالية[1] عديـدة، واحيطـت الـروس بارفـع درجات الحفاوة، غيـر ان الانكليز لـم يتخلـوا عـن محـاولات عرقلـة التجارة، فقـد طلـب الحماية من القنصل الروسـي «كروغلوف» تجارا من اهالي البصرة كانوا يجلبون إلـى السـفينة المأكـولات والمـواد الضروريـة، وقـد تبيـن ان القنصل البريطاني كان يهددهم بالنفي الاداري حالما تبحر «جيلياك» ويسـافر كروغلوف، فضلا عن ان السـفينة احدثت انطباعا شـديدا في نفوس السـكان المحليين من المصابيح الكاشـفة الكهربائية لـ«غيلياك» التي لـم تكـن لهـا مثيل في السـفن البريطانيـة...، وفي اثنـاء دخولها مرفأ الكويـت، تبيـن ان سـكرتير القنصليـة البريطانية وقبطان سـفينة البريد البريطانية «سـفينكس» الموجودة بالمرفأ قبل «غيلياك» قد عمل على اقناع الشـيخ مبارك الصباح الذي كان قد جاء من الصحراء خصيصا لاستقبال السفينة الروسية بالا يقيم احتفالات رسمية بهذا الخصوص وان يعود ادراجه غير ان الشيخ مبارك الذي كان يوازن بكل مهارة بين بريطانيا وتركيا، ويحاول تأليب مصالحهما ضد بعضهما البعض ونيل الاستقلال، كان يرى في روسيا حليفا طبيعيا في النضال ضد بريطانيا، وهـو لـم يكتـف بعدم السـفر ادراجـه إلى الصحراء، بـل دعا الروس على التفرج على مقره الرئاسي هناك، واعد لهم رحلة صيد بالصقور

(1) يرجع الباحث ذلك الترحيب غير المسبوق من أهالي الخليج والجزيرة العربية للروس بحارة وتجارا، بما يعانونه من معاملة سيئة من قبل السلطات البريطانية، التي أصبحت منفردة بنفوذها بالمنطقة منذ عام 1820 حين تخلصت من مقاومة القواسم، ورغبتهم بعلاقات طيبة مع قوى أوروبية أخرى منافسة لبريطانيا.

ورحلة صيد بالكلاب، غير انه لم يتسنى تحقيق ذلك، لانه كان على «غيلياك» المغادرة على الفور، ومع ذلك اظهرت هذه الزيارة الاهتمام المشترك واتاحت للشيخ مبارك اقامة علاقات ودية مع ممثلي روسيا الذين بدوا خلال الزيارة مفيدين جدا، ولاجل القنصل الروسي الذي قرر العودة إلى البصرة بطريق البر، وقد اعد الشيخ مبارك قافلة يرافقها حرس، وان الاقتراح الذي تقدم به حاكم الكويت في ربيع عام 1901 برفع العلم الروسي فوق الكويت كان بالذات نتيجة للاحداث المديدة بين الشيخ مبارك والدبلوماسيين كروغلوف واوفسيينكو اثناء زيارة غيلياك»[1].

واشتمل التقرير وصفا للاوضاع السياسية في الخليج والجزيرة العربية وطبيعة التنافس العثماني- البريطاني، استقبال الاهالي للسفينة وبحارتها ومما جاء بالتقرير الآتي: «ظلت بريطانيا تسعى لازاحة تركيا (الدولة العثمانية) من قطر والكويت واعلان مرافئها مغلقة بوجه سفن الدول الاجنبية، واكد على ادراك المشايخ العرب واقع انهم في ظل السيادة التركية المعلنة يعتبرون انفسهم مستقلين عمليا، في حين ان الحماية البريطانية تعني نهاية لكل استقلال...، وفي نهاية التقرير نوه قبطان» غيلياك» بالاستقبال الودي الحار الذي لقيه البحارة الروس من جانب السكان المحليين الذين راوا فيهم حلفاء لهم ضد الانجليز»[2].

ويبدو ان الوثائق الروسية التي دونها الرحالة والبحارة قد

(1) أرشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف السفارة في القسطنطينية، إضبارة رقم 1244، ص 53-52، نقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي 1903-1899. الناشر: ي. ريزفان، دار التقدم، موسكو، 1990، ص 13-12.

(2) المصدر نفسه، ص 14.

ضمت بين دفتيها امورا تتعلق بحركة السفن والملاحة بالمنطقة، حين وصفت تلك المصادر الظروف الملاحية في الخليج العربي عام 1901 في السطور الآتية: «لا يوجد حتى ميناء واحد في الخليج العربي وخليج عمان المجاور وترسو السفن بالقرب من جسك أو البحرين أو بوشهر على بعد (3) اميال من الشاطئ وميلين ونصف الميل في بندر عباس بالقرب من القلعة على بعد نصف الميل من قصر الشيخ»[1].

وجاء في تقرير «جي. في. اوفسيينكو» القنصل العام الروسي في بوشهر عام 1900، ارقاما عن حجم التجارة التي كان يتعامل بها الروس مع عموم المنطقة للسنوات بين (1897-1900) من خلال عرضه المفصل المدعم بالجداول والاشكال لحجم تجارة السكر في الموانيء الخليجية فكانت في مسقط (121,210) روبل و(98,178) روبل في الموانيء العمانية الاخرى و(51,247) روبل في البحرين...، ومن مسقط يتم توزيع السكر المستورد إلى القرى والمدن في المناطق المجاروة، وكانت القيمة الاجمالية للسكر المستورد من بومباي إلى الساحل العماني في عام 1900 (82,800) روبل، ولمسقط (118,846) روبل، فيما بلغت كمياته إلى البحرين في العام نفسه (59,786) روبل، وينقل السكر من البحرين إلى كل من قطر والموانيء الصغيرة في الاحساء وحتى إلى الكويت»[2].

مقابل ذلك وصلت الخليج العربي السفينة «كورنيلوف» في

---

(1) لمزيد من التفاصيل ينظر: أوليج ردكين، وصف الخليج العربي، ص 161.
(2) نيكولاي إن. دياكوف، شبه الجزيرة العربية والخليج من خلال الوثائق والدوريات، ص 70.

رحلة استمرت من (3 شباط -11 ايار (مايو) 1901) زارت خلالها جدة ومسقط وجسك وبندر عباس ولنجة وبوشهر والمحمرة والبصرة، وقامت هذه السفينة بنقل كمية كبيرة من السكر الروسي إلى البصرة، مما شكل تهديدا خطيرا للمصالح الفرنسية (هذه المرة)، بدليل ما اشار إليه نائب القنصل الفرنسي في بغداد (روبيه) إلى ضرورة اتخاذ تدابير فعالة لاجل خنق تجارة السكر الروسية في مهدها، كما قامت السفينة (فارباخ) بالرسو في ميناء مسقط في العام نفسه، وتقابل ضباطها مع سلطان عمان فيصل بن تركي، ووصف قبطانها تبعية مسقط سياسيا وماليا لبريطانيا، وحينما زاروا بوشهر اوضحوا ان البريد والبرق والبنك (مصرف) توجد في ايدي الانجليز، وكان السكان المحليين يناصبون السلطات المحلية العداء...، ومما يؤكد النفوذ البريطاني هناك ان دابيجا Dapija) القنصل الروسي كان قد اخبر كامبل Cample) المقيم البريطاني في الخليج العربي ان زيارته إلى بوشهر كانت متزامنة مع مجيء السفينة الروسية، التي تعدها المصادر البريطانية اول سفينة تعمل على خط الملاحة الروسي وهي قادمة من ميناء اوديسا على البحر الاسود إلى موانيء الخليج العربي[1]. ولدى وصول الطراد «فارباخ» الكويت عام 1902، اعطتنا المصادر الروسية تفاصيل استقبال شيخ الكويت لقبطان السفينة وبحارتها، حيث صعد إلى الطراد جابر بن الشيخ (مبارك) حاملا الهدايا، ومعلنا ان والده يوجد مع قوة مؤلفة من (3000) شخص في الجهرة بانتظار هجوم الرشيديين (آل الرشيد حكام حائل شمال

(1) J.A., Saldanha, the (persion) gulf precis, Vol. VIII, 1872-1905, Calcutta, 1906 (Reprinted in 1986), p. 6.

نجد) وتوجه اوفسيينكو والضباط الروس إلى الجهرة، حيث لقوا استقبالا وديا للغاية، واخبرهم (شيخها) انه إذا حلت بالكويت ازمة عصيبة فسوف يطلب المساعدة من الروس»[1].

وعلينا التذكير بتنوع مهمات الروس في الخليج وسواحل الجزيرة العربية التي تصاعدت مع بداية القرن العشرين، تولتها شخصيات طبية وهندسية وجغرافية، فضلا عن الرحالة والبحارة، فالرحالة «بوغايافلنسكي» الذي جاء إلى البحرين عام 1902، وهو اختصاص بعلم الحيوان ارسلته جمعية هواة العلوم الطبية والانثروبولوجيا والاثنوغرافيا، التابعة لجامعة موسكو، في مأمورية إلى منطقة الخليج العربي، لاجل القيام بابحاث علمية، فزار البحرين، المحمرة، الكويت، مسقط، وفيما يأتي بعض المشاهدات عن تلك المدن برسائله المحفوظة في الارشيف، التي ارسلها إلى القنصلية العامة الروسية في بوشهر: «في أواخر شهر نيسان (أبريل) 1902 وصل «بوغايافلنسكي» إلى البحرين وامضى هناك ثلاثة اسابيع، واستقبله الشيخ عيسى آل خليفة[2].

واحيط العالم الروسي بحفاوة بالغة، وسلمه الشيخ رسالة منه إلى «اوفسيينكو» وقد ابلغ «بوغايافلنسكي» بتلك الرسالة عن دسائس الانكليز، وحسن الضيافة التي خص بها السكان المحليون اول شخص روسي في البحرين...، ولم يكن الاستقبال الذي لقيه

---

(1) أرشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف الأرشيف السياسي، الإضبارة 365، ص 16-15، بلاغ اوفسينكوف في طهران بتاريخ 1902/ 1/ 11 رقم 2، نقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي، ص 18-17.

(2) وهو الشيخ عيسى بن علي (1923-1870).

المبعوث الروسي في المحمرة اقل حفاوة من استقباله في البحرين، إذ اسكنه الشيخ خزعل (1925-1897) في داره واجرى معه حديثا وديا معلنا انه صديق صدوق للروس، وقام سكرتير خزعل باطلاع بوغايافلنسكي على القصر الجديد للشيخ الذي بني حسب تصميم الروسي «سيدوميوتيكوف»، وبمناسبة الوداع زود خزعل العالم الروسي بحرس حتى حدود الكويت، وحين وصول «بوغايافلنسكي» إلى الكويت، جاء الشيخ مبارك من المدينة ورحب بالعالم الروسي وقال له بالحرف الواحد (انني اعتبر الروس اخوانا لي واغتبط كثيرا عندما يزورونني، وانني على استعداد دائم لان اقدم لهم كل ما استطيعه، بلغوا «اوفسينكو» الذي اعتبره اخا لي سلامي ورغبتي في التراسل معه) وعقب مكوثه اربعة ايام في الكويت وردا على سؤال: عما يستطيع عمله لمجازاته على حسن الضيافة، طلب الشيخ مبارك شيئا واحد فقط: «ابلاغ جلالة الإمبراطور انه صديق للروس ويعتبرهم اخوانا له» وبالحفاوة نفسها استقبل الروس من سلطان مسقط، الذي استمع بغبطة لبعض القطع الموسيقية من اداء جوقة السفينة...، واهدوا له ساعة موسيقية وطلب ارسال الـ «الموسيقى» إليه، وفي بوشهر وصل «اوفسينكو» إليها وجرى تبادل الزيارات مع الحاكم وممثل وزارة الخارجية»[1].

ومن الجدير بالذكر ان الوثائق الروسية تؤكد على ترحيب شيوخ وسكان امارات الخليج والجزيرة العربية بالبعثات الروسية، من خلال

(1) أرشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف السفارة في القسطنطينية، الإضبارة 1266، ص 16-3، بلاغ آداموف إلى وزارة الخارجية بتاريخ 1903/ 1/ 8، رقم 19، نقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي، ص 23-20.

الرسائل التي كانت تبعث بها إلى الحكومة القيصرية، وبخاصة تلك المشيخات التي تواجه ضغوطا بريطانية للسيطرة عليها، ومما يعزز ذلك ترحيب سكان الكويت والمحمرة والبحرين ومسقط ربما كان يمثل رد فعل من السياسة البريطانية في المنطقة، واليكم نص ما ذكرته الوثائق لعام 1902: «ان مجرد اسم روسي يجذب الناس ويحب الشيوخ العرب ان يروا الروس في بلادهم اكثر فاكثر» واضاف «ان السكان المحليين شعروا بالنير البريطاني حول اعناقهم، ومجرد رؤية الروس زودتهم بالقوة للنضال ضد العبودية لبريطانيا واعطتهم املا بان العالم لم يتركهم تماما تحت رحمة بريطانيا العظمى»[1].

كان من الطبيعي ان تؤدي الجهود الالمانية لانشاء سكة حديد برلين- بغداد التي ابتدأت منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى اثارة الاهتمام الروسي باهمية الخليج والجزيرة العربية لمصالح روسيا، لا سيما بعد ان ابدت المانيا رغبتها في بداية القرن العشرين بان تكون نهاية الخط هي الكويت، وبهذه المناسبة نشر رئيس تحرير جريدة «سان بطرسبرج» «فيدوموستي» بين سنوات (1902-1900) معلومات مفصلة عن موقف روسيا من مشروع السكة، ونقلت الصحيفة إلى المستثمرين استعداد الحكومة العثمانية لبيع (40٪) من الاسهم إلى فرنسا وبلجيكا، و(40٪) إلى اصحاب الاموال الروس والمؤسسات المالية الخارجية التي كانت لها فترة طويلة في التجارة مع تركيا (الدولة العثمانية). اما جريدة (الفاينانشيال هيرالد) من سان بطرسبرج فاعلنت ان الحكومة الروسية لم ترغب مباشرة في الاشتراك

---

(1) نيكولاي ان دياكوف، بعض الوثائق عن تاريخ العلاقات بين روسيا وبلدان الجزيرة العربية، ص 67.

في هذا المشروع، لكنها اخبرت مستثمريها عن حقهم المشروع في مساهمتهم في امتياز سكة الحديد»[1].

وتناولت جريدة «سان بطرسبرجية فيدوموستي» الاوضاع السياسية على حدود الكويت مع امراء نجد وحكام حائل من آل الرشيد، والعلاقة مع الدولة العثمانية، فضلا عن اهمية ميناءها التجاري، إذ كتبت في عددها الصادر في 8 شباط 1901 تقول: «وتناسب الكويت سفنا كبيرة وتحميها من الرياح الشديدة وهي مرساة رائعة تستوعب اسطولا على الاقل، وعدد سكانها يزيد على (200,000) نسمة، وهي تقع على مفترق الطرق من البصرة إلى المناطق الداخلية للجزيرة العربية وتشكل ميناءً دوليا في الخليج...، وحدثت تطورات في المجابهات بين الشيخ مبارك حاكم الكويت ومنافسيه من نجد ابن رشيد[2]، وكان التدخل التركي من الاسباب الرئيسة لبروز الازمة على حدود الكويت والهادفة إلى اسقاط سلالة شمر (آل الرشيد)، فضلا عن نشر مراسل الجريدة نفسها سلسلة من التقارير في المدة بين سنتي (1902-1901) عن الوضع السياسي والشؤون الخارجية والحياة الاجتماعية والثقافية في عمان في السطور الآتية: «ورغم اهتمام الوكيل الانجليزي بالوضع في عمان

---

(1) نيكولاي إن. دياكوف، شبه الجزيرة العربية والخليج من خلال الوثائق والدوريات، ص 72.

(2) كانت نجد تابعة لحكم آل الرشيد في حائل واستمر ذلك حتى عام 1902 حين تمكن عبد العزيز بن سعود من دخول نجد وتخليصها من حكم آل الرشيد. لمزيد من التفاصيل ينظر: صبري فالح الحمدي، المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبد العزيز بن سعود 1953-1915، دار الحكمة، لندن، 2011، ص 11.

الا انـه لـم يكـن مجديا في معالجـة الاوضـاع الاجتماعية والصحية للغاية السـائدة بين السـكان المحليين، واعرب السـلطان فيصل (بن تركي) 1913-1888 عن شـكواه[1] من خرق قباطنة السـفن البريطانية الاعـراف الدوليـة الذين، يعتبرون انفسـهم فـوق القانون». اما جريدة «نوفـوي فريميـا» الجريـدة الروسـية، مـا ذكرتـه عـن زيـارة السـفينة الروسـية(فارباخ) إلى مسـقط في تشرين الثاني- كانون الاول 1901، وعلى متنها القبطان «بير» وضباطه بمرافقة القنصل الفرنسي، وكيف انهم تلقوا ترحيبا حارا من السلطان السيد فيصل بن تركي، ولاحظت الجريدة طلب الاخير من الكابتن «بير» ان ينقل للقيصر وافر التقدير والاحترام»[2].

تزايـدت حركـة السـفن الروسـية القادمـة إلـى ميـاه الخليـج العربي بداية العقد الاول من القرن العشـرين، فكانت زيارة السـفينة «لازاريـف» وهي محملة بشـحنات من مـواد مختلفة برحلتها الاولى فـي آذار 1901 ووصولهـا مسـقط، لانشـاء مشـروع الخـط الملاحـي بيـن روسـيا وعمـان، واليكم تفاصيل رحلتها في السـطور الآتية التي وثقتها المصادر الروسـية: «وصلنا مسـقط في 3 مارس (آذار) 1901 في السـاعة السـابعة والنصف صباحا وفيها خليج صغير يكفي لعدد

(1) حصل تنافس بريطاني - فرنسي على عمان في سنوات قبل الحرب العالمية الأولى، بشأن ما عرف بمسألة العلم الفرنسي وتجارة السلاح الفرنسية، فانعكس ذلك في زيادة الضغوط البريطانية على فيصل بن تركي سلطان عمان. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، السلام البريطاني في الخليج العربي 1947-1899 دراسة وثائقية، دار المريخ، الرياض، 1981، ص 125-123.

(2) نيكولاي إن. دياكوف، شبه الجزيرة العربية والخليج من خلال الوثائق والدوريات، ص 76-73.

مـن السـفن التـي ترسـو على بعـد حوالي ربع ميل من الشـاطيء...، فتشرفت بالسلام على سلطان مسقط الذي نظر إلى المشروع الجديد باستحسـان، وتـم رفـع العلم الروسـي لاول مرة علـى القلعة، تحمل السـفينة شـحنة على متنها (7500) علبة كيروسـين، وبضائع روسـية تقليديـة كالفابريـكات والاخشـاب والسـكر، اما الرحلـة الثانية فتمت فـي آب 1901 حجـم الشـحنات علـى متنهـا اكبـر بكثير مـن الاولى، وقابلها طراد بريطاني في 19 شـباط 1902 بطريقها واسـتجوب رئيس الطاقـم وراجـع اجاباته للتاكد من صحتها، واعتبر القيصر (الروسـي) ذلك خرقا لحقوق بلاده وتعطي انطباعا للسكان المحليين بان موافقة الانكليز مطلوبة للسفن الروسية لتزور الموانيء الخليجية، فضلا عن رحلـة ثالثـة قامـت بها السـفينة «كورنيلوف» التي غادرت اوديسـا في 15 شـباط 1903 وزارت جدة وعدن ومسـقط وجسـك وبندر عباس وبوشهر والبصرة، فيما جاءت الباخرة «تروفور» في رحلة رابعة وعلى متنها خشـب ومنسـوجات وادوات مائدة وغيرها، ربحت من رحلتها (10545) روبـل علـى متنهـا حبيبات السـكر والكيروسـين واسـمنت واخشـاب ومأكولات فرغت في مسـقط اكثر من ثلث حمولتها التي اصبحت نقطة تحول بين الموانيء الروسية والساحل الغربي للخليج (العربي) بما فيه البصرة، واستمرت تلك الرحلات التجارية في العام التالي رغم نشوب الحرب بين روسيا واليابان عام (1905) ومخاطرها الملاحية في المحيط الهندي لارتفاع اجور الشحن»[1].

---

(1) نقلا عن: ميخائيل روديونوف، دول الخليج العربي في القاموس العرقي الروسي، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) 2007، ص 131-129.

جذبت عمان اهتمام الدول الاوربية وشركاتها التجارية لموقعها الجغرافي في مدخل الخليج العربي، مع الاشارة إلى تعدد المصادر الروسية في وصف الرحلات التجارية للسفن المتوجهة نحو سواحل الخليج والجزيرة العربية، وفي ادناه تقرير عن السفرة الاولى للباخرة «كورنيلوف» (3 شباط -11آيار1901) وكتب «كلاسنخ» احد طاقمها التقرير الآتي عما شاهدوه: «تقع مدينة مسقط على ساحل خليج صغير يتسع لارساء عدد قليل من السفن، ومرت باخرتنا بقلعة مسقط مزين بالعلم الروسي التجاري والعلم العماني على ساريتها...، واكرمني صاحب الجلالة سلطان عمان بمنح فرصة لي رسميا لاقدم نفسي امامه واعرب عن ارتياحه بوجود سفينة روسية في الميناء، وبامكان سلطنة عمان ان تشارك روسيا في التجارة بصفة رئيسية في الخليج العربي، على الرغم من حجم واردات عمان ليس كبير، وتستورد عمان الكيروسين والسكر والخشب والصناديق الخشبية لتعبئة التمور فيها، وكان حجم الصادرات العمانية ضخما والتمور من صادراتها الرئيسية، تصدر عمان حوالي (40) الف طن من التمور سنويا من ثلاثة انواع من حيث جودتها، وتصدر من احسن نوع منها حوالي (10) آلاف طن من الصناديق الخشبية والاكياس، ومن الدرجة الثالثة تصدر في اكياس بقيمة (75) روبية لكل كيس، ويكلف النوع الثالث من 40 إلى 50 روبية لكل طن، وتصدر التمور من الدرجة الاولى إلى اوربا فقط، والانواع الاخرى تصدر عبر العالم كله، وتصدر عمان الليمون الجاف وعرف اللؤلؤ الذي اما من الناتج المحلي أو يستورد

من سقطرا (سقطرى)[1] وتصدر سلطنة عمان الليمون الجاف إلى كل من البصرة وبغداد، وتبلغ صادراتها منه (200) طن، وسعره (112) جنيها استرلينيا لكل طن، ومن السلع الروسية المقبولة في الدول الخليجية وعمان السكر والسكر الكريستال والكيروسين، ولدى روسيا فرص كثيرة لتكثيف تجارتها في هذا الجزء من آسيا»[2].

من جانب آخر كان للبحرين ايضا مكانة في استقبال السفن الروسية في ميناءها، وهي تحمل بضائع لبيعها في اسواق البحرين، وشراء اللؤلؤ من مصائد البحرين المشهورة بانتاجه، وعلى وفق ما ذكرته المصادر الروسية فان السفينة «سيليكا» وقبطانها (جاسكين) زارت البحرين خلال المدة (10 تشرين الاول -12 تشرين الثاني 1901) في زيارتها الاولى بتاريخ 12 نيسان 1901، وقد قام فريق من القادمين في اليخت بالاستفسار عن الاوضاع التجارية السائدة في البخرين وجمع عينات من الاقمشة والسكر وصناعات الزجاج، لكنهم غادروا البحرين بعد رفض شيخها عيسى بن علي آل خليفة اعطاءهم موافقة تحريرية، تتضمن عدم وجود اي قيود على تجارتهم

(1) تقع جزيرة سوقطرة وفي بعض المصادر تسمى سوقطرى في مدخل البحر الأحمر، وتمثل أهمية استراتيجية في حركة التجارة العالمية بين الشرق والغرب، بإشرافها على حركة الملاحة والتجارة في البحر الأحمر والمحيط الهندي باتجاه الخليج العربي، احتلها البرتغاليون عام 1507 في محاولة للقضاء على نفوذ سلاطين المماليك.

- M.A. Cook; A History of the Ottoman Empire, London, 1967, p. 89-90.

(2) سيرجي جريجوريف، عمان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مجلة الوثيقة، العدد الحادي والأربعون، السنة الحادية والعشرون، يناير (كانون الثاني) 2002، ص 170-169.

في البحرين، ثم توجهت السفينة «سيليكا» إلى مسقط وابو ظبي، ثم زارت السفينة البحرين ثانية في تشرين الاول 1901 وغادرتها في 12 تشرين الثاني، وقد اخبر قبطانها مستر (جاسكين) نائب الوكيل السياسي (البريطاني) في البحرين بانه وزملاؤه الروس اشتروا الآلئ في الاخيرة بحوالي (3000) فرنك وانهم ربحوا ربحا مضاعفا بلغ (100٪) بعد ان باعوها في اوربا، ولما عاد الفريق مرة اخرى وجد الاسعار مرتفعة جدا، فاستثمر (3000) روبية فقط في شراء اللؤلؤ، ولكن الفريق اصيب بخيبة امل لخسارته فصمم الا يكرر التجربة»[1].

مقابل ذلك شهد عام 1902 ارسال الحكومة الروسية بعثة على رأسها «شينكوفينكوف» للاطلاع على اوضاع الخليج العربي السياسية ومعرفة مدى قوة النفوذ البريطاني، ومما ورد في سجل تلك الرحلات: «تم ارسال بعثة إلى ولايات ما بين النهرين التركية، وبعد انتهائها وضع «فينكوف» كتابا مهما، يتضمن معلومات عن الوضع السياسي بذلك الوقت في بلاد ما بين النهرين والخليج العربي يقر بسيطرة بريطانيا على الخليج العربي»[2].

تكرر اسم البحرين في المصادر الروسية في كتابات «نيقولاي بوغايافلنسكي» عالم الجيولوجيا الذي كان يعمل موظفا في المتحف الجيولوجي وقد وصل البحرين في مطلع نيسان 1902، وجاء فيه: «ان

(1) نقلا عن: علي أبا حسين، لمحة حول العلاقات التاريخية بين روسيا ودول الخليج العربية، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والثلاثون، السنة الثامنة عشرة، يناير (كانون الثاني) 1999، ص 40.

(2) نقلا عن: أو. أي. ردكين، الرحلات المنتظمة للسفن التجارية الروسية للخليج العربي 1904–1900، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) 2007، ص 346.

البحرينيين كانوا على استعداد ان يطوروا علاقاتهم مع روسيا بمشاهدة السفن التجارية الروسية عند جزر البحرين، ويهتمون بموقف روسيا من الدولة العثمانية ومعرفة حياة المسلمين في روسيا متأثرين بالدعاية الانكليزية بانهم يعتقدون بان الروس يفرقون في المعاملة بين الروس المسلمين ويجبرونهم على ان يعتنقوا المسيحية...، وجمع «بوغايا فلنسكي» خلال اقامته في البحرين مجموعة من نماذج للتاريخ الطبيعي وصور المدينة وما حولها، ثم عاد إلى بوشهر وبندر عباس متجها إلى مسقط التي وصلها في 12 تموز 1902»[1]، مما يشير ذلك إلى توجه متزايد بين اهل البحرين يروم التخلص من السيطرة البريطانية على بلادهم، والبحث عن حليف اوربي ربما يدعم استقلال بلادهم في خضم استمرار التنافس العثماني- البريطاني بالحصول على مناطق النفوذ في بلدان الخليج والجزيرة العربية.

والملاحظ في هذه المدة في العلاقات الروسية مع امارات الخليج والجزيرة العربية، هو في تلمس تصاعد الاهتمام الروسي بتجارة المنطقة، ومما يؤكد ذلك التوجه ارسال الجمعية الروسية للملاحة البحرية والتجارة وكلاء يعملون على دعم وتشجيع النشاط التجاري الروسي، فان ما ذكره القنصلان الروسيان في بغداد «أ. آداموف وأ. سافينوف» بضرورة تطوير التجارة مع المنطقة، إذ كتبا ما يأتي: «لا بد لنا تحقيق نجاح في صفقاتنا التجارية من دراسة المنطقة بعمق من الناحية التجارية، حيث يجب ان يشارك في هذه العملية البالغة الاهمية وكلاء الجمعية الروسية للملاحة البحرية والتجارة،

---

(1) علي أبا حسين، لمحة حول العلاقات التاريخية بين روسيا ودول الخليج العربي، ص 44.

الذين سبقوا ان اقاموا صلات لا يستهان بها مع التجار الاجانب، مما اسفر عن توفير منطلقات ملائمة للاطلاع على التجارة المحلية، وباشر اصحاب الشركات التجارية الروسية في جمع المعلومات اللازمة لهم لدراسة اوضاع الاسواق الخليجية والبحث عن وكلاء محليين لتسويق البضائع الروسية وبيعها، الامر الذي من شأنه ان يساعد روسيا على تفادي نشوب خلافات مع انجلترا للسيطرة سياسيا واقتصاديا وتجاريا على منطقة الخليج العربي»[1].

ونظرا لاتساع المصالح الروسية في عموم المنطقة، فقد تطلب الامر من الاوساط الرسمية البحث عن وسائل لترسيخ الوجود الروسي هناك، بناء على مقترحات اعضاء البعثات الدبلوماسية والتجارية العاملين في الموانيء والمدن الخليجية، لا سيما وان هناك معارضة بريطانيا حقيقية لتلك المخططات الروسية وهي تعمل جاهدة في الحد منها، واعتمادا على ما يحويه ارشيف السياسة الخارجية من تقارير بعثتها القنصلية الروسية في بوشهر عام 1902، من ذلك ما عرضه السيد «جوجير A. Goguyer[2]» الوكيل التجاري الفرنسي الجنسية التابع للشركة الروحة للملاحة والتجارة، بتقريره المؤرخ في 8 تموز

(1) نقلا عن: يفجيني سيدوروف، تاريخ العلاقات السياسية والدبلوماسية الروسية بدول المنطقة، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشرة، يوليو (تموز) 1997، ص 69-68.

(2) وصل عمان التاجر الفرنسي جوجير في آذار 1899، وهو تاجر السلاح الفرنسي المعروف، حقق أرباح طائلة من تجارته، حتى إنه قدم إلى سلطان عمان قروضا مالية. فاضل محمد الحسيني، الصراع البريطاني - الفرنسي حول تجارة الأسلحة في عمان 1914-1900، مجلة الوثيقة، العدد الحادي والأربعون، السنة الحادية والعشرون، يناير (كانون الثاني) 2002، ص 137.

1902 من مدينة مسقط، عن اوضاع البحرين السياسية وحكم آل خليفة البلاد وهم من قبيلة عتبة، واليكم نص ما ذكره: «وقد قدمت عشيرة بني عتبة إلى البحرين منذ (120) سنة خلال فترة احتلالها وكان وقتئذ السكان الاصليون يعانون من تردي الاوضاع في شتى الميادين، وربما لذلك اصبح السكان الاصليون في البحرين بالمقارنة مع امارات عربية صغيرة يخدمون الهنود اكثر، وتستخدمهم بريطانيا وتتكفل بحمايتهم ضد اعتداءات السكان الاصليين وفقا لمعاهدة[1] عام 1880، يجب ان تكون البحرين تحت الرعاية الدولية، ولكن سرعان ما توتر الوضع حتى وصل الامر في العام الماضي إلى أن يضطر الامير الحاكم ان يعلن ابنه الاكبر[2] وليا للعهد، بعد موافقة الحكومة البريطانية، وفي الوقت نفسه انني على علم ان امراء بني عتيبة هم في الحقيقة خصوم الانجليز...، وفي هذه الحالة اود ان اقترح ما يلي:

1. زيادة عدد العائلات ذات الاصل الفارسي التي ستكون تحت رعاية الإمبراطورية الروسية لان كل الاوربيين قد وجدوا انفسهم تحت رعاية القنصلية الانجليزية فعندما يكون في هذه المنطقة تزايد في اتباع روسيا من الممكن ان نوجه عنايتنا باعادة النظر بلا شك في معاهدة عام 1880 بعد موافقة الامراء.

---

(1) عقدت الاتفاقية بين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة والحكومة البريطانية عام 1888، تعهد فيها شيخ البحرين بأنه لا يتفاوض أو يدخل في معاهدة مع أية دولة أجنبية، ولا يقبل بتأسيس قنصليات لأية دولة أو إقامة أي مستودعات للفحم في بلاده إلا بموافقة الحكومة البريطانية.

- A. Foroughy; Bahrain Island, New York, 1951, p. 125.

(2) وهو الشيخ حمد، وتم ذلك بعد صدور وثيقة أعيان البحرين عام 1897.

2. انشاء محطة نقل روسية في المنامة وبالذات منح الرعاية للوكالة التي ستعمل هناك (ولا يوجد لدي مرشح لهذا المنصب).
3. الاعانة في انشاء المنشآت.
4. اختيار الفرصة المناسبة وتقديم طلب الامير الحاكم إلى الدول المتقدمة على موافقتها بقبول امارته كحليف لها ومن الممكن لامراء الامارات العربية الصغيرة الاخرى ان يخطو نفس هذه الخطوة.

وختم المبعوث الروسي ما دونه من آراء بشأن العمل على تطور علاقات روسيا مع امارات الخليج والجزيرة العربية في دعوته في العام نفسه إلى سيطرة بلاده على جوادر الواقعة على ساحل الخليج العربي لمكانتها التجارية، وترجم توجهاته تلك بالسطور الآتية: «اما منطقة جوادر فربما استطيع ان اتحمل المسؤولية بعقد الصفقة الخاصة بسيطرة روسيا على هذه المنطقة تحت غطاء شركة للتجارة والانتاج، والتي يجب عليها ان تحقق كل ما هو ضروري في العمليات الحربية وجمع المعلومات بهدف تأمين الوضع في المستقبل...، وضرورة فتح مفوضيات روسية في المناطق المجاورة لبوشهر وان شيوخ العرب اقاموا علاقات الصداقة مع القنصلية الروسية حال افتتاحها في بوشهر»[1].

(1) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية في موسكو، الملفة 210، القنصلية في بوشهر (1918-1901) القائمة 623، الإضبارة 9، الأرشيف السياسي لسنة 1902، الصفحات 32-31، تاريخ 23 سبتمبر (أيلول) 1902م، نقلا عن: الفيرافارخوفا، المراسلات الدبلوماسية والمراسلات الشخصية المتعلقة بمسقط من خلال الوثائق التاريخية المتعلقة بأرشيف السياسة الخارجية لإمبراطورية روسيا في موسكو لعام 1905-1902، مجلة الوثيقة، العدد السادس والأربعون، السنة الثالثة والعشرون، يوليو (تموز) 2004، ص 113-109.

ولعل من الضروري التوقف عند التقرير الذي اعده العميد البحري «رانشنستاين» قائد الطراد» اسكولد» عن رحلته في الخليج العربي المؤرخة في تشرين الثاني 1902، وهو معروف كاحد ضباط البحرية الروسية، ويتضمن تفاصيل عن حكم فيصل بن تركي سلطان عمان وعلاقته مع القبائل، فضلا عن بريطانيا، وموارد بلاده المالية، وتسليط الضوء على الوكالات الاوربية العاملة في مسقط، واشارته إلى مشاعر الارتياح التي يكنها العمانيون والسلطان إلى الروس حين قدموهم إلى عمان، وفيما يأتي نص التقرير ذات الصلة بموضوع الدراسة: «لقد زار الطراد «اسكولد» ميناء مسقط في 19 تشرين الثاني 1902، وهي مدينة رئيسة لسلطنة عمان، ويمكن اعتبار القبائل البدوية التي تسكن عمان شبة مستقلة، ويبرم جلالة السلطان (فيصل بن تركي) اتفاقات خاصة معها، واحيانا يدفع لهم معونات مالية. ويتلقى السلطان من حكومة الهند سنويا ما يعادل (150) الف فرنك فرنسي، ومصدر الدخل الآخر هو الضرائب المفروضة على البضائع المستوردة من قبل الاجانب، وتبلغ حوالي (150) الف فرنك فرنسي...، ان عدد الاوربيين في مسقط سبعة فقط، وهم قناصل كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية واربعة تجار، امتلك سلطان مسقط سابقا باخرتين استخدمهما للاغراض التجارية، ولكنهما عاطلتين عن العمل، واشترى باخرة جديدة من بومباي، لكنها لم تصل إلى مسقط حتى الآن، وتبحر البواخر حاملة المسافرين والبضائع التجارية بصورة منتظمة من مسقط وتزور الموانيء الخليجية الاخرى

وكذلك ميناء كراتشـي في الهند...، وتوجد دكاكين كثيرة في المدينة لكن لا يوجد أي فندق من درجة ملائمة للاوربيين، ويزود المقاولون السـفن باللحـم والدجـاج والليمون والخيار والخبـز والمياه المعدنية والمعلبات، وفي 20 تشـرين الثاني رحب بنا جلالة السـلطان فيصل، وتـرك اللقـاء اثـرا طيبا عن اخلاقه وسـلوكه الكريم، وقدمت لجلالته ضباط الطراد «اسكولد» انه لطيف ومثقف ورحب بنا بلطف وكياسة، قال لنا جلالته انه يفرح كلما زارت سفينة روسية حربية ميناء مسقط، واثنـاء مقابلتـه وجـه جلالته لنا بعض الاسئلة عن طريق المترجم، ما اكـد لنـا بانـه كثيـر الاطلاع عن بناء سـفن حربية حديثـة، وعما يدور فـي اوسـاط اوربـا والعالـم، وتلقينا كـرم الضيافة منـه وتناولنا القهوة والمشـروبات، ثم اصطحب اخاه وابنه والحاشـية للطراد، وطلب من الفرقة الموسيقية عزف ترنيمة روسية، وطلب نقل تحياته للإمبراطور الروسي، واقترح جلب مصانع روسية لعمان، مما يربح التجار الروس الكثير[1]».

وممـا يدلـل علـى الاهتمـام الروسـي والرغبة في زيادة النشـاط البحـري والتجـاري فـي مناطـق الخليج العربي، هو فـي توجه بعض الرحالـة والتجـار بالحصـول علـى المعلومـات الجغرافيـة والمناخية والاقتصاديـة عـن تلك الامـارات من القنصليات الروسـية الموجودة فـي عمـوم المنطقـة، قبـل سـفرهم اليهـا، لاجـل ان يكونـوا علـى اطـلاع باوضاعهـا وطرقهـا الملاحية وظروفها المناخيـة قبل زيارتهم

(1) سيرجي جريجورف، المصدر السابق، ص 173-172.

لهـا، وجسـد ذلـك الامـر «نيقـولا بوجوبافلينسـكي»[1] رئيـس الفـرع الجيولوجي لجمعية هواة علم الطبيعة وعلم الانسان والانثروجرافيا، الذي وجه رسالة إلى القنصلية الروسية في بوشهر، طلب فيها تقديم بعض المعلومات اللازمة لرحلته، بوصفه اول جيولوجي روسي يزور المنطقة، وقدم الاسئلة الآتية[2]:

1. فـي اي شـهر مـن الربيـع أو الصيـف تسـمح الظروف الطقسـية بالعمل هناك.
2. في اي بقعة من الخليج توجد اماكن صيد اللؤلؤ وكيف يمكن زيارة هذه الاماكن.
3. هـل يستحسـن احضـار النقـود تحويلا عن طريـق بنك دولي أو احضارها على شكل عملة ذهبية روسية أو انجليزية.

---

(1) بوجوبافلينسكي: ولد في مدينة ريازان في وسط روسيا سنة 1870، تخرج من جامعة موسكو، فرع العلوم الطبيعية سنة 1894، ثم بدأ العمل في المتحف الجيولوجي لجامعة موسكو ابتداءً من سنة 1895، قام برحلات عدة إلى الصين وإيران وتونس ومصر وتركيا والهند وسيلان، وفي آذار - أيار 1902 قام برحلته إلى الخليج العربي، وبعد أن جمع مواد كافية اخذ يلقي محاضرات وأصبح أستاذاً مساعدا في جامعة موسكو، وفي 1906 نال شهادة الماجستير والدكتوراه التي كان عنوانها «المراد لدراسة تكوين البيضة في مسائل الوراثة وفي سنة 1919 أنشأ معملا بيولوجيا في بلدة بولشيفو قريبا من موسكو، وقام بتجارب علمية في مجال علم الأنسجة والأجنة، توفي في 14 تموز 1914. لمزيد من التفاصيل ينظر: جينا دي جوريا تشكين، شبه الجزيرة العربية كما رآها الروس من 1800 - إلى 1950 بعثة علمية لنيقولا بوجوبافلينسكي إلى الخليج العربي سنة 1902، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشرة، يوليو (تموز) 1997، ص 89.

(2) أرشيف سياسة روسيا الخارجية (أ. س. ر. خ) الصندوق 147، قنصلية بوشهر، القائمة 623، إضبارة 3، 1902-1901، الصحيفة 5-4، نقلا عن: المصدر نفسه، ص 85-84.

وقد اجاب «افسيينكو» القنصل الروسي في بوشهر في مذكرته في التاسع من كانون الثاني 1902:

1. ان الظروف الطقسية للخليج يمكن اعتبارها ملائمة للاعمال الجيولوجية العلمية في موسم الشتاء فقط الذي يستغرق هنا تقريبا ستة اشهر من اكتوبر (تشرين الاول) إلى مارس (آذار) ولا يمكن ان ينفذ بالكاد عمل جدي في الربيع (اغسطس (آب)- سبتمبر(ايلول). اما في الصيف فالعمل اثناءه مستحيل.
2. يمكن اصطياد واستخراج اللؤلؤ بصورة اساسية من جزر البحرين وكذلك من الجزر الواقعة في قطاع مدينة لنجة والراغبون في مشاهدة عملية الاصطياد هذه يمكنهم ان يركبوا الباخرة لكي يتوجهوا إلى لنجة أو إلى جزر البحرين، وبعد ذلك ينتقلون على زورق شراعي إلى الجزر القريبة.
3. ان الاحتياطات النقدية يجب احضارها إلى بوشهر ذهبا (جنيهات استرلينية وليس عمله روسية) أو اوراق نقدية لتحويلها في البنوك الايرانية في بوشهر أو اصفهان أو شيراز.

ووفق ما ذكره زميله» نيقراسوف» فان التقاط «فلينسكي» صور لأشخاص ومناظر طبيعية في الخليج العربي، اثار مخاوف السلطات البريطانية، إذ كانوا يظنون بانه يتجسس لصالح روسيا، وان ذلك كان يمكن ان يعرضه لخطر شديد، وكما نرى في رسائله الثلاث[1]، فان الانجليز كانوا يضعون له عراقيل كثيرة، إذ اوقفوا حقائبه في الجمرك، وعطلوه في استئجار بيت في البحرين، واجلوا اكثر من مرة موعد

(1) يمكن الاطلاع على تلك الرسائل كاملة في ملاحق الكتاب.

لقائه مع شيخ البحرين الشيخ عيسى[1].

وبحلول عام 1903 نلحظ تطورا ملحوظا في العلاقات الروسية التجارية والثقافية والقنصلية مع امارات الخليج والجزيرة العربية، واستنادا على ما اوردته الوثائق الروسية عن زيارة طاقم الطراد» بويارين» مسقط عام 1903، التي دونتها على النحو الآتي: «وفي 10 شباط 1903 زرنا مسقط، ويواجه سلطان (عمان) في الوقت الحاضر مشاكل مالية ولم يدفع الرواتب لحرسه الخاص منذ (4) اشهر، ومدخوله قليل جدا بسبب سوء الاحوال التجارية وقلة الضرائب التي هي المصدر الوحيد للدخل، بالاضافة إلى الايجار الذي يحصل عليه من الحكومة البريطانية...، وصفوا بتقاريرهم قصور حكام الكويت ومسقط والاعراف والتقاليد الرائجة هناك، وحسب التقاليد المتبعة يأخذ صاحب البيت قطعة من اللحم ويغطيها بالارز، ويدخلها في فم ضيفه المفضل والمحترم...، استغرب الروس من كثرة الاسلحة في الخليج العربي، فجاء في التقرير: «لا يجوز تقديم الاسلحة كهدية، لانها توجد بكثرة في الخليج من انواع جيدة ويمتلك السكان المحليون الاسلحة العادية والنارية على السواء»[2].

توجه الطراد «بويارين» بعد ذلك إلى بوشهر، حيث صعد اوفسيينكو رئيس القنصلية الروسية العامة في بوشهر على ظهر

---

(1) أرشيف سياسة روسيا الخارجية (أ. س. ر. خ) الصندوق 147، قنصلية بوشهر، القائمة 623، إضبارة 3، 1902–1901، الصحيفة 5–4، نقلا عن: جينادي جورياتشكين، المصدر السابق، ص 86–85.

(2) لمزيد من التفاصيل ينظر: أوليج ردكين، وصف الخليج العربي للرحالة والبحارة الروس، ص 162–161.

«بويارين» وشارك في رحلتها التالية، إذ وصلت الكويت في 5 آذار 1903، حرى استقبالها بحفاوة مميزة، وعلى الشاطئ استقبل الضباط الروس الشيخ مبارك (الصباح) مرتديا حلة العيد، وتقابل معهم مرتين اثناء الزيارة، ويحتوي تقرير القبطان» اوتشين» على وصف مفصل لقاعة استقبال الشيخ مبارك المؤثثة والمزينة بشيء من الابهة والجلال، ويذكر من بين ذلك طاقم اوان من الفضة الخالصة من صنع وارشو، ومعطف فرو هندية من تجار روس كانوا يمارسون التجارة بفراء الحملان بشروط متهاودة للغاية تحت رعاية الشيخ مبارك...، وتضمن التقرير وصفا لمدينة الكويت وضواحيها، وكذلك للخندق الدفاعي نصف الدائري المحيط بالمدينة....، ثم اتجه الطراد إلى بندر لنجة وبندر عباس، وكان قلق الانجليز من ازدياد النفوذ الروسي يظهر هنا ايضا، فقبل يوم من وصول» بويارين» إلى بندر عباس، وصلت إلى هنا سفينة» سفيكس» البريطانية التي حاول قبطانها ان يستفسر من الشيخ الذي كان يملك الجزيرة، عما إذا كانت روسيا قد اشترت فعلا جزيرة هرمز»[1].

وعلى اثر دخول عبد العزيز بن سعود[2] الرياض عام 1902 واستعادة حكم نجد بعد هزيمة آل الرشيد حكام حائل بالمعركة، فقد استثمر الروس ذلك التطور السياسي والعسكري الذي تحقق

---

(1) أرشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف السفارة في القسطنطينية، إضبارة رقم 1244، ص 22، نقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي، ص 27-25.

(2) تمكن ابن سعود بعد قيادته لقوة تألفت من أربعين محاربا من دخول الرياض في 15 كانون الثاني 1902، وتخلص من حكم محمد بن رشيد أمير حائل. عبد الله فيلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب السلفية، تعريب عمر الديراوي، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، (د. ت)، ص 278.

لامير نجد، وزار الضباط الروس الذين جاءوا برفقة السفينة «بويارين» مرتين عبد العزيز بن سعود في نيسان 1903 الذي وصل مؤخرا من الرياض، فاحسن وفادتهم، وقام بمعية شقيقيه محمد بن سعود ومسعد بن سعود بزيارة جوابية للسفينة...، واحتوى التقرير على وصف للاحتفالات التي اقيمت قرب مدينة الرياض بمناسبة انتصار ابن سعود على ابن الرشيد»[1].

استمرت مسقط تحظى باهتمام الاوساط التجارية والسياسية الروسية لعوامل عدة- اسلفناها- ومما يعزز ما ذهبنا إليه ما قدمه» أوفسيينكو» القنصل العام الروسي في بوشهر بتاريخ 4 كانون الثاني 1904 إلى وزارة الخارجية لإمبراطورية روسيا، مقترحا اهمية انشاء مفوضيات روسية اخرى في اهم المناطق المجاورة لبوشهر، ولا سيما مسقط[2] لاهميتها التجارية والاستراتيجية، مبينا تفاصيل بشأن دورها الملاحي والتجاري واعطاءها الاولية بالمقارنة مع مناطق الخليج والجزيرة العربية الاخرى، ومما ورد فيه الآتي: «تحظى مدينة مسقط باهمية سياسية واقتصادية فانها لا تعتبر مركزا تجاريا على الخط الساحل للجزء الشرقي للجزيرة العربية فقط، ولكن على ساحل مهران الذي يتبع مسقط من الناحية الاقتصادية، وان السفن

(1) أرشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف السفارة في القسطنطينية، إضبارة رقم 1244، ص 22، نقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي، ص 26.

(2) من المؤكد أن موقع عمان الجغرافي وامتلاكها لموانئ كثيرة على ساحل الخليج العربي قد أدى بأن يكون الملاحون العمانيون قد أسهموا بنشاط وافر في مضمار التجارة العالمية، فضلا عن دورهم في طرد البرتغاليين من المنطقة عام 1650 والسيطرة على الجزء الأكبر من شرق أفريقيا. روبرت جيران لاندن، عمان منذ عام 1856 مسيرا ومصيرا، ترجمة محمد أمين عبد الله، (د. م)، 1970، ص 26.

التجارية الروسية لا يمكنها ان تمر بهذا الميناء البحري المتطور بصورة ظاهرة، إذ إن الملاحة الروسية لم تحظ برعاية المفوضية الروسية الرسمية حتى الآن، وقد حدد قباطنة السفن الحربية الروسية مسقط كافضل النقاط من جميع الاعتبارات بالمقارنة مع نقاط الخليج العربي الاخرى لاقامة مستودع للفحم الحجري والذي تكون السفن الحربية والتجارية الروسية الداخلة إلى الخليج العربي في امس الحاجة إليه...، يجب تأسيس مفوضية سياسية روسية في مسقط، إذا ما درسنا المسألة من وجهة نظر المصالح الوطنية من الشروط الثلاثة التالية:

1. اهمية موقع مسقط الجغرافي ودورها الاقتصادي في الخليج العربي وخليج عمان.
2. نشاط الانجليز بمسقط ذو الابعاد المغرضة والذي هو موجه بلا شك إلى احتلال هذه الارض.
3. وجود الامكانية الكاملة في ان نتصدى لنشاط الانجليز بالوسائل السلمية وبالتالي نضعف تأثيرهم في المنطقة من جهة، ومن اخرى نقيم العلاقات الاقتصادية بين بلاد فارس وروسيا.

وبالنسبة لما هو موضح في البنود الثلاثة السابقة تعتبر مدينة مسقط كما يلي:

1. تقع مدينة مسقط على نهاية ساحل عمان وهي اهم النقاط الامامية على خليج عمان، وفي الوقت نفسه تعتبر مركزا ملاحيا هاما لتجمع الملاحة الدولية في المحيط الهندي.
2. وبصفتها عاصمة لسلطنة مسقط تعتبر المدينة اهم النقاط الجاذبة

لكل السكان العرب من الواحات الداخلية المتعددة في الجزء الشرقي الجنوبي لجزيرة العرب.

3. ومـن ناحيـة البحر، لـم تطور مسـقط العلاقـات التجارية الدائمة مع اقرب جيرانها على السـاحل الغربي لخليج عمان وسـواحل الخليج العربي وكل جزرها والهند وبلوخستان ومهران فحسب، بـل اقامـت علاقات مع ابعـد الموانيء في عدن وجدة وموانيء البحر الاحمر الاخرى، وكذلك مع مصر وحتى مع بعض موانيء اوربا الغربية وامريكا وآسـيا الشـرقية، واما من ناحية البر فتقوم مسقط بعملية التبادل التجاري المستمر (بواسطة تنقل القوافل) مع كل الواحات الداخلية لجزيرة العرب الشرقية والجنوبية.

4. تعتبـر مسـقط بحكم موقعها الجغرافـي واهميتها كمركز تجاري مركـز جـذب للعديـد مـن ممثليـات الحكومـات والشـعوب المختلفة من جهتي البحر والبر، ولذلك قد تستخدم مسقط من قبل مفوضية روسـيا كمركز مراقبة جيدة على مجرى الحوادث السياسية والاقتصادية والتجارية.

5. وقـد اولـى الانجليـز عنايـة كبيـرة إلـى اهمية مسـقط السياسـية والاسـتراتيجية والتجارية منذ زمن طويل واسـتفادوا من ضعف الشـيوخ الاصليين واعدوا الاسـاس لانتشارهم على كامل طول الساحل العربي.

6. يجب علينا ان نوقف الآن وبالطرق السـلمية اسـتقرار الانجليز الذي يسـتمر دون ما رقيب بمسـقط بالذات وعلى كل السـاحل العربي للخليج العربي، والا فان ذلك الاستقرار قد يقيم لهم بلا

شك قاعدة قريبة مريحة للتأثير الناتج على كل الساحل الفارسي الجنوبي المجاور لمسقط بما فيه الجزر»[1].

وعلينا التذكير بان اتساع المصالح الروسية في الخليج والجزيرة العربية خلال العقد الاول من القرن العشرين، قد شجع المبعوثين الروس إلى الولوج في مجتمعات تلك الشعوب، ومحاولة التعرف على اوجه نشاطهم التجاري، ولم تكن الاماكن المقدسة في الحجاز بعيدة عن متابعة الروس لحركة التجارة والسكان فيها، لا سيما في موسم الحج، إذ يفد إلى الحرمين الشريفين الحجاج من مختلف بلدان العالم، ولعل الرحلة التي قام بها «نيكوسكي» وهو القائم بالاعمال الروسي في جدة عام 1904، وما سجله من انطباعات عن الجزيرة العربية، لا سيما الحجاز، تعطينا صورة واضحة عن اعداد الحجاج وتعامل بعضهم بالتجارة، ودون في مذكراته ما يأتي: «انه يزور مكة في السنة الواحدة عدد يتراوح بين ثمانين الف ومائتي الف حاج، والاندونيسيون هم اغنى هؤلاء الحجاج، ويليهم الحجاج القادمون من روسيا ومصر، واما افقر الحجاج فهم الهنود...، ويضيف قائلا» وصل ما مجموعه سبع وستين الف شخص في موسم الحج لسنة 1904-1905 عن طريق ميناء جدة وينبع، اما مجموع العام للحجاج الذين زاروا مكة في هذه السنة فيقدر بين مائة وخمسين الف ومائتي الف شخص، وتعتبر هذه العناصر الوافدة جميعها مستهلكا كبيرا

---

(1) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية في موسكو، الملفة: 210، القنصلية في بوشهر (1918-1901) القائمة 623، الإضبارة 156، الخليج العربي، الصفحات 87-80، تاريخ 4 يناير (كانون الثاني) 1904م، نقلا عن: الفيرافاراخوفا، المصدر السابق، ص 117-115.

للبضائع والسلع على الرغم من ان كثير من الحجاج يجلبون معهم إلى مكة ايضا بضائعهم الخاصة لبيعها هناك»[1].

والملاحظ احتفاظ الوثائق الروسية المتعلقة بالمنطقة بسياسة روسيا الخارجية بملفات تضم بين دفتيها رسائل يبعثها القناصل الروس إلى حكومتهم، موضحين فيها جانبا من نشاطهم الدبلوماسي والتجاري، وما يودون طرحه من آراء بشأن تطور العلاقات الروسية مع مناطق الخليج والجزيرة العربية، إذ جاء برسالة القنصل الروسي العام في بوشهر» نيقولاي باسك» إلى قبطان السفينة «تروفر» التابعة للشركة الروسية للملاحة والتجارة السيد «فينجير جينوفسكي» المؤرخة في 22 كانون الثاني 1905 الآتي[2]:

الى السيد قبطان السفينة تروفور المحترم

اتشرف ان اخبركم انه عند رحلة الاياب من الخليج العربي إلى اوربا يجب عليكم ان تمروا بمسقط لاستلام الجمال مع ادلائها على ظهر سفينتكم الموثوق بها لان صاحب السمو سلطان مسقط يبعثها عبر جدة إلى مكة المكرمة.

وجاء ببرقية القنصل الروسي العام في يوشهر»نيقولاي باسك» إلى وزارة الخارجية، القسم الاول، سان بطرسبرج.

بوشهر 22/ 1/ 1905م.

« اسعد ما ارسلت اليكم برقية صباح اليوم استلمت خبرا عن وصول السفينة «تروفر» ال مسقط بتاريخ 23/ 1/ 1905وقد امرت القبطان بالدخول إلى مسقط حيث سيستلم الاوامر فيما بعد.

---

(1) ب. م. دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة وتعليق معروف خزنه دار، وزارة الثقافة والإعلام، 1981، ص 340.

(2) المصدر نفسه.

وفيما يأتي رسالة السيد «جوجوير» إلى القنصل العام «باسك» في مسقط مؤرخة في 3/ 3/ 1905.

الى السيد القنصل المحترم

الحاقا برسالتكم المرسلة الينا بتاريخ 21/ 2/ 1905 ارسلت بيد رسوم محترم إلى السيد فيصل (بن تركي) رسالتكم الموجهة اليه طي رسالتنا بتاريخ 24/ 5/ 1905 حيث حالت ظروف اقامة الحداد على اخيه في تسليمه الرسالة الشخصية، وقد قمت كذلك باضافة بعض الكلمات الخاصة التي تعبر عن رغبتي بمقابلته شخصيا، وارسل لي السلطان احد اخوته حيث عبرت له عن عميق تعزيتي بوفاة اخيهم، وفي 31/ 5/ 1905 اخبرني السلطان من خلال رسوله بامكانية لقائه في اليوم التالي، وفي اليوم التالي ذهبت لمقابلته الا انني فوجئت باتخذا السلطان بعض التدابير الاحترازية وعلى سبيل المثال انه قد طلب من شقيقه وابنه الاكبر البقاء خلال مدة المقابلة التي امتدت لساعة واحدة، وقد حالت هذه التدابير بين مناقشة المواضيع الشخصية، واقتصرت المحادثة حول المواضيع العامة، وحسب رأي فان تصرف السلطان يمكن ان يعزى لسببين هامين:

الاول: هو سبب شخصي يتعلق بوجود الوكلاء الانكليز الذي يحيطون بالسلطان بهدف تطويق المعاهدة الانجليزية العمانية والموفقه عام 1891م[1]، اضافة إلى رغبتهم باجراء بعثة علمية في

(1) تضمنت المعاهدة أو الاتفاقية على تعهد حاكم مسقط بعدم التنازل أو تأجير جزء من أراضيه إلا بإذن الحكومة البريطانية، وعده كرزن نائب الملك في الهند خطوة لوضع عمان تحت الحماية البريطانية.

- Lord, Curzon; Persia and Persian Question, London, 1891, p. 453.

المناطق الداخلية لعمان، وان من الممكن ان تؤدي إلى طلبات اكثر طمعا في السلطان، خصوصا في حالة تعرض الباحثين لاستقبالهم استقبال غير طيب من مواطني السلطة، ويتعلق السبب الثاني بالوضع السياسي العام، حيث انه بالرغم من كون السلطان شخصا اميا لا يجيد القراءة والكتابة، الا انه مفاوض ماهر بامكانه استغلال الوسائل للاتصال مع الانجليز وتقوية العلاقات معهم في نفس الوقت، فانه إذا ما حدث وانتصرت روسيا في الحرب مع اليابان، بالرغم من ان كثير من دول اوربا الصديقة لروسيا تشكك في هذا الانتصار[1]، فانه من الممكن ان يتحول موقف السلطان باتجاه اقامة علاقات افضل مع روسيا، اما فيما يخص بعلاقتنا الخاصة مع السلطان فانني اعتقد بانها اصبحت طيبة بعد زيارتهم لمسقط في شهر يوليو(تموز) الماضي، الا انني اضيف ان السلطان شخص حذر جدا في التعبير عن رضائه، حيث من الصعوبة معرفة مدى قناعته أو ارضائه عن هذا الامر أو ذاك». اخيرا تقبلوا احترامي العميق وتقديري[2].

ويفرض الامر على المؤرخ وهو يدون احداث التاريخ ان يتقصى تلك الوقائع بروح فاحصة غير منحاز لاية جهة، ويتحرى دون ملل طبيعة تلك التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية عن طريق مقارنة النصوص واستخلاص بعض الحقائق التي يمكن من خلالها الوصول إلى المعلومة التي تنفع من يدون تلك الاحداث

---

(1) وبالفعل خرجت روسيا من حربها مع اليابان عام 1905 خاسرة.

(2) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية في موسكو، الملفة 210، القنصلية في بوشهر 1918-1901م، القائمة 623، الإضبارة 42 مسقط، الكويت، البحرين، سنة 1905، الصفحة 56، تاريخ 22 يناير (كانون الثاني) 1905، نقلا عن الفيرافاراخوفا، المصدر السابق، ص 124-120.

واهميـة الرجـوع إلى مصادر اخـرى للافادة مما اوردته من معلومات بشان ذلك، وتوافقا مع المنهج التاريخي العلمي الذي ارتأينا الالتزام به، على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في تقرير باللغة الروسية تحت عنـوان (وصـف مختصر لجزيرة البحريـن وتجارتها) كتب عام 1905 و1906 محفوظ في ارشـيف وزارة الخارجية، ويقع في ثمان عشـرة صفحة، اسـتعرض الاخطار الخارجية التي تعرضت لها البحرين منذ بدايـة العصـور التأريخيـة الحديثة، لا سـيما مـن البرتغاليين والفرس، ومما ورد فيه الآتي: «اسـتولى البرتغاليون بالقوة على جزر البحرين عام 1517[1] وذلك لاستغلال اللؤلؤ استغلالا صحيحا في مياه الخليج العربي، واحترفوا هذه الحرفة (115) سنة، ولكن طرد الشاه الفارسي (عبـاس الصفـوي) (1501–1524) البرتغاليين عام 1622[2]، فاسـتولى على هذه الجزر ورغم النزاعات الشديدة بين الفرس والقبائل العربية في حق ملكية هذه الجزر واسـتغلالها فان الفرس امتلكوها إلى عام 1784[3] وفـي هـذه السـنة اسـتغلت القبائـل العربيـة مـن العتوب (آل خليفة) ضعف الفرس ورجعت مجموعة جزر البحرين»[4].

---

(1) الصحيح في 27 تموز 1521.

(2) طردهم الإنكليز والفرس عقب تحالفهم عام 1622 من هرمز، ولكن الفضل يعود للعرب العمانيون في عهد اليعاربة الذين أخرجوهم من مسقط عام 1650 آخر معاقلهم في الخليج العربي، كما أن الشاه عباس الصفوي توفي في عام 1528 بتاريخ سابق من هذه الأحداث.

(3) تشير غالبية المصادر التاريخية إلى أن فتح البحرين كان في 28 تموز 1783 على يد الشيخ أحمد بن خليفة (1794–1783) من العتوب.

(4) علي أبا حسين، من العلاقات الثقافية بين روسيا ودول الخليج العربي، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والثلاثون، السنة الثامنة عشرة، يناير (كانون الثاني) 1999، ص 45.

ولدينا تقرير عن النتائج المتحققة من انشاء قنصلية روسية في بوشهر عام 1905، وقد تم افتتاحها عام 1900 ترأسها «جابريل فلاديميروفيتش اودسينكو» الذي كان سكرتيرا لقنصلية روسيا في بغداد قبل ذلك، فقد اشار في خلاصة موجزة للنتائج المتحققة والعلاقة مع السكان، والفوائد الاقتصادية، لاجل تمكين روسيا من مواجهة النفوذ البريطاني بالآتي: «خلال عدة سنوات تحققت نتائج واضحة، مواجهة الانكليز الامر الذي اثار حماس السكان المحليين واقامة صلات سياسية وتجارية وحضارية وثقافية بين الروس والخليجيين، وانشاء خط ملاحي بين اوديسا والبصرة وافتتاح فوع للبنوك الروسية في المنطقة»[1].

ومن الضروري الاشارة إلى أن الاضبارات[2] التي يضمها ارشيف الحكومة الروسية في بطرسبرج يحتوي معلومات كثيرة عن الخط الملاحي التجاري الروسي بين اوديسا على البحر الاسود إلى البصرة، من القرن التاسع عشر حتى عام 1917، إذ ارسل القيصر الروسي «اوفسيينكو» في البصرة تقريره الآتي إلى ادارة الشركة

---

(1) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية المحفوظة بالسفارة في القسطنطينية، الملف 517/ 2، الإضبارة 156، 1913-1901، القنصلية في بوشهر، ص 6-5، نقلا عن: جينادي جاريا تشكين، من هم القناصل الروس في شبه الجزيرة العربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مجلة الوثيقة، العدد السادس والأربعون، السنة الثالثة والعشرون، يوليو (تموز) 2004، ص 135.

(2) الأرشيف الروسي التاريخي في بطرسبرج، الملف رقم 107، القائمة رقم1، الإضبارة رقم 1766 سنة 1906، الوثيقة ص 45-44 من الإضبارة، الشركة الروسية للملاحة والتجارة، نقلا عن: يافعة يوسف جميل، العلاقات التجارية بين روسيا والخليج العربي من خلال الوثائق التاريخية لعام 1914-1906، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشرة، يوليو (تموز) 1997، ص 142.

الروسية للملاحة والتجارة في سان بطرسبرج، يوضح به النشاط التجاري لمدن الخليج العربي عام 1906 وحركة التحميل والتفريغ لاحدى السفن الالمانية في موانيء المنطقة على النحو الآتي:

الوثيقة: الصفحة 44-45 من الإضبارة

النسخة غير اصلية «مصدق عليها»

«السفينة التجارية الثانية للشركة الالمانية «Hamburg- America-Linic» السفينة التي دخلت الآن الخليج، كانت ذات ساريتين واسمها سيسيليا (Cicilia) وزنها (1865) طناً سرعتها 11ميلاً.

دخلت السفينة المذكورة الموانيء بحسب الترتيب التالي وقامت بالعمليات التالية:

10 ايلول دخلت مسقط وافرغت (288) مكانا من حمولتها من بينها (40) صندوقا من الاسلحة والرصاص، وتركت مسقط مساء نفس اليوم وحملت على متنها (3) ركاب إلى لنجة وبوشهر.

11 ايلول صباحا وصلت إلى بندر عباس وافرغت (370) صندوقا من الكبريت و(8) اماكن من المنسوجات، وتركت بندر عباس ليلا في (11) ايلول واخذت معها كيسين من السمك المجفف و(18) راكبا إلى البصرة بـ(9) روبيات لكل واحد وراكباً واحداً إلى لنجة بـ(3) روبيات.

في 12 ايلول في الساعة الثانية بعد الظهر وصلت لنجة وافرغت (873) مكانا من حمولتها فقط من بينها (150) صندوق معكرونة و(356) صندوقاً من السكر و(300) صندوق من السكر المكرر و(10) اماكن من المنسوجات و(57) مكانا غيرها من البضاعة، وتركت لنجة في (13) ايلول ظهراً واخذت منها (15) كيساً من السمك المجفف

و(10) اكيسا من الارز للبحرين و(26) راكبا للبصرة.

14 ايلول ظهرا وصلت البحرين وافرغت (668) مكانا فقط من حمولتها ومنها (300) صندوق من السكر المكرر و(30) صندوقاً من المعكرونة ومكانين من المنسوجات و(5) اماكن من الاواني و(40) مكانا من الاقمشة و(15) صندوقا من الكبريت و(5) صناديق من الحديد وصندوقا واحدا من البضائع المختلفة، وفي الثالثة بعد الظهر غادرت جزر البحرين وحملت على متنها (13) راكبا إلى البصرة[1].

تردد اسم ميناء جدة على البحر الاحمر بوصفه منفذ الحجاز ومدخل الجزيرة العربية البحري مع العالم الخارجي، فضلا عن البصرة والمحمرة والبحرين في مراسلات الشركة الروسية للملاحة والتجارة، التي كانت سفنها تنقل الحجاج الوافدين إلى الحرمين الشريفين بعد اداءهم فريضة الحج وزيارتهم الاماكن المقدسة، عبر ميناء جدة إلى موانيء الخليج العربي، وفيما يأتي نص ما ورد في احد وثائق الشركة الروسية:

الوثيقة صفحة 58 من الإضبارة رقم 429/ ب.ل 7

الشركة الروسية للملاحة والتجارة

اوديسا 3 شباط1907م

رقم الختم 359

تاريخ الختم 9 شباط 1907م

---

(1) الأرشيف الروسي التاريخي في بطرسبرج، الملف رقم 107، القائمة رقم1، الإضبارة رقم 1766 سنة 1906م، رقم الختم: 924، تاريخ الختم 6 نيسان 1907، ص 45-44 من الإضبارة، نقلا عن: يافعة يوسف جميل، المصدر السابق، ص 143.

ادارة الشركة الروسية للملاحة والتجارة

يتشرف المكتب الرئيسي بابلاغ الادارة بان سفينة «الفرات» والتي قامت بالرحلة الاولى على الخط الفارسي من اوديسا غادرت في الاول من هذا الشهر جدة في طريقها إلى البصرة وقد اخذت من هذا الميناء حوالي 1000 حاج إلى البحرين والمحمرة، وقد كانت اجرة النقل البحري 64.000 فرنك.

وبما ان الدخول إلى جزر البحرين لم ينظر فيه في عقدنا مع الحكومة، لذا استنادا إلى البند الثالث من العقد وحسب رأي المكتب الرئيسي انه بما ان هذه الجزيرة تقع على الخليج فان دخول السفن إليها لا يحتاج إلى طلب خاص، وانما يكفي ان يبلغ قسم الملاحة والتجارة الامر[1].

توقيع المدير

توقيع رئيس القسم التجاري

ومن الجدير بالذكر ان دائرة الاحصاءات الخارجية التابعة لوزارة القوات البحرية الروسية، تحتفظ بوثائق ذات اهمية عن منطقة الخليج العربي من الناحية الجغرافية وبيان تضاريس المنطقة وحدودها، وبيان اهم جزرها، والثروة السمكية، فضلا عن اللؤلؤ المستخرج من مصائد الخليج العربي واماكن تصديره وعدد السفن العاملة بهذا النشاط التجاري، وقد احتوت تلك الوثائق الرسمية لعام 1906 على

---

(1) الأرشيف الروسي التاريخي الحكومي في بطرسبرج، الملف رقم 107، القائمة رقم 1، الإضبارة رقم 1766 سنة 1906، الوثيقة صفحة 58 من الإضبارة، الشركة الروسية للملاحة والتجارة . نقلا عن: يافعة يوسف جميل، المصدر السابق، ص 144.

وصف المنطقة على النحو الآتي: «ان مساحة الخليج العربي (525) ميلا طولا و(200) عرضا غالبا، وفي جنوبه يربطه بالمحيط الهندي مضيق هرمز وعرضه (28) ميلا، والساحل الشمالي (ايراني) منطقة جبلية شديدة الانحدار ومنفصلة فجأة وبفجوات عميقة في الساحل، في حين يقع خليجان منخفضان في الجنوب على الساحل العربي، أي خليج هرمز وخليج البحرين وعلى الساحل الشمالي سلسلة من الجبال، هناك عدة قصبات تجارية عربية تماما تحتكر التجارة الساحلية، وتوجد جزء كبيرة عديدة كالبحرين وقشم وقيس وجزر صغيرة، والمياه الخليجية ثرية في الحيوانات وتصلح لصيد السمك طوال السنة، ويتم تجفيف الاسماك في الشمس وتباع في الجزيرة العربية وزنجبار وحتى الهند، ويشكل صيد اللؤلؤ المصدر الرئيسي الطبيعي للدخل، وتشارك (5000) سفينة و(7000) نسمة في صيد اللؤلؤ سنويا، ويبلغ الدخل من اللؤلؤ (2,5) مليون روبل سنويا، وتقع اثرى مصائد اللؤلؤ بالقرب من البحرين[1] وتصدر اللآلئ إلى كل من بغداد وبومباي واوربا»[2].

واعطتنا الوثائق نفسها وصفا لمدينة البصرة والكويت وعمان والبحرين عام 1906 الواقعة شمال الخليج العربي واشكال

---

(1) أصبحت البحرين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الأول في تصدير اللؤلؤ إلى بلدان العالم الأخرى، وغدت البحرين اكبر مركز تجاري في منطقة الخليج العربي، حتى صار حجم تجارتها يشكل حوالي (45،7٪) من حجم التجارة في موانئ الخليج العربي المختلفة. لمزيد من التفاصيل ينظر: صبري فالح الحمدي، أضواء على تاريخ البحرين الحديث، دار الحكمة، لندن، 2007، ص 150.

(2) أوليج ردكين، وصف الخليج العربي للرحالة والبحارة الروس، ص 164-163.

التبادل التجاري فيها وانواع البضائع التي تصدرها، والاخرى التي تستوردها من الخارج، مما كان دافعا لطلب التجار من الجانب الروسي انشاء شركة تجارية تقوم بالاشراف وتنظيم النشاط التجاري بين الجانبين، واليكم نص ما ذكرته دائرة الاحصاءات الخارجية الروسية: «ان البصرة مركز تجاري هام على ساحل شط العرب، عدد سكانها عشرون الف نسمة، وارضها خصبة، ويزرع فيها التمر ويتم تصديره إلى الخارج، وتصدر الخيل ايضا من البصرة، تبلغ قيمة الصادرات (14) مليون روبل وقيمة الواردات (13) مليون روبل سنويا، وتستورد البصرة من الهند القهوة والنيلة والارز والتوابل والاخشاب من اجل صناعة السفن، ومن الصادرات الرئيسية يمكن ذكر الالواح الخشبية الصغيرة التي تستخدم لتعبئة التمر، وتستورد هذه الاخشاب من آسيا الوسطى، وتصدر إلى الخارج سنويا بقيمة (3) ملايين من الروبيات، وتشكل البصرة نقطة مرور هامة ما بين بغداد والخليج العربي، وتنظم شركتان احدهما انجليزية والثانية تركية (عثمانية) الخطوط الملاحية، وقد عرض التجار من كل من البصرة وبغداد استعدادهم لانشاء شركة ملاحية تجارية، وعرضوا على السفارة الروسية في استنبول انشاءها تحت علم روسي ووجهوا دعوة للجمعية الروسية للملاحة البخارية والتجارة للمشاركة في المشروع...، اما الكويت فهي احسن ميناء على ساحل الخليج العربي وتجري فيه تجارة نشطة، ويصدر التجار الروس الجلود إلى الكويت، وهذه السلعة رابحة جدا، ومن بين صادرات الكويت يمكن ذكر الصوف والجلود والعنبر،

والكويت لا تستورد البضائع التجارية لان السفن التجارية لا تزورها على العموم، غير ان السفن التجارية الروسية عند زيارتها للكويت تأتي بالبضائع كالكيروسين والخشب والقماش...الخ، وتقع سلطنة عمان على ساحل خليج عمان، تبلغ صادراتها (4) ملايين روبل سنويا، ومن صادراتها الرئيسية التمر الذي ينضج قبل شهرين من تمر البصرة، وتبلغ قيمة الواردات السنوية (8) ملايين روبل، وتتكون من الارز والقهوة والمنسوجات والقمح والحبوب الاخرى والاسلحة، وتزور مسقط سنويا حوالي (800) سفينة تجارية، كما توجد معادن فحم في جنوب مسقط...، وهناك الجزيرة الرئيسية (البحرين) في الارخبيل تمتد إلى (27) ميلا طولا و(10) اميال عرضا، والجزر الاخرى هي كل من المحرق وسترا وبنية صالح، يبلغ سكان هذه الجزر (70) الف نسمة، والمدينة الرئيسية هي المنامة وتقع في جزيرة البحرين، وعدد سكانها (25) الف نسمة، يبلغ عدد القرى في الجزيرتين مائة قرية، ويشكل صيد الؤلؤ الحرفة الرئيسية وتشارك فيه حوالي (900) سفينة. ويتكون طاقم كل سفينة من 8 إلى 40 رجلا، تنتج البحرين التمر والبريسم وقماش الاشرعة والحصران من القصب، وتبلغ صادراتها (9) ملايين روبل والواردات (10) ملايين روبل»[1].

شهد عام 1907 وصول بعثة علمية برئاسة «ان. بوجويا فيلنكسي» إلى الخليج والجزيرة العربية، إلى المحمرة اولا الواقعة في شمال شرق الخليج العربي، وتوافينا المصادر الروسية تفاصيل

(1) أوليج ردكين، وصف الخليج العربي للرحالة والبحارة الروس، ص 167–165.

هـذه الزيـارة فـي السـطور الآتية: «ونتيجة اسـتلام رسـالة توصية من القنصـل الروسـي فـي بوشـهر» ام.جـي. اوفسـيينكو» ارسـل الشـيخ خزعـل شـيخ المحمـرة سـكرتيره إلـى «بوجويافلينسـكي» يدعـوه ان يسـكن قصره، وفي اليوم التالي اعرب له عن اقصى مشـاعر الصداقة لروسـيا واسـتعداده الشـخصي لتقديـم أي خدمـة له، وعقـب مغادرة الشيخ خزعل، قال سكرتيره للمبعوث الروسي: بان الشيخ كان شديد التعاطف مع روسيا، وذكر على سبيل المثال بان قصر الشيخ قد شيده مهندس روسـي واسـتوردت كافة المسـتلزمات للقصر من روسيا بناء علـى امـر شـخصي من الشـيخ...، وعندما وصل إلـى الكويت يذكر «بوجيافلينسكي» «بأن الشيخ مبارك الصباح قال له «انني اعتبر الروس اصدقاء ويسرني عندما يأتون لزيارتي، وانا دائما على اهبة الاستعداد لاعمل لهم ايه تسهيلات يريدونها»[1].

اثـارت التحـركات الروسـية مـن خـلال زيـارة السـفن التجارية والقناصـل الـروس، فضـلا عـن علمـاء الطبيعـة والمهندسـين، مـدن الخليـج العربي، ولقاءاتهم مع شـيوخ وسـكان المنطقـة، ومحاولتهم اقامـة علاقـات صداقة مع الاخيرين مخاوف السـلطات البريطانية في الخليـج والجزيـرة العربية خوفا على مصالحهم المتنامية، الامر الذي كان دافعا لزيارة سفن الاسطول البريطاني لمواجهة التوسع الروسي، وهو الامر الذي اكدته الوثائق الروسـية لعام 1910، وهي تشـير إلى تحركات البريطانيين وجهودهم الدؤوبة لزيادة عدد سفنهم وتزويدها

(1) لمزيد من التفاصيل ينظر: نيكولاي دياكوف، بعض الوثائق عن تاريخ العلاقات بين روسيا وبلدان الجزيرة العربية، ص 70-69.

باسلحة حديثة للحيلولة دون زيادة الوجود الروسي، وفيما يأتي نص الرسالة التي بعثتها الشركة الروسية للملاحة والتجارة بهذا الخصوص الموجهة إلى ادارة الشركة في سان بطرسبرج:

الوثيقة صفحة 149 من الإضبارة
الشركة الروسية للملاحة والتجارة
3 حزيران 1910م
رقم الختم 358
تاريخ الختم 7 حزيران 1910
الى ادارة الشركة في سان بطرسبرج

«اضافة إلى رسالتنا المؤرخة في 30 ايار من هذا العام بـ347 / ب.ل.10 يتشرف المكتب الرئيسي بابلاغ الادارة بانه وحسب المعلومات التي وصلت الينا من وكلينا في بوشير بان الانجليز مازالوا يضاعفون قوتهم البحرية والبرية على حدود الخليج وقد ارسلوا للتو عدة سفن حربية من الهند مزودة بالاسلحة والمهندسين العسكريين والبغال وغيرها من المعدات.

وان بعض الصحف مثل صحيفة «التايمز الهندية» وغيرها تنوه بصورة واضحة ومكشوفة بنوايا انجلترا وبانها عزمت على ان تحتل جنوب بلاد فارس.

ويتبين هذا من مضاعفة القوات الانجليزية بصورة مستمرة، مثل القوة الموجودة تحت قيادة الادميرال الذي يشرف على القوة البحرية الانجليزية في الخليج.

وقد اضيفت إلى السفن الحربية حديثا والتي يبلغ عددها ما يقارب الـ13 سفينة والمنتشرة على شواطيء الخليج سفن حديثة

تشبه القاطرات بوزن 100-500 طن ومزودة بالمدفعية وقد جاء كل أركان الحرب والقواد من انجلترا[1].

وبالرغم مما يصرح به الانجليز من ان الهدف الرئيسي من وجودهم هنا هو مكافحة استيراد الاسلحة الممنوعة الا انهم يعملون وبشكل واضح وصريح بدرجة ان احدا لا يخفى عليه اهدافهم الحقيقية. ولتغطية التكاليف اعطت الحكومة الهندية قرض مقداره (5,000,000)ملايين فرنك في السنة لكل من عامين 1910 و1911 ويقال انه لولا ما قدمه محافظ شيراز في هذه المسألة من طاقة وهمة لتوصل الانجليز إلى خطتهم المرسومة.

توقيع المدير

توقيع رئيس القسم التجاري

وعلى اثر التطورات السياسية الداخلية التي شهدتها عمان[2] عام 1913 ووقوع الحرب بين الامامة في داخل عمان، والسلطان في مسقط، وتدخل بريطانيا إلى جانب سلطان مسقط، فان المصادر

(1) الأرشيف الروسي التاريخي الحكومي في بطرسبرج، الملف رقم 107، القائمة رقم 1، الإضبارة رقم 1922 سنة 1909، الوثيقة صفحة 149 من الإضبارة، الشركة الروسية للملاحة والتجارة . نقلا عن: يافعة يوسف جميل، المصدر السابق، ص 49-48.

(2) زحف الثوار في شهر آب1913 نحو المدن العمانية حتى سيطروا على الممرات الواقعة في وادي سمائل الذي يمثل الممر الوحيد الذي يربط بين مسقط ومطرح والداخل، مما هدد العاصمة مسقط، دفع ذلك بريطانيا إلى دعم قوات السلطنة ومنع الثوار من احتلال ساحل عمان. خليل إبراهيم صالح المشهداني، التطورات السياسية في عمان وعلاقاتها الخارجية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1986، ص 58-47.

الروسية ارخت تلك الاحداث على الشكل الآتي: «اندلعت بسبب خضوع سلطان مسقط للبريطانيين، وعقب وفاة فيصل (ابن تركي- السلطان) عام 1913 وتولي ابنه تيمور، واختار الثوار سالم بن راشد الخروصي اماما لهم، والفوا دولة مستقلة واتخذوا نزوة (نزوى عاصمة عمان الداخلية) عاصمة لهم، وفي مدة قصيرة حرر الثوار جميع اراضي عمان باستثناء مسقط والمناطق الساحلية التي كانت تحت حماية الاسطول البريطاني، مما اضطر سلطان مسقط عام 1920 التوقيع على معاهدة الصلح والاعتراف باستقلال امامة عمان»[1].

وعلى الرغم من قرب اندلاع الحرب العالمية الاولى عام 1914 فان الاوساط الروسية كانت تتوقع استمرار تدفق البضائع والتجار الروس إلى موانيء الخليج والجزيرة العربية، ولا سيما الكويت والبحرين ومما يعزز ذلك ان الارشيف التاريخي في سان بطرسبرج لعام 1913 اوضح تلك المعلومات بالسطور الآتية: «وفي بعض الرسائل والوثائق تطلب الشركة الروسية للملاحة والتجارة الدخول بصورة اختيارية إلى كل من مينائي البحرين والكويت، وان البحرين والكويت كانت تدخلان ضمن جدول الرحلات كموانيء تجارية، لان بعض الوثائق تتوقع لهذين الميناءين مستقبلا جيدا كما هو مذكور في الوثيقة المذكورة في الإضبارة رقم 2206 لعام 1914»[2].

(1) لوتسكي، تأريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دار الفارابي، بيروت، 1980، ص 419.

(2) الأرشيف الروسي التاريخي الحكومي في بطرسبرج، الملف رقم 107، القائمة رقم 1، الإضبارة رقم 2206 سنة 1913، الوثيقة صفحة 14و16 من الإضبارة، الشركة الروسية للملاحة والتجارة . نقلا عن: يافعة يوسف جميل، المصدر السابق، ص 140.

استنتاجات البحث:

خلص البحث إلى بيان النقاط الآتية:

اولا: ان الاهتمام الروسي في الخليج والجزيرة العربية له اصوله التاريخية القديمة، رغم انشغال روسيا باوضاعها الداخلية وبعد المسافة بينها وبين المنطقة، بدليل محاولة الروس الوصول إلى المياه الدافئة والمحيط الهندي عن طريق فارس أو العراق، أو من خلال السفن البحرية التي نشطت بالتحرك واقامة خط ملاحي بين الموانيء الروسية وموانيء الخليج والجزيرة العربية، بغية ترويج منتوجاتها التجارية هناك، ولارضاء عدد كبير من المسلمين في ولاياتها المسلمة وهم يرومون اداء فريضة الحج بالديار المقدسة في الحجاز.

ثانيا: تزايد النشاط الروسي مع اطلالة القرن العشرين، إذ اكتسبت منطقة الخليج والجزيرة العربية اهمية كبرى في سياسة روسيا الخارجية، وتلازمت مصالح وزارة الخارجية مع نوايا التجار الروس واصحاب الصناعة الذين كانوا يبحثون عن اسواق جديدة لمنتجاتهم المحلية، ولاقى الاهتمام بانشاء خط ملاحي بين موانيء البحر الاسود وموانيء الخليج والجزيرة العربية اهتمام الحكومة لانعكاساته السياسية في روسيا ومشاركة اسرة القيصر في تنظيم رحلات ملاحية للمنطقة بانتظام.

ثالثا: عدت روسيا المنطقة موضوع البحث سوقا لمنتجاتها الوطنية، خاصة المنسوجات والمأكولات والمعكرونة وادوات المائدة وحبوب السكر والكيروسين والشمع والزجاج والخزف الصيني والخشب، وتطلب تحقيق متطلبات ذلك تنظيم الخط الملاحي الذي اوجب على المعنيين الروس ادخال تعديلات على مواصلات السكك

الحديد داخل روسيا ونقل وتسليم البضائع في المواعيد المحددة والرسوم الجمركية للملاحة التجارية.

رابعا: ورغم مظاهر الترحيب للروس بحارة وتجارا ودبلوماسيين من شيوخ وسكان المنطقة على كل المستويات، لكنهم لم يحاولوا الافادة من ذلك الترحيب، وظلت زياراتهم متقطعة ونظروا إلى الخليج والجزيرة العربية من بعيد، ولم يجعلوها في جوهر استراتيجياتهم الخارجية، مقابل نجاح تجارتهم في بيع بضائعهم المتنوعة هناك، وبامكان ذلك زيادتها وتصريفها في اسواق المنطقة.

المصادر والمراجع

- الوثائق الروسية:

1. ارشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف السفارة في القسطنطينة، إضبارة رقم 1244، ص 53-52، نقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي 1903-1899. الناشر: ي. ريزفان، دار التقدم، موسكو، 1990.
2. ارشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية في موسكو، الملفة 210، القنصلية في بوشهر (1918-1901) القائمة 623، الإضبارة 9، الارشيف السياسي لسنة 1902، الصفحات 32-31، تااريخ 23 سبتمبر (ايلول) 1902م، نقلا عن: الفيرافارخوفا، المراسلات الدبلوماسية والمراسلات الشخصية المتعلقة بمسقط من خلال الوثائق التاريخية المتعلقة بارشيف السياسة الخارجية لإمبراطورية روسيا في موسكو لعام 1905-1902، مجلة الوثيقة، العدد السادس والاربعون، السنة الثالثة والعشرون، يوليو (تموز) 2004.
3. ارشيف سياسة روسيا الخارجية (أ.س.ر.خ) الصندوق 147، قنصلية بوشهر، القائمة 623، إضبارة3، 1902-1901، الصحيفة 5-4، نقلا عن: جينادي جورياتشكين، شبه الجزيرة العربية كما رآها الروس من 1950-1800 بعثة علمية لنيقولا بوجوبا فلينسكي إلى الخليج العربي سنة 1902، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشرة، يوليو (تموز) 1997.
4. ارشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية المحفوظة بالسفارة في القسطنطينية، الملف 517/ 2، الإضبارة 156، 1913-1901، القنصلية في بوشهر، ص 6-5، نقلا عن: جينادي جاريا تشكين، من هم القناصل الروس في شبه الجزيرة العربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية

القرن العشـرين، مجلة الوثيقة، العدد السـادس والاربعون، السـنة الثالثة والعشرون، يوليو (تموز) 2004.

5. الارشـيف الروسـي التأريخي في بطرسـبرج، الملف رقم 107، القائمة رقم1، الإضبارة رقم 1766 سنة 1906، الوثيقة ص45-44 من الإضبارة، الشـركة الروسـية للملاحـة والتجـارة، نقـلا عـن: يافعة يوسـف جميل، العلاقـات التجارية بيـن روسـيا والخليـج العربـي مـن خـلال الوثائـق التاريخيـة لعـام 1914-1906، مجلـة الوثيقـة، العـدد الثانـي والثلاثون، السنة السادسة عشرة، يوليو (تموز) 1997.

- الرسائل الجامعية:

1. خليل ابراهيم صالح المشهداني، التطورات السياسية في عمان وعلاقاتها الخارجيـة، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة، كليـة الآداب، جامعة بغداد، 1986.

- الكتب العربية والمعربة:

1. ب. م. دانتسـيغ، الرحالة الروس في الشـرق الاوسـط، ترجمة وتعليق معروف خزنه دار، وزارة الثقافة والاعلام، 1981.
2. روبرت جيران لاند، عمان منذ عام 1856 مسيرا ومصيرا، ترجمة محمد امين عبد الله، (د.م)، 1970.
3. عبـد العزيـز عبـد الغنـي ابراهيم، السـلام البريطاني فـي الخليج العربي 1899--1947 دراسة وثائقية، دار المريخ، الرياض، 1981.
4. عبد الله فيلبي، تاريخ نجد ودعوة الشـيخ محمد عبد الوهاب السـلفية، تعريب عمر الديراوي، منشورات المكتبة الاهلية، بيروت، (د.ت).
5. صبري فالح الحمدي، اضواء على تاريخ البحرين الحديث، دار الحكمة، لندن، 2007.
6. ـــــ، صفحات من تاريخ الخليج العربي الحديث، ط1، دار الحكمة، لندن، 2002.

7. ـــــــ، المستشـارون العرب والسياسـة الخارجية السـعودية خلال حكم الملك عبد العزيز بن سعود 1953-1915، دار الحكمة، لندن، 2011.

8. لوتسـكي، تأريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البسـتاني، دار الفارابي، بيروت، 1980.

- الكتب الاجنبية:

1. *Cook, M.A; A History of the Ottoman Empire, London,* 1967.
2. *Curzon, N; Persia and Persian Question, London,* 1891.
3. *Foroughy, A; Bahrain Island, New York,* 1951.
4. *Saldanha, J.A., the (persion)gulf precis, Vol,VIII.* 1872-1905, *Calcutta,* 1906 *(Reprinted in* 1986*).*

البحوث المنشورة:

1. أ. أي. ردكيـن، الرحـلات المنتظمـة للسـفن التجاريـة الروسـية للخليج العربـي 1904-1900، مجلـة الوثيقـة، العـدد الثاني والخمسـون، السـنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) 2007.

2. اوليـج ردكيـن، وصـف الخليـج العربي للرحالـة والبحـارة الروس بين 1906-1897، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والخمسـون، السـنة الثامنة والعشرون، يناير(كانون الثاني) 2009.

3. سيرجي جريجوريف، عمان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مجلة الوثيقة، العدد الحادي والاربعون، السـنة الحادية والشـرون، يناير (كانون الثاني) 2002.

4. علي ابا حسين، علي ابا حسين، من العلاقات الثقافية بين روسيا ودول الخليـج العربـي، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والثلاثون، السـنة الثامنة عشرة، يناير (كانون الثاني)، 1999.

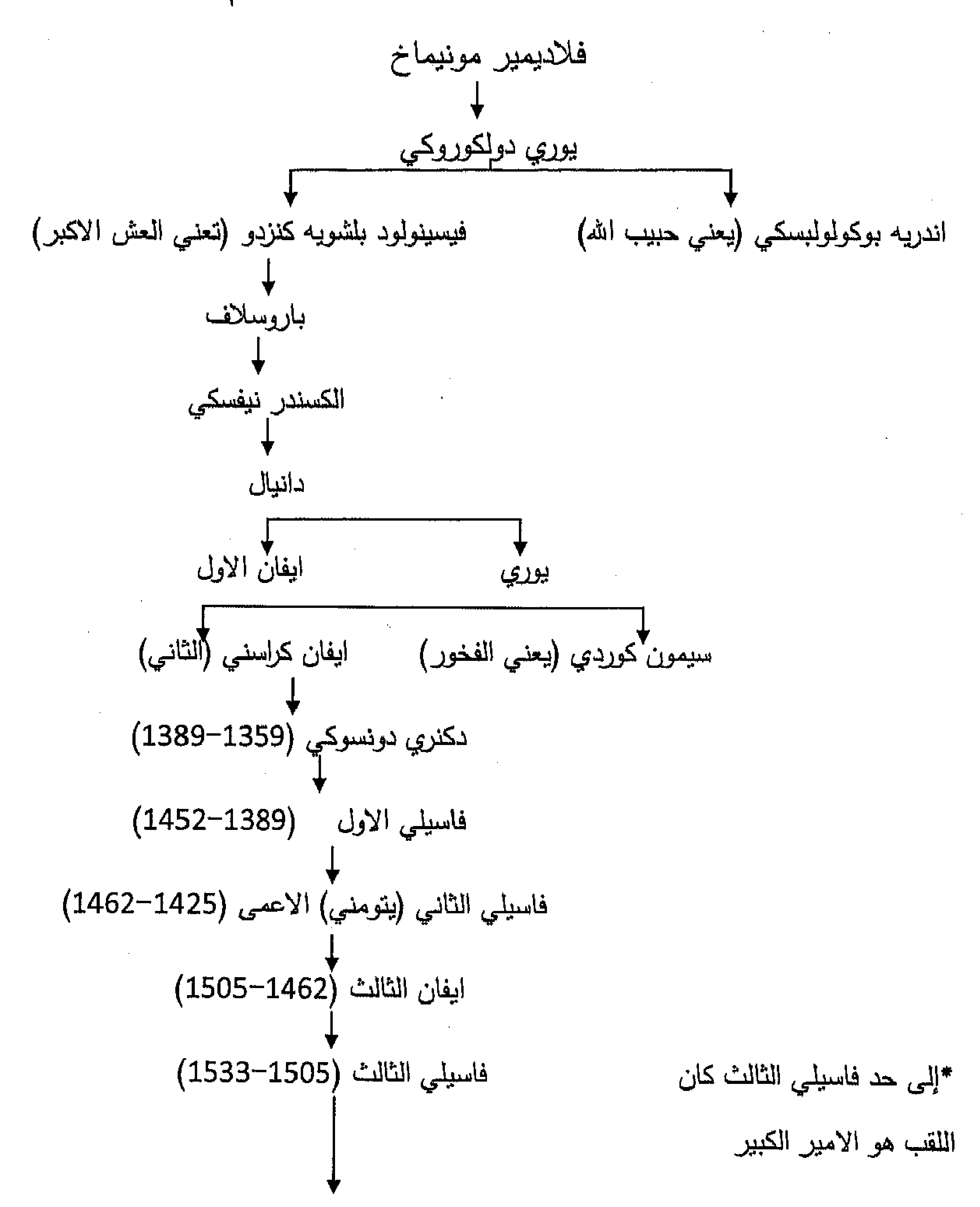
5. ـــــــ، لمحة حول العلاقات التاريخية بين روسيا ودول الخليج العربية، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والثلاثون، السنة الثامنة عشر، يناير (كانون الثاني) 1999.

6. فاضل محمد الحسيني، الصراع البريطاني- الفرنسي حول تجارة الاسلحة في عمان – 1914، مجلة الوثيقة، العدد الحادي والاربعون، السنة الحادية والعشرون، يناير (كانون الثاني) 2002
7. ميخائيل روديونوف، دول الخليج العربي في القاموس العرقي الروسي، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) 2007.
8. ناهدة حسين علي، الملاحة البحرية الروسية في الخليج العربي 1899– 1914، بحوث المؤتمر العلمي السادس عشر (13–11 أيار 2009)، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.
9. نيكولاي إن. دياكوف، شبه الجزيرة العربية والخليج من خلال الوثائق والدوريات بسان بطرسبرج بداية القرن العشرين، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد السادس والاربعون، السنة الثالثة والعشرون، يوليو (تموز)2004.
10. ـــــــ، بعض الوثائق عن تاريخ العلاقات بين روسيا وبلدان الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين المتواجدة في ارشيفات سان بطرسبرج الرسمية، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) 2007.
11. يفجيني سيدوروف، تاريخ العلاقات السياسية والدبلوماسية الروسية بدول المنطقة، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشرة، يوليو (تموز) 1997.

المَلاحِق

ملحق رقم (1)

الامراء والقياصرة الذين حكموا روسيا حتى عام 1917



نقلا عن: جياد صالح الصياد، الامير ايفان الثالث (1462–1505) ودوره في توحيد روسيا، مجلة دراسات تاريخية، ع33، س11، بيت الحكمة، 2012، ص169–167.

**بدل اللقب الى (تسار)اي ايفان الرابع (الرهيب) (1533-1584)

القيصر الروسي فقط في عام 1547

هنا انتهى حكم اسرة روريك فيورد (1584-1598)

↓

هو من غير اسرة روريك بوريس كودونوف (1598-1605)

↓

دمتري الدعي الاول (1605-1606)

↓

فاسيلي شويسكي (1606-1610)

↓

مجلس البويار السبعة (1610-1613)

↓

ميخائيل رومانوف ابن فيودور (1613-1645)

↓

الكسي (1645-1676)

↓ ↓ ↓

فيورد (1676-1682) ايفان الخامس بطرس

بطرس الاول (1682-1725) حول العاصمة الى سان بطرسبرج

وحول لقب التسار الى الامبراطور عام 1721

من سنة 1682 حتى سنة 1689 كان تحت وصاية اخته صوفيا

↓

كاترين الاولى(1725-1727) زوجة بطرس الاول

↓

بطرس الثاني بن الكسي (1727-1730)

↓

انا ايفانوفنا (1730-1740)

↓

ايفان انطونوفج (1740-1741)

↓

اليزابيث بنت بطرس الاول (1741-1762)

↓

بطرس الثالث بقي عدة شهور ، وهو بن بنت بطرس الاول (كان احمق)

كاترين الثانية(1762-1796) زوجة بطرس الثالث قامت بانقلاب ضده

↓

بافل الاول (1796-1801) كان ناقم جدا على امه لانها كانت تعشق الرجال

كثيرا فاصدر قرار يحرم على المرأة اعتلاء العرش

↓

الكسندر الاول (1801-1825)

↓

نيقولا الاول (1825-1855) هو اخو الكسندر الاول (حدثت في زمانه ثورة الديسمبريين)

↓

الكسندر الثاني (1855-1881) اغتيل من قبل جمعية ارادة الشعب (الشعوبيين)

واشترك اليهود في عملية الاغتيال

↓

الكسندر الثالث (1881-1894)

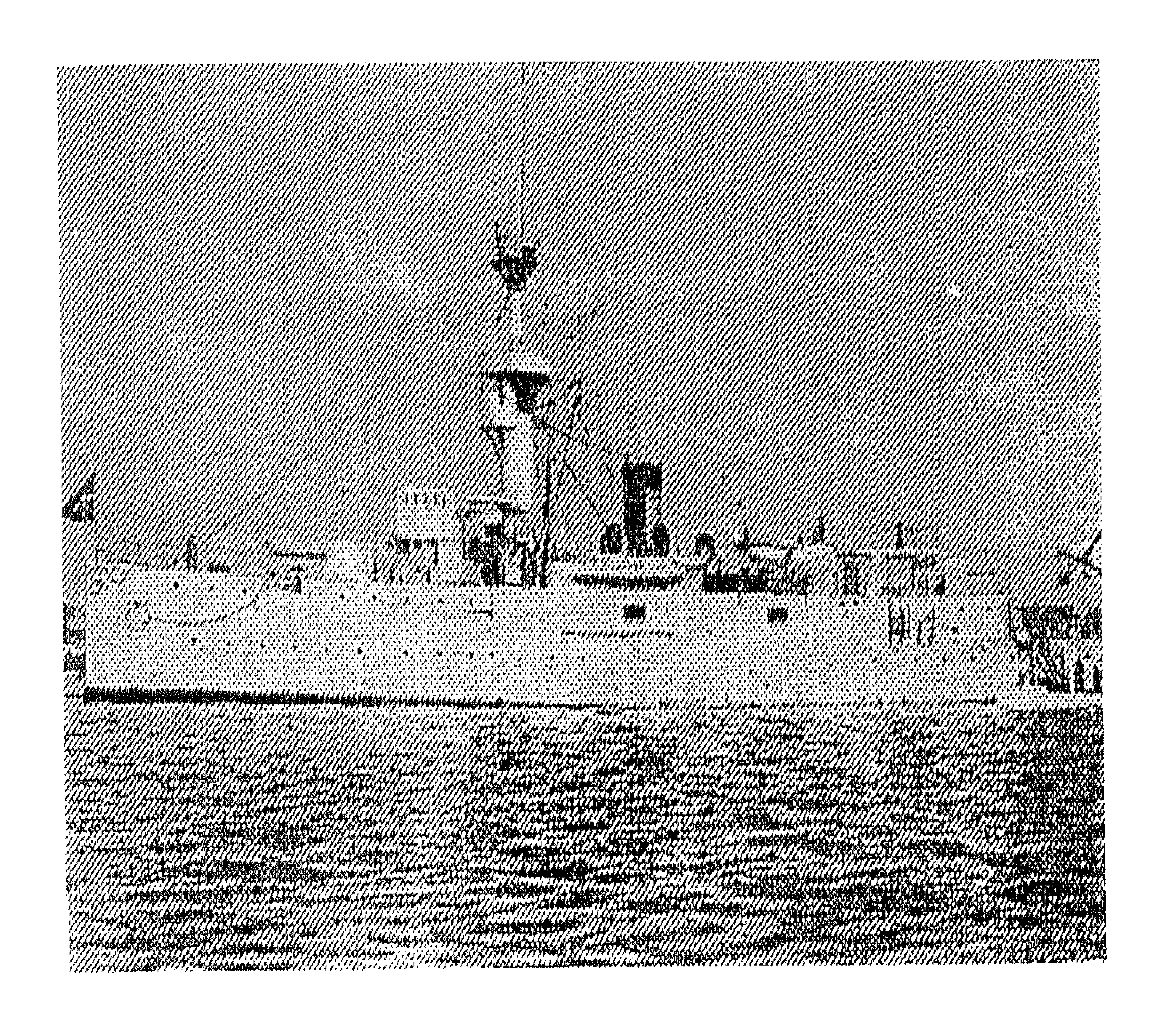
↓

نيقولا الثاني (1894-1917)

قيام ثورة اكتوبر

ملحق رقم (2)

احدى سفن الاسطول الروسي في مياه الخليج العربي عام 1902



ملحق رقم (3)

السفن الروسية القادمة من موانئ البحر الأسود إلى موانئ الخليج العربي بين 1904-1900 وعدد رحلاتها على سبيل المثال لا الحصر

الرحلة الأولى للخليج:

وتم تخطيط الرحلة الاول الاختبارية إلى الخليج ببعثة الباخرة «لازاريف» لتبحر إلى الموانيء الآتية: اوديسا والقسطنطينية وبورسعيد والسويس وجدة وجيبوتي ومسقط وبندر عباس ولنجة وبوشهر والبصرة. وفي آخر لحظة حلت الباخرة «كرونيلوف» محل «لازاريف» ونالت الرحلة الاولى وكذلك الرحلات الاخرى مساعدة مالية من الحكومة الروسية قدرها (52000) روبل لكل رحلة بينما لم يتجاوز الدخل (12440) روبل من اجر شحن البضائع والتذاكر. غادرت «كورنيلوف» اوديسا في 3 فبراير (1901) وعلى متنها (7500) علبة كيروسين بالاضافة إلى البضائع الروسية التقليدية كالفابريكات والاخشاب والسكر. وقد جاء في تقرير لمدير الدائرة التجارية للشركة: «ان الخط الخليجي في الوقت الحاضر والمستقبل القريب يحمل الاهمية السياسية فحسب، بينما تنمية الروابط التجارية تحتاج إلى وقت طويل» ويتضمن التقرير ايضا وصفا مفصلا للموانيء التي زارتها «كورنيلوف» والمعلومات عن الملاحة (كعمق عرض البحر ومرشدي السفن ومواصفات الشاطيء... الخ).

وتوجد المعلومات التالية بالنسبة لمسقط: «قد وصلنا إلى مسقط

في 3 مارس 1901م في الساعة السابعة والنصف صباحا وفيها خليج صغير يكفي لعدد من السفن التي ترسو على بعد حوالي ربع ميل من الشاطيء.. تشرفت بالسلام على سلطان مسقط الذي نظر إلى المشروع الجديد باستحسان اطلقت «كورنيلوف» طلقات تحية من المدفع ونالت الاستجابة من قلعة مسقط ورفع العلم الروسي التجاري لاول مرة فوق القلعة». ولاحقا تقرر رفع عدد الرحلات إلى 4 سنويا.

عقد اجتماع سري في وزارة المال في الصيف عام (1901) لمناقشة نتائج الرحلة الاولى الاختبارية، وتم الوصول فيه إلى توصية تنمية علاقات تجارية مع الخليج في المستقبل.

ينص محضر الاجتماع السري في تنظيم رحلات البواخر على نهر دجلة والملاحة المنتظمة في الخليج من قبل الشركة الروسية للملاحة والتجارة على الآتي: «مهما كانت النتائج التجارية لهذا المجهود، فمما لا شك فيه بان الملاحة بالبواخر في الخليج ذات اهمية سياسية كبيرة وقيل ايضا» واثناء تنظيم الرحلات المنتظمة إلى الخليج يكون موضوع انشاء وكالات في الموانيء الخليجية تحت الدراسة مرة اخرى».

وقد نالت المعلومات عن الرحلات المقبلة اهتماما كبيرا على نطاق واسع ونشرت في الجرائد الروسية والاجنبية على السواء، وفي اول اكتوبر (1901) ابلغت الشركة: «بان الدوق الكبير الاسكندر «ميخايلوفتش» يريد اصدار اعلان فوري عن رحلة إلى الخليج في يناير العام المقبل» وقد تقرر اصدار النشر كما طلب صاحب السمو الامبريالي».

ومما لا شك فيه فان النشاط الروسي في الخليج كان موضع قلق للانجليز، واثناء رحلة باخرة «كورنيلوف» الاولى للخليج رافقتها

السفن الحربية البريطانية، وكتب مراسل جريدة «تايمز» من اوديسا: «تتمتع الشركة بمساعدة الدائرة المالية الروسية التي تمارس سياسة تجارية مجازفة في موانيء الخليج اساسا لتطوير التجارة الخارجية روسيا، والهدف الذي يسير روسيا وهي مصممة على تحقيقه هو فرض قبضتها على الاسواق الجنوبية لايران... وروسيا مستعدة مع تجارها لتكبد الخسائر في الصفقات الاولى مقتنعة بانها ستربح لاحقا بعد كسب الاسواق. وان مسألة الدفاع عن المصالح التجارية البريطانية في الخليج الفارسي خطيرة جدا.

الرحلة الثانية:

لقد اكتسب الخط البحري شعبية في روسيا بسرعة، فكان حجم الشحنات في الرحلة الثانية التي تمت في اغسطس (1901) اكبر بكثير من الرحلة الاولى، وحين كان الطقس اثناء الرحلة الثانية جيدا، كانت الظروف السياسية غير ملائمة وسببت بعض العراقيل، وحسب المذكرة السرية التي وقعها مدير دائرة الملاحة التجارية في 19 فبراير (1902) نعلم ان ضابط الطراد البريطاني قد جاء إلى الباخرة «كورنيلوف» واستجوب رئيس الطاقم وراجع اجاباته للتأكد من صحتها، ونال الحادث انتباها واسعا لدرجة ان اطلع عليه القيصر الروسي، وتقرر لعلم من يهمه الامر «زيارة الضباط الانجليز للسفن الروسية ليس لها جواز قانوني وتشكل خرقا لحقوقنا وتعطي انطباعا للسكان المحليين بان موافقة الانجليز للسفن الروسية لتزور الموانيء الخليجية. وعلى قادة السفن الروسية تجنب اي علاقة بالسفن البريطانية الحربية وخاصة عدم اعطاء اية معلومات عن رحلتهم حسبما في المذكرة».

الرحلة الثالثة:

غادرت «كورنيلوف» في رحلتها الثالثة في 15 يناير (1902) وفي نفس العام غادرت باخرة اخرى جديدة تسمى «تروفور» ايضا على هذا الخط، وعلم ان الباخرة «تروفر» غادرت اوديسا في 30 مايو (1902) متوجهة إلى الخليج وزارت الموانيء التالية: «القسطنطينية وسامرنا ويافا وبورسعيد والسويس وجدة وجيبوتي وعدن ومسقط وجسك وبندر لنجة وبوشهر والبصرة، وتقوم الباخرة بزيارة جدة عادة إذا وجد الحجاج هناك والا مرت بها دون الزيارة.

الرحلة الرابعة:

وفي الرحلة الرابعة حملت «تروفور» على متنها (26517) بود معظمها خشب بالاضافة إلى المنسوجات وادوات المائدة والماكولات والمكرونة، وكما حصل في السابق، كانت الرحلة مدعمة ماليا من قبل الحكومة، وقد جاء في مذكرة موجهة إلى دائرة الملاحة التجارية بتاريخ 31 يوليو (1902): «يتشرف مجلس ادارة الشركة بتقديم طلب إلى الدائرة تسديد (50000) روبل مقابل الرحلة المكلفة إلى الخليج، وربحت «تروفور» من هذه الرحلة (10545) روبل و(84) كوبك، اي(20٪) من الدعم المالي.

الرحلة الخامسة:

وفي هذه الرحلة امتد الخط ليشمل البصرة وتم التخطيط لامتداده حتى بغداد وعلى الرغم من نشر جدول المواعيد الا ان الرحلات كانت تتاخر بصفة دائمة، فغادرت «تروفور» مياه ادويسا في 17 يوليو بدلا من 12 يوليو إلى الخليج «وذلك بسبب اضراب الوقادين

والملاحين» وعلى كل غادرت «تروفور» مسقط في 13 اغسطس وعند العودة في 19 سبتمبر مرت بجدة ووصلت إلى اوديسا في 2 اكتوبر.

وعلى الرغم من مواجهة صعوبات مؤقتة فقد تطورت الملاحة بالبواخر وارتفعت الطلبات للنقل البحري وحملت «كورنيلوف» على متنها الشحنات التالية في اكتوبر عام (1903):

حبيبات السكر	79432,23 (بود)
الكيروسين	15,000 صفيحة
اسمنت	15,000 كيس
الماكولات	1025 (بود)
الاخشاب	320 (بود)
البضائع المتنوعة	410,01 (بود)
المجموع	114,094,17 (بود)

وأثناء هذه الرحلة قامت الباخرة بتفريغ اكثر من ثلث حمولتها في مسقط، اي (35250,05) وفي ذلك الوقت كانت مسقط كما يبدو نقطة تحول بين الموانيء الروسية والساحل العربي للخليج بما فيه (البصرة) ويشهد على ذلك بصورة غير مباشرة قائمة البضائع التي نقلتها «كورنيلوف».

وكالمعتاد كان نقل البضائع مدعما من الحكومة الروسية، وعوضت دائرة الملاحة التجارية تكاليف الشركة في مرورها عبر قناة السويس (وكانت رسوم العبور لـ«تروفور» قد بلغت في المرة الاخيرة مبلغا قدره (96,11512) فرنك وعادت «تروفور» إلى اوديسا عقب رحلتها الاخيرة في 14 يناير (1904).

وكالمعتاد لم يكن تطور الملاحة البحرية البخارية الروسية في الخليج يستهدف الاغراض التجارية فحسب، بل الاغراض السياسية

ايضـا واتخـذ اشـكالا غريبـة، وفـي رسـالته إلى مجلـس الادارة ذكر المكتب الرئيسي مطالب القناصل الروس في الخليج «ضرورة ملحة لنشـر جدول المواعيد باللغة الفرنسـية لمكافحة اللغة الانجليزية التي لهـا جـذور عميقـة فـي الخليج ولا يمكـن للدائرة الرئيسـية ان تضع حدا على نفسـها باسـتخدام اللغة الفرنسـية فحسـب...» وفضلا عن ذلك «تسـتهدف الشـركة الروسـية للملاحة البحرية والتجارة العاملة على الخط الفارسـي نشـر النفوذ الروسـي عن طريق تطوير العلاقات التجارية مما يتطلب ان ناخذ بعين الاعتبار الاوضاع السوقية وكذلك التراث والتقاليد السائدة في المنطقة».

ومن العوائق التي واجهت التجار الروس كان نقص المعلومات عـن الشـؤون الحاضـرة والمنطقـة ككل مـن حيث الوضع السياسـي والتجـاري ويجـدر الملاحظـة بانه لم يكـن هناك اي مواصلات برقية بيـن روسـيا والخليـج آنئـذ، وبالعكـس كان منافس الروس الرئيسـي البريطانيون على اطلاع بما يحدث حولهم بسبب تواجد خط التلغراف آنئذ ما بين الخليج واوربا.

وقـد اقتـرح مجلـس ادارة الشـركة فـي عـام (1904م) جـدول المواعيـد الآتـي للموانـيء الخليجيـة آخذا في الاعتبار موسـم نضج التمر وموسم الحج.

الرحلة الاولى: مغادرة اوديسا في 15 يناير (1904م).

الرحلة الثانية: مغادرة اوديسا في 10 ابريل (1904م).

الرحلة الثالثة: مغادرة اوديسا في اول يوليو (1904م).

الرحلة الرابعة: مغادرة اوديسا في اول اكتوبر (1904).

وتقرر ابتعاث الباخرة «تروفور» في الرحلتين الاولى والثانية كي

تنقل مزيدا من البضائع نظرا لكثافة المرور المتوقعة من الجهتين.

واتضح في نوفمبر عام (1903م) بان «تروفور» لم تكن قادرة على حمل كافة البضائع المرتقبة، فارسلت مذكرة مؤرخة في 19 نوفمبر (1903م) إلى دائرة الرحلات التجارية للنظر في امكان ابتعاث الباخرة «ديانا» محل «تروفور» لنقل البضائع إلى الخليج لان حمولتها كانت (282000) (بود) مقابل حمولة (138000) (بود) لـ«نروفور».

وفي 18 يناير (1904م) ابحرت الباخرة «جوبيتر» من اوديسا وعلى متنها (189143) (بود) من البضائع متوجهة إلى الخليج.

وحتى في عام (1904م) دعمت الحكومة خط الملاحة ماليا في الخليج، ويتضح هذا الامر من نص الوثيقة التالية:

14 فبراير 1904م

إلى دائرة الملاحة التجارية

وفقا للفقرة 11 من الاتفاقية المبرمة مع دائرة الملاحة التجارية المؤرخة 29 ابريل (1903م)، يتشرف مجلس ادارة الشركة الروسية للملاحة والتجارة بتقديم طلب لدائرة الملاحة التجارية لتصدر الامر لتسديد (200,000) روبل لصالح الشركة من مستحقاتها لشهر يناير العام الحالي كي تستخدمها لتشغيل الخط الملاحي إلى فارس في عام (1904م).

الرئيس	امضاء
عضو المجلس الاداري	امضاء
مدير الاعمال	امضاء
كاتب الحسابات	امضاء

وفي عام (1904م) ادخلت تعديلات في شروط الملاحة في كل من 10 ابريل و25 يوليو واول اكتوبر وكان ادخال مزيد من التعديلات في شؤون التجارة في الخليج قد ادى إلى الحرب بين روسيا واليابان.

وفور مغادرة الباخرة» تروفر» ميناء اوديسا في اول ابريل (1904م) تلقت وزارة الخارجية الروسية معلومات حول الاخطار التي قد تواجه هذه الرحلة فابلغت الشركة عنها بالفعل.

من وزارة الخارجية

الى مجلس ادارة الشركة الروسية للملاحة والتجارة. سري جدا – عاجل – 14 مايو 1904م (ن 873).

تلقت وزارة الخارجية اخبارا في 14 مايو تشير إلى احتمال حجز الباخرة «تروفور» من قبل اليابانيين عندما تدخل مياه الخليج، يبدو ان البريطانيين ينشرون الدعاية لافشال الانشطة التجارية الروسية في المنطقة.

وبعد وصول الاطلاع، قام مجلس الادارة بتأمين الباخرة ضد العدوان العسكري.

وعلى الرغم من التهديدات سواء كانت حقيقية أو وهمية، الا ان «تروفور» غادرت البصرة حاملة (1300)طن من البضائع متوجهة إلى اوديسا وفي 25 مايو مرت «تروفور» بأمان بمسقط ثم بجدة في 14 مايو واخيرا وصلت إلى اوديسا.

ورغم التهديدات التي وجهت إلى الملاحة التجارية الروسية في المحيط الهندي بسبب نشوب حرب بن روسيا واليابان، الا انه قد تقرر ارسال «تروفور» مرة اخرى إلى الخليج في 25 يوليو عام

(1904م) ونشـر الاعلان عنها في الجرائد كالمعتاد وتلقت «تروفور» الشحن للنقل، وقد نالت هذه الخطوات تشجيعا من السلطات العليا في الحكومة الروسية.

الدائرة الرئيسية للملاحة التجارية والموانيء اول يوليو 1904 م دائرة الملاحة التجارية	الى مجلس الادارة للشركة الروسية للملاحة والتجارة
	بناء على المذكرة المؤرخة في 13 يوليو 1904م (ن 1245) المتعلقة برحلة الباخرة" تروفور" إلى الخليج، ان دائرة جمعية الملاحة والتجارة اخبرت المدير الرئيسي للملاحة التجارية بان صاحب السمو الامبريالي لا يؤيد فكرة الغاء الرحلة المقبلة إلى الموانيء الخليجية وفي نفس الوقت، امر صاحب السمو بابلاغ مجلس ادارة الجمعية بانه يجب على قبطان الباخرة بعد وصوله إلى بورسعيد ان يستفسر عن وجود الطراد الياباني في البحر الاحمر. واذا كان الطراد العدائي موجود فعليه ان ينقل حمولة الباخرة إلى سفينة محايدة ويرافقها إلى الخليج ثم يعود
رئيس الدائرة	الامضاء
رئيس الدائرة الفرعية	الامضاء

وفي هذه الاثناء بحثت الشـركة الروسـية للملاحة والتجارة عن امكان تاجير شاحنة محايدة غير بريطانية كمنافسة رئيسية لنقل البضائع إلى الخليج في حالة الطوارئ.

وفي نفس الوقت روجت اشاعات مرة ثانية عن تواجد طرادات يابانية في الخليج ولم يكن من المستطاع التاكد من صحة هذه الشائعات وان كانت في صالح المنافسين، وفي مذكرة مؤرخة 18 اغسطس (1904م) موجهة إلى مجلس ادارة الشركة جاء التاكيد بانه في محاولة لطرد الباخرتين الروسيتين «بطرسبرج» و«سمولنسك» من البحر الاحمر، نشر الانجليز شائعات بان سفينة غير مصرح لها موجودة في خط عرض جدة، وكذلك طرادة يابانية في سنغافورة، وبالاخير بعد تاخير نتج عن تحميل الباخرة بالبضائع ببطء، ابحرت «تروفور» من اوديسا متوجهة إلى الخليج ومرت بالسويس في 6 اغسطس وبجدة بعد 4 ايام ولاحقا ألقت المرساة في 21 اغسطس ومن ثم في البصرة في 30 اغسطس وعند العودة زارت الباخرة البحرين بصورة مفاجئة لان البحرين لم تكن في جدول المواعيد.

المكتب الرئيسي دائرة التجارة	الشركة الروسية للملاحة والتجارة اوديسا 17 سبتمبر 1904م الى مجلس الادارة في الشركة في بطرسبرج
	يتشرف المكتب الرئيسي باخطار مجلس الادارة بانه تلقى برقية من وكيل الشركة في بوشهر قائلة ان الباخرة "تروفور"
المدير	الامضاء

ومن سوء الحظ انه لا توجد اي معلومات اخرى حول هذه الزيارة.

لقد عادت «تروفور» إلى اوديسا في 24 سبتمبر (1904م) عقب الرحلـة الثالثـة للخليـج وتقرير ارسـال الباخرة» روسـتوف» في المرة القادمة للخليج، وهي باخرة اكبر من «تروفر» وقادرة على نقل شحنة اضافية من (40,000) علبة كيروسين.

وعلى كل كانت الرحلة الرابعة إلى الخليج، آخر رحلة في عام (1904م) وخطط لها ان تبدأ في اول اكتوبر، وكان على متن الباخرة البضائع التالية:

2000 علبة من الكيروسين	44,350 (بود)
1000كيس من الاسمنت	10,000(بود)
حبوب السكر	1512(بود)
66 نوعا من السلع المختلفة	39(بود)
المأكولات	180 (بود)
الشاي	2 (بود)
البضائع المتنوعة	39 (بود)
حمولة مباشرة	1923 (بود)
المجموع	58,205 (بود)

الخلاصة

في بداية القرن العشرين، اكتسبت منطقة الخليج اهمية كبرى في سياسـة روسـيا الخارجية، وتمشـت مصالح وزارة الخارجية مع نوايا التجـار الـروس واصحـاب الصناعـة الذين كانوا يبحثون عن اسـواق جديـدة لمنتوجاتهـم المحليـة، وكان ذلـك في نطاق اوسـع لمنافسـة القوى الاوربية الاستعمارية والصناعية مثل بريطانيا العظمى وفرنسا،

والامر الـذي يبـدي اهتمـام الحكومة بهذا الخط هـو دعمها المادي له كما كان له انعكاسـات سياسـية في روسـيا، وشـاركت حتى اسـرة القيصر في تنظيم رحلات ملاحية إلى الخليج بانتظام.

ونظرا لان رحلات البواخر المنتظمة للخليج منذ البداية اكتسبت اهميـة سياسـية اكثـر مـن اهميتهـا التجارية، فقد تلقت حماية السـفن الحربية الروسية في المنطقة.

وفضـلا عـن ذلـك فان روسـيا اعتبرت الخليج سـوقا لمنتجاتها الوطنية خاصة المنسـوجات والماكولات والمكرونة وادوات المائدة وحبـوب السـكر والكيروسـين والشـمع والزجـاج والخـزف الصيني والخشـب، وتطلـب تنظيـم الخـط الخليجـي ادخـال تعديـلات فـي مواصـلات السـكك الحديديـة داخل روسـيا، ونقل وتسـليم البضائع في المواعيد المحددة والرسوم الجمركية للملاحة البخارية.

ويجـب الملاحظـة بانه في بداية القرن كان الكيروسـين من بين الصـادرات الرئيسـية للخليـج، استفسـرت وزارة المـال الروسـية من مجلس ادارة الشـركة عن اجرة شـحن الكيروسـين من نيويورك إلى منطقـة الخليـج بواسـطة الصهاريـج والعلب ومن باتـوم إلى الاماكن المذكورة اعلاه».

كانت الحرب مع اليابان انعكاس سلبي على العلاقات التجارية بين روسـيا وبين الخليج وارتفعت اجور الشـحن وكان هذا الارتفاع في صالح منافسي روسيا، اي الدول الاوربية التجارية الاخرى.

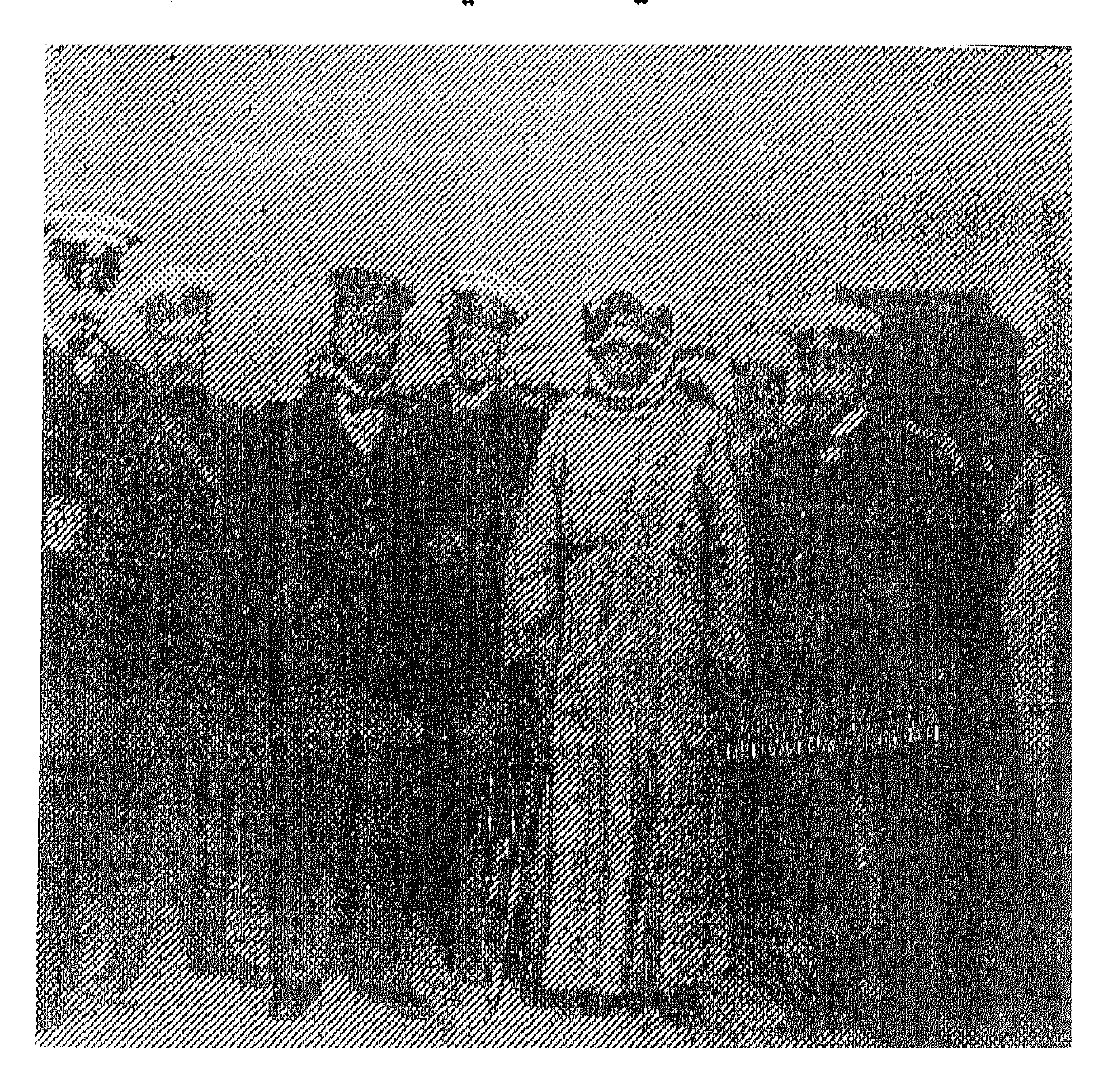
الملحق

مجلدات في ارشيف البحرية	رقم المجلد	الموضوع	مجلد	العام
1444	1341	تحديد تواريخ المواصلات بين موانيء البحر الاسود والموانيء الخليجية "الباخرة "كورنيلوف" انظر الملف ن 1901/ 45	30	1900
1486	152	تحديد تواريخ المواصلات والموانيء الخليجية والباخرة كورنيلوف في محل ازوف	45	1901
1494	1042	تحديد تواريخ المواصلات بين موانيء البحر الاسود والموانيء الخليجية	56	1901
1520	1175	اتفاق حول تشغيل المواصلات إلى الموانيء الخليجية	35	1902
1521	1467	المواصلات بين موانيء البحر الاسود وموانيء الخليج	40	1902
1523	1425	بناء باخرتين من اجل الخط الفارسي	42	1902
1528	4464	تحديد تواريخ المواصلات بين موانيء البحر الاسود وموانيء الخليج	50 الرحلة3	1902
1541	4470	اجتماع فوق العادة للمساهمين حول الاتفاق مع الحكومة على تشغيل الخط الخليجي	76	1902
1548	1418	مواصلات بين موانيء البحر الاسود وموانيء الخليج	87	1902

1549	1461	ـــــ	91	1902
1577	2109	ـــــ	42	1903
1584	2113	ـــــ	49	1903
1590	2260	ـــــ	57	1903
1607	1499	مواصلات بين موانيء البحر الاسود وموانيء الخليج في عام 1904م	79	1903
1814	471	قوانين نقل الحجاج المسلمين	49	1907

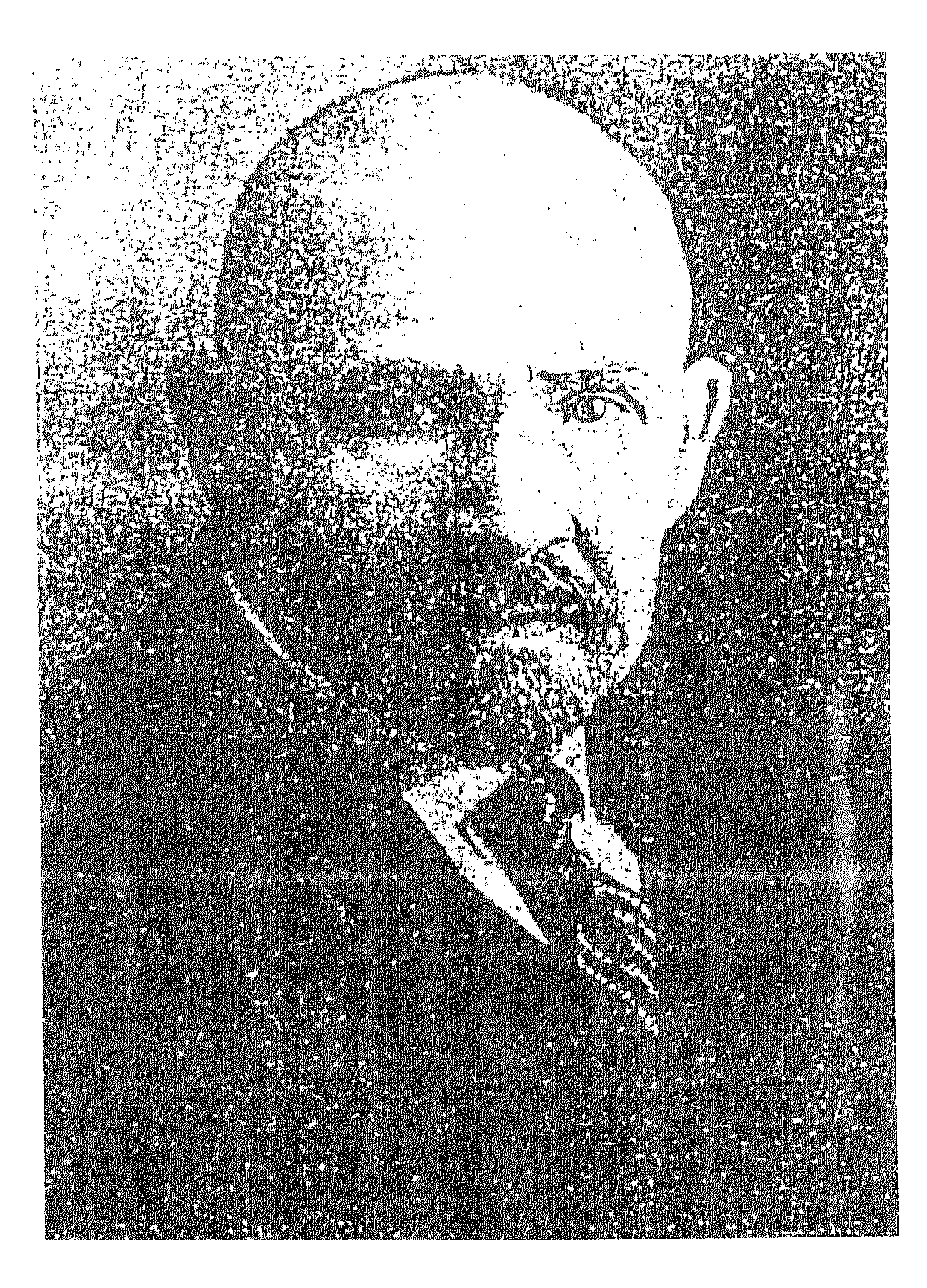
ملحق رقم (4)

استقبال شيخ الكويت مبارك الصباح لقبطان وبحارة السفينة "غيلياك" في الكويت في آذار 1900



ملحق رقم (5)

نيقولا بوجيا فلينسكي



ملحق رقم (6)

ثلاث رسائل لنيقولا بوجويافلينسكي

الرسالة الاولى
الى القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية
بالخليج العربي في مدين بوشهر

توجهت في شهر ابريل عام (1902) إلى جزر البحرين وبحوزتي رسالة توصية استلمتها عن طريق رئيس القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية في بوشهر «غ.ف.افسيينكو» وموجهة إلى الشخصية المعروفة على الشاطيء العربي- الشيخ محمد عبد الوهاب باشا، والذي يقيم بشكل دائم في دارين (جزيرة تقع مقابل القطيف) وكثيرا ما يحضر إلى البحرين.

وصادف وصولي ان كان هذا الشخص المشار إليه في البحرين فتوجهت فورا إليه.

استقبلني الشيخ محمد عبد الوهاب بلطف شديد وقرأ الرسالة، ثم اعتذر بانه لا يوجد عنده في الوقت الحاضر مكان يليق تماما بالضيف الروسي ولكن هناك غرفة في عنبره (عنبر القوافل) يمكن ان اقيم فيها عدة ايام ريثما يجد لي مكانا آخر افضل منه.

وقبل ان يوصلني الشيخ إلى الغرفة التي خصصت لي مؤقتا كان يجب طلب الامتعة من الجمارك والتي كان يرأسها في البحرين

هندي - انجليزي الجنسية، ولكن في الوقت الذي كانت فيه امتعتي لا تزال في الجمارك وانا موجود عند الشيخ محمد عبد الوهاب قام ممثل القنصل الانجليزي في البحرين «المستر جاسكين» بارسال من يطلب عبر موظفيه إلى سلطات الجمارك عدم السماح باخراج امتعتي بدون تفتيشها.

عندها قام الشيخ محمد عبد الوهاب بمساعدتي، فعندما سمع بذلك، قام من فوره بارسال شخص إلى الجمارك يبلغ رفضه رغبة ممثل القنصل الانجليزي بفتح امتعتي وتم كل شيء بعد ذلك على ما يرام، واستلمت كل امتعتي بدون تفتيش.

الغرفة التي خصصها لاقامتي الشيخ محمد عبد الوهاب، كانت في عنبر القوافل الذي يملكه، وكانت مكانا جيدا- مثل غرفة في فندق روسي- ليس في الشرق الاغوسط فقط وانما في اية مدينة اوربية، وقمت بالتعبير عن رضائي التام عن الغرفة وطلبت ان يسمح لي بالبقاء فيها خلال فترة اقامتي في البحرين، ولكن الشيخ محمد عبد الوهاب اصر على رأيه بان هذه الغرفة غير مناسبة اطلاقا لضيفه وانه سيوفر لي مكانا افضل منها.

وفعلا بعد يومين قادني إلى منزل آخر، فارغ تماما وجيد جدا وقال، بان هذا البيت تحت تصرفي تماما، وانني استطيع من هذه اللحظة الانتقال اليه، وانتقلت فعلا إلى هذا البيت وعرفت بعد ذلك فقط حجم الصعوبات التي تعرض لها الشيخ محمد عبد الوهاب لينقل اقامتي اليه.

البيت الذي سكنته كان قبل ذلك فارغا ويعود لاحد الفرس، وكان يعمل في وكالة الهند البريطانية للملاحة البخاريةBritish India)

(Steam Navigation)، وقـد توجـه إليه محمد عبد الوهاب لاسـتئجار هذا البيت على حسـابه لمدة ثلاثة اسـابيع وكان خبر وصول شـخص روسي إلى البحرين قد انتشر بسرعة كبيرة، ولم يكن سرا على احد، ان الشيخ محمد عبد الوهاب يبحث عن سكن لي، وما كان يظن ان فعله سهل ومن قبل اي شخص كان إذ اتضح انه صعب جدا، بسبب دسائس المندوبين الانجليز في البحرين، مالك المنزل المذكور تلكأ في اول الامر في قبول طلب الشـيخ محمد عبد الوهاب لاسـتئجار المنـزل، ولـم يعـط جوابـا، ويظهـر انه لـم يكن يعـرف ردة فعل نائب القنصل الانجليزي، وفي المساء وبناءً على اصرار الممثل الانجليزي في البحرين رفض تماما طلب الشـيخ محمد عبد الوهاب لاسـتئجار ذلـك البيـت الفـارغ، وفـي الوقت الذي لـم يكـن هناك اي مكان آخر فارغ في البحرين يمكن لاوربي ان يسـكن فيه، ولـم يبق امام الشـيخ محمد عبد الوهاب، الا ان يبيقيني في المكان القديم أو لن يلتجيء إلى طريقة اخرى لايجاد سكن ملائم لي.

ووجد الشيخ محمد عبد الوهاب حلا لهذه المشكلة بان اشترى هذا المنزل بثمن مضاعف لما دفعه مالكه نفسه عند شرائه.

قبل انتقالي إلى السكن الجديد كان الشيخ محمد عبد الوهاب قد سـألني ان كنت ارغب في مقابلة شـيخ البحرين «الشـيخ عيسـى» فسـألته بـدوري عـن امكانيـة لقائه، وبرسـالة من الشـيخ محمد عبد الوهـاب إلـى الشـيخ عيسـى تم ابلاغه عن رغبتي فـي لقائه، ولكنني لـم استـلم الجـواب لا فـي اليوم الاول ولا في اليـوم الثاني ولا في اليـوم الثالـث، ومـن الاشـاعات المنتشـرة في المدينـة، والتي اتضح انها غير صحيحة، عرفت ان الشـيخ عيسـى وبناءً على نصيحة نائب

القنصل الانجليزي كان مترددا في استقبالي، وواقعة عدم لقائي مع الشيخ كان مادة للحديث بين سكان البحرين، واحيانا بشكل سيء إلي كشخص روسي، والاشاعات من النوع الاخير، وكما اتضح لي بعد ذلك تم ترويجها من قبل الأشخاص التابعين لنائب القنصل الانجليزي.

عندها حاول الشيخ عبد الوهاب ان لا يجعل السكان يظنون ما لا يليق بمواطن روسي، وفي اليوم الرابع وتحت الحاح الشيخ عبد الوهاب، قام الشيخ عيسى بارسال وزيره الي لتبليغ التحية باسم الشيخ عيسى وقال ان الشيخ يسمح بمزاولة نشاطي كله في البحرين.

بعد ذلك توقفت الاشاعات حول موقف الشيخ عيسى تجاه الرحالة الروسي ولكن الشيخ محمد عبد الوهاب لم يقنع بذلك، فصار يحاول تعطيل السيطرة الانجليزية وتحقيق لقاء لي مع الشيخ عيسى، معتبرا بان لقائي الشخصي مع الشيخ عيسى، والذي ليس لديه شيء ضد الروس يمكن ان يحدث ثغرة في احتكار النفوذ الانجليزي، ويسمح للروس الذين سيصلون بعدي بحرية اكبر من تلك التي تعطيها السلطات الاجنبية.

وقد سهل مهمته امران:

أ. سفر نائب القنصل الانجليزي من البحرين.

ب. رسالة التوصية التي اعطاني اياها القنصل العام الروسي في بوشهر «افسيينكو» إلى الشيخ عيسى، وبهذا تم لقائي مع الشيخ عيسى، اضف إلى ذلك ان الشيخ عيسى اكرمني كثيرا عند الاستقبال، وقام وزيره باستقبالي في الشارع بعيدا عن القصر، كما استقبلني ابن

الشيخ وولي عهده امام مدخل القصر، وحياني باسم الشيخ وقادني إلى غرفة الاستقبال التي كان فيها الشيخ عيسى، وبعد تبادل كلمات المجاملة المعتادة قدمت لي القهوة العربية ثم بعد ذلك الشاي وتبادلت الحديث مع الشيخ حوالي نصف ساعة بحضور ابنه الاكبر، وخلال الحديث طلب مني الشيخ نقل تحياته إلى القنصل العام الروسي في بوشهر «افسيينكو» الذي ارسل رسالة للشيخ معي، ولدى سؤاله عن موعد سفري قال الشيخ انه يريد ان يجهز رسالة إلى القنصل العام الروسي في بوشهر «غ.ق.افسيينكو» ويعطيني اياها لتسليمها له، وبهذا انتهى لقائي مع الشيخ عيسى، وقد سلمت لي رسالة الشيخ عيسى المعنية بعد ذلك بواسطة الشيخ محمد عبد الوهاب.

خلال زيارتي إلى البحرين طلب محمد عبد الوهاب من شخص يثق به ان يؤدي كل شيء لي يلزمني، وفعلا كان اي شيء يلزمني يوفرونه لي فورا وبالسعر الذي يتعامل به السكان المحليون، وليس الاوربيين، وكان تدخل الشيخ محمد عبد الوهاب الشخصي واضحا في الكثير من الحالات، وبالمناسبة وبغض النظر عن ان اعماله كانت تجبره على التواجد في دارين، فقد بقي خصيصا من اجل الضيف الروسي في البحرين، وكان يمر علي كل يوم، واحيانا مرتين في اليوم وعندما يزورني كان يسأل دائما هل كل شيء على ما يرام؟

نظرا للاستقبال غير العادي، والعمل على تسهيل الاجراءات الجمركية وشراء بيت خاص لاقامتي خلال زيارتي لثلاثة اسابيع وتسهيل اللقاء مع الشيخ عيسى، وبغض النظر عن الاجراءات المعاكسة للانجليز اصحاب النفوذ في البحرين تقريبا والمساعدة التامة التي قدمت لي فانني واثق، بانه لم تقدم لي شخصيا وانما

تقديرا لائقا لتلك الدولة التي اتبعها، اضف إلى ذلك ان هذه المساعدة قدمت لي رغم المعاكسات القوية من قبل السلطات الانجليزية في الجزيرة والتي لم تسفر، وكما هو واضح مما ذكر- عن اي نتيجة.

هذا الكرم قدم لاول شخص روسي يسكن في البحرين، واعتبر من واجبي اخبار القنصلية العامة الروسية في الخليج العربي في بوشهر بكل ما ذكر اعلاه.

نيقولا فاسيليفتش بوجيافلينسكي

عضو عامل لدى الجمعية الموسكوبية الإمبراطورية
لمحبي (هواة) العلوم الطبيعية وعلم الانسان والاثنوجرافيا
والذي اوفد من قبل الجمعية لدراسة عالم الحيوان في الخليج العربي

الرسالة الثانية
الى القنصلية الروسية الإمبراطورية العامة
بالخليج العربي في مدينة بوشهر

خلال رحلاتي في الخليج العربي طوال شهر مارس وابريل ومايو من هذا العام قمت بزيارة ثلاثة من شيوخ العرب: في المحمرة (الشيخ خزعل)، وفي الكويت (الشيخ مبارك)، وفي البحرين (الشيخ عيسى)، واقمت بعض الوقت في الاماكن المذكورة.

رغم ان مهام رحلتي هذه كانت بعيدة عن اية اهداف سياسية، فانه من خلال احتكامي مع مواطني هؤلاء الشيوخ وخلال احاديثي مع الشيوخ انفسهم كثيرا ما اضطررت للاجابة عن اسئلة كثيرة تتعلق في اغلبها بالممثليات السياسية الروسية في الخليج العربي اكثر من تعلقها بعلماء الحيوان الموفدين إلى هناك.

حيث ان هذه الاسئلة والاحاديث تطرقت إلى ما يهتم الناس به الآن في المناطق التي زرتها، ماذا يريد وكيف يفكر الروسي، واعتبر انه من المفيد ان انقل إلى القنصلية العامة الروسية في الخليج كل شيء عما سمعته وعما اجبت عليه في الاماكن التي زرتها حول هذا الموضوع، وافضل شيء هو ان اصف تلك الاستقبالات التي جرت لي ومنها يمكن الحكم على نظرة حكام مختلف مناطق الخليج العربي إلى الروس.

في المحمرة:

وصلت إلى المحمرة ومعي رسالة توصية من القنصل العام في مدينة بوشهر «غ.ف. افسيينكو» وقام الشيخ خزعل فور استلامه الرسالة بارسال سكرتيره الي وكان قد حل المساء، وذلك لاقيم عنده، وفي اليوم التالي وصل إلى المكان الذي خصص لاقامتي اولا سكرتير الشيخ، ثم وزيره، واخيرا الشيخ نفسه وجلس معي حوالي ساعة، وبعد كلمات المجاملة المعتادة قال الشيخ خزعل انه صديق كبير للروس، وان الروس جيران جيدون للعرب، وانهم دائما ساعدوا العرب، وان الشيخ مستعد ليحقق لي كل شيء يلزمني وعندما خرج الشيخ خزعل اشار سكرتيره إلى تعاطف الشيخ الكبير مع الروس، واعطى برهانا على ذلك بان القصر الجديد الذي بناه الشيخ، كان بمخطط «س.ن.سيرومياتنيكوف» الروسي وان كل الاشياء في هذا القصر قد جلبت من روسيا.

وذهب لطف الشيخ خزعل ابعد من ذلك، فاعطاني جنديين لمرافقتي إلى الكويت حتى قبل الفاو وخمسة عساكر بعد الفاو.

في الكويت:

لم اجد عند وصولي إلى الكويت الشيخ في المدينة نفسها، فقد كان في معسكر على مسافة خمس ساعات سفر عن المدينة وقد استقبلني ابنه الشيخ جابر- ولي العهد- بافضل ما يمكن وجعل اقامتي في القصر وقام من فوره باعلام والده العجوز بوصولي، فحضر خصيصا من معسكره للقائي، واضافة إلى ذلك فانه عندما اخبرته بانني سوف اغادر بعد اربعة ايام قام وحضر الي في المعسكر للمرة الثانية خصيصا لتوديعي.

وقال لي الشيخ مبارك: «انني اعتبر الروس اخوة لنا، واننا مسرورون دائما بقدومهم الينا ومستعدون للقيام بكل ما نستطيع القيام به، انقلوا إلى القنصل العام الروسي في بوشهر السيد «غ.ف.افسيينكو» والذي اعتبره اخا، السلام ورغبتي في اقامة مراسلات بيننا».

عند الوداع، شكرت الشيخ مبارك على الاهتمام الكبير لي وقلت انني لا اعرف كيف اعبر عن امتناني على الضيافة الطيبة التي وفرها لي، واجابني الشيخ على هذا فقال: «افعلوا شيئا واحدا لي، إذا كان في امكانكم ذلك، وهو ان تنقلوا إلى الإمبراطور القيصر في بطرسبرج، بانني صديق للروس وانني اعتبرهم اخوة لي.

في البحرين:

وصلت إلى البحرين ومعي رسالة توصية موجهة إلى الشيخ محمد عبد الوهاب، وقد منحني اياها القنصل العام في بوشهر السيد «غ. ف. افسيينكو».

وكنت قد تشرفت باخبار القنصلية العامة في بوشهر في رسالتي

المؤرخـة فـي 14 يونيـو (1902) عن الاسـتقبال والمعاملة التي لقيتها من الشيخ محمد عبد الوهاب والشيخ عيسى.

والآن انتقل إلى موضوع آخر وهو المعلومات التي اراد الشيوخ المذكوريـن اعـلاه معرفتهـا وقبـل الـكلام عـن هـذه المواضيـع التي اقترحها علي الشـيوخ، اريد ان اسـجل الانطباع الكبير الذي احدثته مسـاحة روسـيا الهائلـة على خريطـة الكرة الارضية التـي كانت معي والتـي كانـت تشـغل نصـف اوربا وآسـيا، وطلب الشـيخ مبارك عدة مرات مني ان اريه حدود روسيا وانجلترا وفرنسا، كان اندهاش الشيخ محمـد عبـد الوهاب بعد ذلـك ايضا كبيرا، وكنت قد ارايت الخريطة للشيخ مبارك بمناسبة اسئلته حول خط حديد بغداد، واراد الشيخ ان يعرف الزمن الذي ستستغرقه الرحلة بعد انتهاء الخط الحديدي للسفر من القسـطنطينية وحتى البصرة، ومتى سـوف ينتهي الخط الحديدي وهل تشترك روسيا في هذا الخط، وعندما قلت ان هناك احتمالا ان تكـون نهايـة الخط الحديدي في الكويت، تنفس الشـيخ مبارك بعمق وقال: آمل ان لا يحقق الله مثل هذه المصيبة».

وكذلك سأل الشيخ مبارك كثيرا عن مدة انشاء خط من روسيا وحتى بندر عباس وعن مكان وقوف السفن الحربية الروسية، وما هي المدة التي تسـتطيع خلالها السـفن الوصول إلى الكويت من مواقعها الحاليـة، فيمـا لـو اعطيت الاوامر من الحكومة الروسية بذلك، واين توجـد الآن «فريـاغ» (طـراد روسـي من الدرجة الاولـى زار منذ فترة قصيرة الخليج العربي).

بالنسـبة لفرياغ يجب الاشـارة إلى انه كون انطباعا بشـكل غير معقول لدى سـكان الشـاطيء العربي كله وقد انتشـر صيته في تلك

المناطق اينما حل، وكانت الاسئلة حول مكان «فرياغ» ولماذا غادر الخليج العربي، وهل يوجد لدى الروس سفن كثيرة مثل «فرياغ».

هذه الاسئلة كانت تطرح كثيرا ومن كل الجهات.

لقد جرت لقاءات كثيرة في البحرين بيني وبين كل من الشيخ محمد عبد الوهاب وشيخ «دارين» وكانت استيضاحاتهما عن روسيا دقيقة، ولم يكن في استطاعتي دائما الاجابة عليها، ولكن الشيخ محمد عبد الوهاب يسألني كثيرا عن السفن الحربية الروسية، ولماذا لا تتواجد السفن الحربية الروسية في الخليج العربي، ولماذا لا يوجد خط سفن تجارية روسية إلى البحرين، وطلب مني ان انقل إلى القنصل الروسي العام في بوشهر الرغبة في ان تمر السفن التجارية على البحرين، واضافة إلى هذه الاسئلة فقد كان هناك اهتمام بعلاقات روسيا مع تركيا، وبعدد المسلمين الروسيي الجنسية، وهل هناك مسلمون في موسكو، وهل لديهم مسجد؟

حول ما كتبته في رسالتي المؤرخة في 14 يونيو عن الشيخ عيسى، فان الشيخ محمد عبد الوهاب قال لي: «ليس هناك عجب في ان العرب يخافون الانجليز، فالانجليز هنا منذ حوالي مائة عام، والكل يعرفهم، وعندهم هنا المدافع والسفن الحربية، وللاسف لا يوجد هنا اوربيون آخرون، يمكن ان يساعدوا العرب...، واضاف الشيخ محمد عبد الوهاب: لو ان الروس صاروا يصلون إلى هنا لتوقف خوف العرب من الانجليز بالتدريج.

وفي احدى المرات، (خلال زياراتي المتعددة كان دائما يسألني عن روسيا) استوضحني- لماذا ارسل الروس سفينة حربية إلى الخليج العربي- يقصد «فرياغ» لماذا لم يبقوها هنا دائما؟ ان روسيا بعيدة،

ولا قوات ولا سفن لها هنا، واذا ما قام شيخ ما بعمل ضد الانجليز، فان الانجليز يستطيعون ان يفعلوا اي شيء يريدونه منه اما الروس فلا يستطيعون تقديم المساعدة له، حتى لو ارادوا ذلك، لان قواتهم بعيدة.

بعد استلام الشيخ محمد عبد الوهاب رسالة القنصل العام الروسي في بوشهر «غ.ف.افسيينكو» قال لي: «حتى هذا الوقت لم اكن اعرف الروس، والآن اعرفك انت فقط، ولدي رسالة من قنصلكم لقد كتب لي عبد الرحمن شيخ نجد السابق مادحا الروس، - كان يعرف الروس من زيارة «فرياغ» إلى الكويت - حتى انه ارسل لي رسالة لانقلها إلى القنصل الروسي في بوشهر، ولكني لم انقل هذه الرسالة لانني لم اكن اعرف اي روسي ولكن الآن، ارجو منكم نقل هذه الرسالة إلى القنصل العام الروسي في بوشهر السيد «ف.غ. افسيينكو».

لقد رايت من كل الاحتكاكات والاحاديث ان هناك على الشاطيء العربي:

أ. تعاطف كبير واحترام تجاه روسيا وكان واضحا عدم الرضى عن انجلترا والرغبة العامة في تواجد القوات الحربية الروسية على شكل سفينة حربية في مياه الخليج العربي.

وقد تكون هذه الرغبة تدخلا انانيا- حتى لا تكون السلطة كلها لانجلترا.

ب. سحر روسيا كدولة عظمى كان كبيرا جدا وزاد سحر روسيا هذا زيارة الطراد (المدرعة) الروسي من الفئة الاولى «فرياغ» التي كونت انطباعا يمكن وصفه بانه كان خطوة مذهلة للشاطيء العربي كله، اشارة لحجم الطراد ولمداخنه الاربع وانواره الكهربائية والتي لم تكن موجودة في السفن الحربية البريطانية، الرابطة في الخليج العربي.

هـذه الخطـوة هامـة برأيـي، حيث ان العرب يعتقـدون بان لدى الروس قوات كبيرة ولكن ليس لديهم سفن حربية بالمرة.

ج. الرغبة العارمة في اقامة علاقات اكثر متانة مع الروس وهذا واضح:

1. من رغبة الشـيخ مبارك، شـيخ الكويت، في اقامة علاقات دائمة مع القنصلية العامة الروسية في بوشهر.
2. وبشـكل مماثـل لهـذا كانـت رغبة الشـيخ محمد عبـد الوهاب، فمعاملتـه الحسـنة واضحـة تجـاه الروس عكس موقفـه العدائي من الانجليز في البحرين ومن الاتراك في القطيف.
3. من الاقتراحات العديدة للشـخصيات المختلفة لتقديم الخدمات الوظيفية للقنصلية الروسية في بوشهر، والتي كانت احيانا تظهر وبشكل مباشر الموقف العدائي من السلطات الانجليزية، ويمكن هنا ان اسـوق كمثال (حجازي جمعة في البحرين) وقد عبر له المسـتر جاسـكين، نائـب القنصـل الانجليزي فـي البحرين عدة مرات وبشكل فاضح عن عدم رضاه على جلساته الخاصة معي.

هـذه هـي وبخطوط سـريعة الاحاديـث والاقتراحات التي قيلت لـي، كانسـان روسـي يتجـول فـي منطقة نادرا ما يزورهـا الروس هي الشاطيء العربي للخليج.

العضو العامل في الجمعية الإمبراطورية الموسكوية
لمحبي العلوم الطبيعية والانتروبولوجية والاتنوجرافية

نيقولا بوجويا فلينسكي

الموفد من قبل الجمعية
لدراسة عالم حيوانات اقليم الخليج العربي

الرسالة الثالثة

إلى القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية بالخليج العربي في مدينة بوشهر

الحاقا برسالتي القنصلية والمؤرخة في 16 يونيو (1902) فانني اعتبر انه من المفيد كي انهي شرح علاقة الشيوخ العرب بروسيا، ان اصف حفل الاستقبال الذي اقامه لي سلطان مسقط فيصل بن تركي.

لقد وصلت إلى مسقط وبحوزتي رسالة من القنصل العام الروسي في بوشهر المستر «غ.ف.افسيينكو».

فور تسليم الرسالة قام السلطان بارسال موظف من طرفه لاستقبالي على السفينة، وقادني إلى المكان الذي خصصه السلطان لاقامتي، وقد جرى لقائي مع السلطان في نفس اليوم

استقبلني السلطان في الغرفة الموجودة قبل غرفة الاستقبال، وقادني إلى غرفة الاستقبال وتحدث معي بشكل ودي جدا، وخلال الحديث طلب مني ان انقل سلامه إلى القنصل الروسي العام في بوشهر «غ.ف. افسيينكو».

خلال اقامتي لمدة اسبوع في مسقط كان السلطان يرسل الي السلام كل يوم بواسطة موظفه اضافة إلى هذا، كان الموظف يحضر لي حسب اوامر السلطان ثلاث مرات في اليوم، ليعرف هل ان كل شيء على ما يرام وهل احتاج إلى شيء ما.

وقد حضر الوزير الاول للسلطان إلى مكان اقامتي وطلب مني ان نقل إلى القنصل الروسي العام في بوشهر السيد «غ.ف.افسيينكو»

شـعور التعاطـف والصداقـة التي يكنها السـلطان، وهـو- اي الوزير- تجاه روسيا.

اضافة إلى ذلك فقد كان يحضر لي أشخاص عديدون يعملون عند السلطان من المستويات المختلفة، الرفيعة، والاخرى، واحاديث هـؤلاء الأشـخاص فيما عدا المجامـلات العادية، لم تكن تحوي اي شيء ممتع، ولكن واقعة زيارة هؤلاء الناس لي، تعبر بحد ذاتها عن رغبة السلطان في ابداء الاهتمام بالرحالة الروس واظهار موقفه الودي تجاه الروس.

عنـد زيارتـي لتوديـع السـلطان، طلب مني مرة اخـرى، بصرف النظر عن رسالته كسلطان إلى القنصل العام الروسي العام في بوشهر «غ.ف.افسيينكو» نقل سلامه إلى «غ.ف.افسيينكو» وقام السلطان عند التوديع بمرافقتي بالنزول من الطابق الثاني حيث تقع قاعة الاستقبال إلـى الطابـق الاول، واوصلني عبر الممر السـفلي حتى ذلك المكان، حيـث يتواجـد العسـكر والحـراس الذيـن يحمـون البـاب الخارجين وهناك فقط قام بتوديعي نهائيا.

هـذا هو الاسـتقبال الـذي اقامه لي آخر الشـيوخ العرب، الذين قمت بزيارتهم وهكذا انتهت اقامتي في مسـقط، وبهذا انتهت اقامتي على شاطيء جزيرة العرب.

العضو العامل في اللجنة الموسكوية الإمبراطورية

لمحبي (هواة) العلوم الطبيعية والانتروبولوجية والاتنوجرافية

نيقولا بوجويا فلينسكي

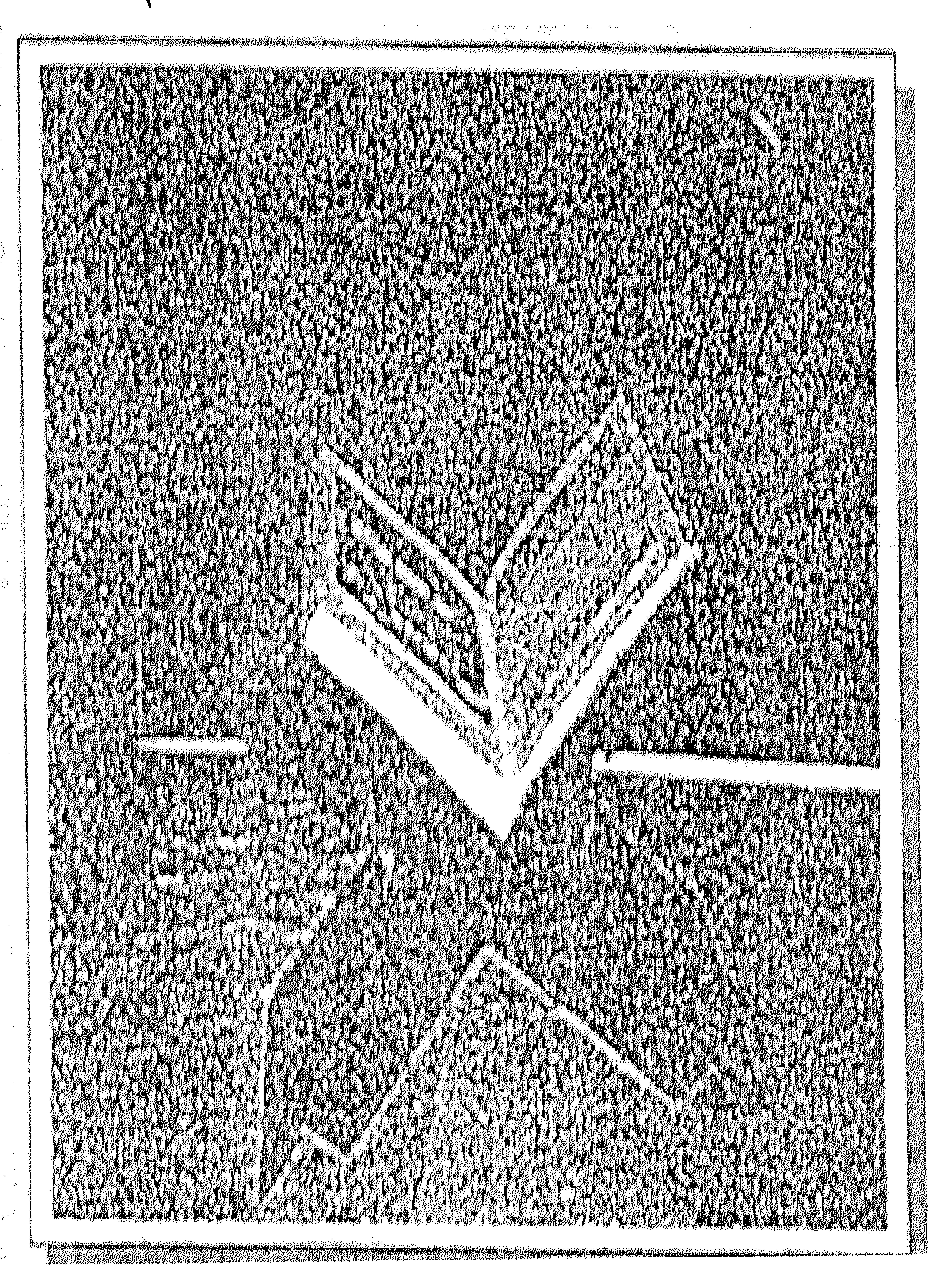
لاهور 7/ 20-7-1902

المصدر: ارشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، الملف 147 القنصلية في بوشهر، السجل 623، الملف 3 - المراسلات القنصلية مع الجمعية الموسكوية لمحبي (هواة) العلوم الطبيعية والانتروبولوجية والاثنوغرافية حول بعثة دراسة الحيوانات في الخليج العربي، رسائل ن. بوجويافلينسكي... 1901-1902، الصفحات 9-32 ظهر.

د. جينادي جورياتشكين
دكتوراه العلوم التاريخية
بروفيسور معهد آسيا وافريقيا
لدى جامعة موسكو

ملحق رقم (7)

الحامل الخشبي للمصحف الشريف
من مكة المكرمة لـ (متحف بطرس العظيم)



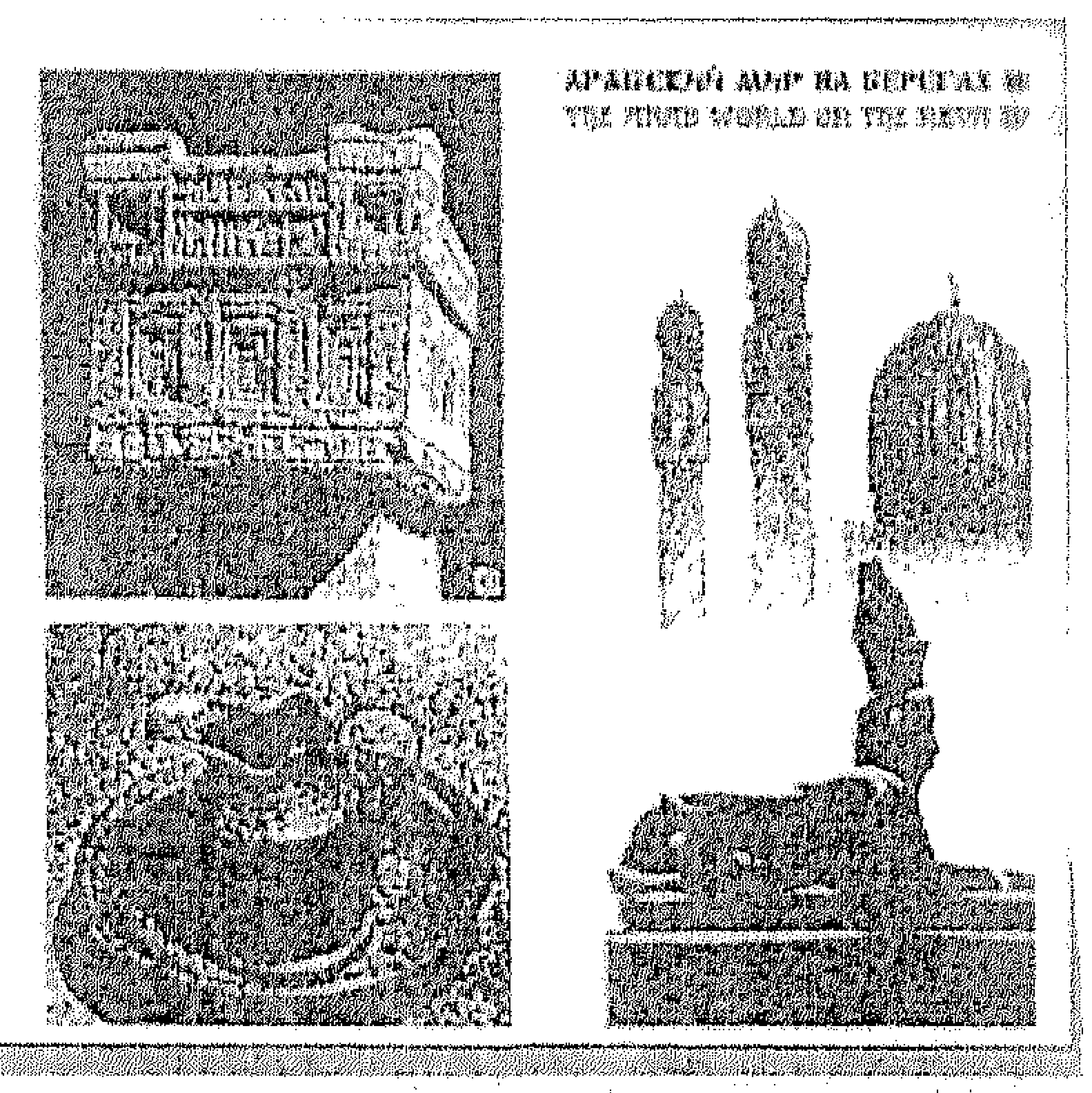
ملحق رقم (8)

الرقصات الشعبية لسكان الخليج والجزيرة العربية

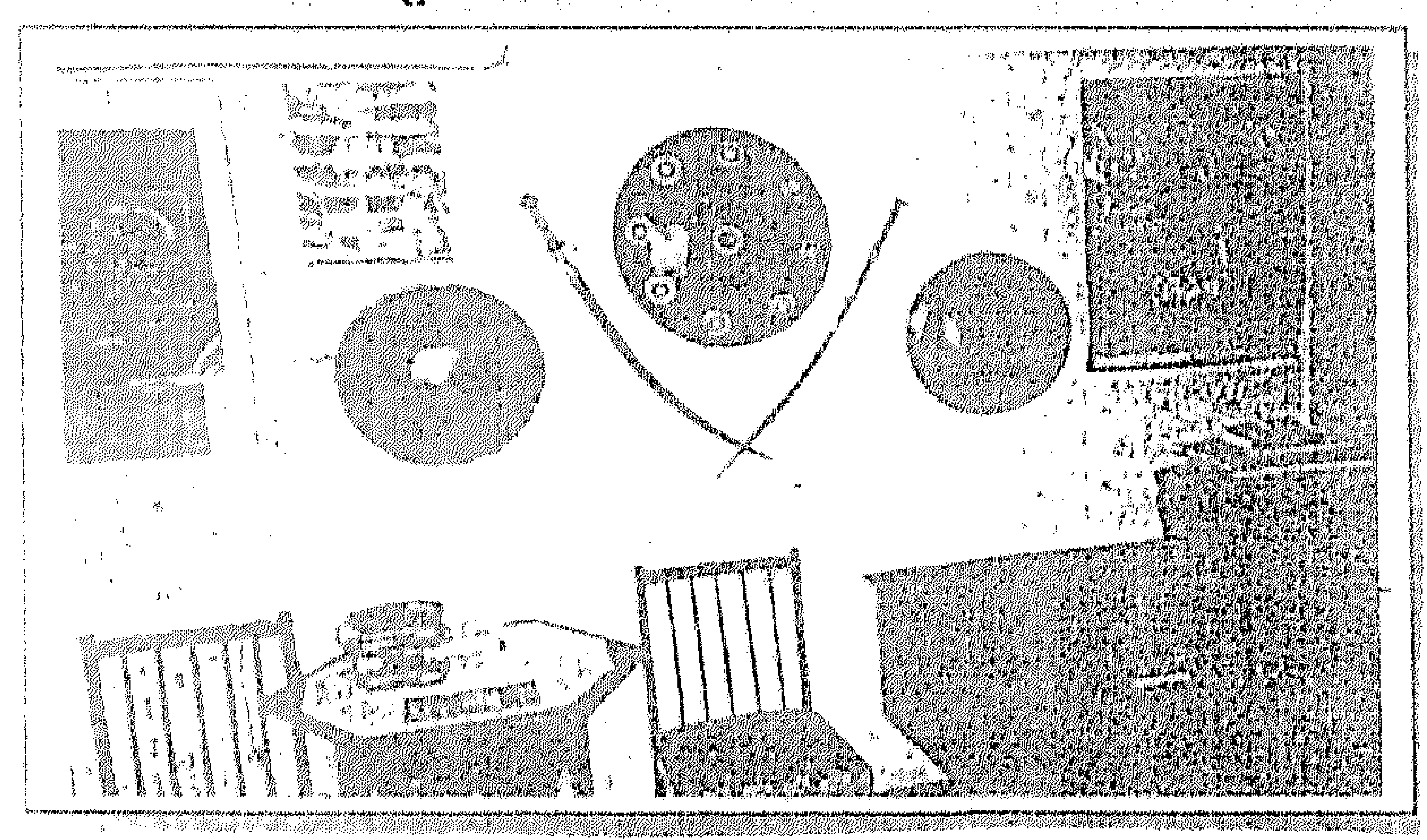


ملحق رقم (9)

بعض الاسلحة والآثار



كتيب عن العرض تحت عنوان "العالم العربي على شواطئ نيفا" نظمه المركز الروسي العربي المستقل من الدائرة الشرقية لجامعة سانت بطرسبرج الرسمية ومتحف بطرس الكبير — وعرضت فيه بعض المعروضات لمنطقة الخليج العربي



ملحق رقم (10)

الرسالة التي بعث بها القبطان جوجوير إلى بوجيافلينسكي والمؤرخة في 8 يوليو 1902

Mascate, le ____________ 190

Note pour Monsieur N. Bogoyavlensky

(2)

J'ai la conviction, presque la certitude, que le Gouvernement français ne poursuit qu'une politique négative dans la région du Golfe Persique. J'ai là-dessus de nombreux indices, entre autres le choix des deux titulaires actuels des vice-consulats de Bouchehr et surtout de Mascate (à Bagdad il y en a un tout pareil), à la place de ceux qui y étaient et en sont partis malgré eux, avec disgrâce; le rôle ridicule du croiseur "Catinat"; les concessions perpétuelles faites à l'amour-propre anglais; plusieurs incidents où l'on a supporté, de la part du roitelet de Mascate de véritables provocations; la peur du vice-consul, là aussi, de fournir du charbon aux navires de guerre russes, alors que le consul anglais en a cédé à n'importe qui, même aux Français; son opposition, qui a triomphé d'un avis favorable du Comité de l'Asie française, à mon projet d'établir ici un entrepôt particulier de charbon, etc. J'ai aussi là-dessus des renseignements personnels, de sources différentes, très concordants, mais que je ne puis confier au papier.

La raison, pour cette question comme pour toutes celles de la politique extérieure, c'est que la France n'a, et n'aura longtemps encore à sa tête que des hommes de parti, du parti anticlérical, tous aussi fanatiques que le parti opposé; et comme ils n'ont pas une assez forte majorité pour exercer le pouvoir sans passion, leur tâche principale, à beaucoup près, est d'affaiblir le parti adverse par la persécution. Le ministre des Affaires étrangères, dans un pareil gouvernement n'a qu'une fonction, procurer la tranquillité à quelque prix que ce soit, même par des moyens précaires, sur la valeur desquels on se fait volontiers illusion,

comme

ملحق رقم (11)

رسالة شيخ مسقط فيصل بن تركي إلى القنصل الروسي العام ببوشهر نيقولاي باسك عام 1904

مسقط ٦ عام ١٣٢٢ هجري

حضرة باسيك قنصل الدولة البهية الروسية

من فيصل بن تركي

إلى جناب عالي الجاه والجناب عمدة الأمجاد وصفوة الأطياب الأجل المكرم

المودة الأفخم حرس المولى ذاته وحمى الله صفاته على الدوام والراتب في عز وإجلال

الموجب تحرير الكتاب إلا عمد جزيل السلام وثم لما أخبرنا وكيلكم بهمتكم العاليه

وجهتم لنا المركب لتحميل الركاب الحجاج فقد شكرنا لكم غاية التشكر لفعلكم الجميل

وتقدمنا بغاية الممنونية والابتهاج ودم سالم والسلام ٣ محرم ١٣٢٢

ورفع تشكراتي للإدارة

ملحق رقم (12)

رسالة القنصل الروسي العام في بوشهر نيقولاي باسك الى سلطان مسقط في شباط 1905

بوشهر ٥ فبراير ١٩٠٥

ملحق رقم (13)

الارشيف الروسي الحكومي التاريخي في مدينة بطرسبرج، الملف رقم 107، القائمة رقم 1، الإضبارة رقم 2206، سنة 1914

الوثيقة صفحة 68-73 — وزارة الخارجية

قنصلية إمبراطورية روسيا في البصرة

النسخة المصادق عليها — 18 تموز 1914 رقم 185

إلى قسم التجارة البحرية — تركيا الآسيوية

ص 68 تبعا لوثيقة القسم المؤرخة 13 ايار من هذا العام والمرقمة برقم 5062، عن مسألة تنظيم الرحلات السريعة في الخليج خلال (1905-1924) لي الشرف بان ابلغكم عن رأيي في المسائل المتعلقة بإنعاش علاقاتنا التجارية مع جنوب فارس وبلاد ما بين النهرين

1- احسن المواعيد للقيام بالرحلات المذكورة اعلاه وتبعا للظروف المحلية هي:

الوصول إلى البصرة

الرحلة الاولى:	في النصف الاول من شباط.
الرحلة الثانية:	في النصف الاول من نيسان.
الرحلة الثالثة والرابعة:	ما يقارب 10 ايلول.
الرحلة الخامسة:	ما يقارب 20 تشرين الاول.
الرحلة السادسة:	في اوائل كانون الاول.

ونظـرا لطـول الرحلـة مـن اوديسـا إلـى البصرة ما يقـارب الـ 5 اسـابيع، يجب ان تغادر السـفن اوديسـا قبل 5 اسـابيع من المواعيد المحدد اعلاه لوصول السفن إلى البصرة.

وللسـنة الرابعة ترسـل الشـركة الروسـية للملاحة والتجارة في موسم التمر اي في اواسط ايلول سفينة طارئة اضافية، والآن لا نعرف ما إذا كانت الشـركة سترسـل سـفينة اضافية نظرا لانها مرتبطة بعقد للقيام بـ(6) رحلات سنويا فاذا اعتبرنا الرحلة الرابعة اضافية كالسابق واذا ارسـلت سـفينة في هذا الموعد محملة بما يقارب (5000) طن ففـي هـذه الحالـة يمكن تغيير موعد الرحـلات كالآتي: الوصول إلى البصرة للرحلة الاولى والثانية- كما هو مذكور اعلاه، والرحلة الثالثة ما يقارب 20 آب وقي هذه الحالة تستطيع السفينة ان تاخذ الحجاج مـن البصـرة ومـن موانـيء الخليـج إلـى جـدة، وكذلـك تسـتطيع ان تأخذ الحنطة إلى جدة، والرحلة الرابعة (الرحلة الرئيسية)، والرحلة الرابعة(كرحلـة اضافيـة) فكما هو مذكور اعلاه، 10 ايلول في موسـم التمر، واخيرا الرحلة الخامسة والسادسة كالموعد المذكور اعلاه في اوائل كانون الاول.

ان الرحلات المربحة هي رحلات فصل الخريف (موسم التمر والحبـوب) ولهـذا يجب ارسـال سـفن ذات حمولة كبيـرة لمثل هذه الرحلات لانه في هذا الفصل تكون الحمولة دائما كبيرة، اما الرحلات الربيعية فربحها اقل- بسبب الموسم الميت- وهنا يمكن ارسال سفن ذات حمولة تقارب (3000) طن / كسفينة «الفرات» وسفينة «دجلة».

يجـب ان تطابـق مواعيـد الرحـلات المذكـورة اعـلاه التقويـم القمري، اما المواعيد الاخرى لهذه الرحلات فتعتبر غير مربحة وغير

مريحة بسبب الظروف المحلية.

كثيرا ما تؤدي بعض الموانيء الاجبارية إلى ضرر، فمثلا موانيء جيبوتي وميناء عدن ومسقط في رأيي يمكن الا تعتبر من الموانيء الاجبارية، هذه الموانيء غير مهمة لنا، ولا يوجد اي بضاعة فيها اللهم الا في حالات قليلة قد تجد السفن في عدن أو جيبوتي بعض الفحم.

جدة تعتبر مهمة للخط المرجع فقط عندما يأتي إليها الحجاج، أو تحمل إليها الحبوب، لذا من الاحسن جعل دخول السفن إلى هذه الموانيء اختيارياً.

ص69

تعتبر موانيء الخليج مثل الكويت والبحرين اكثر اهمية من وجهة النظر التجارية، وكان علينا ان نجعل الدخول إلى هذين الميناثين اجباريا (وبسبب كثرة الموانيء الاجبارية فرحلاتنا طويلة جدا اكثر من شهر)، وطول الرحلة، يخافه المسافرون ومرسلو الحمولة في آن واحد.

اغلب السفن الاجنبية عندما تاخذ حمولتها الكاملة من البصرة وبوشير فانها تتوجه مباشرة إلى بورسعيد مارة بلنجة وبندر عباس ومسقط وعدن وجيبوتي والحديدة وجدة، ولهذا السبب فعند مغادرة السفن لميناء البصرة في نفس وقت مغادرة السفن الروسية، فان السفن الاجنبية تصل إلى بروسعيد قبل السفن الروسية باسبوع أو عشرة ايام.

ولقد اشارت وزارة الخارجية باستثناء موانيء يافا وبيروت وازمير كموانيء اجبارية. واضيف على هذا بان هذه الموانيء هامة

فقط في الخط المرجع لهذه الرحلات، واذا كانت هناك حمولة لها.

وحسب رأيي لا داعي ان نضيق الخناق على شركة الملاحة بجدول الرحلات السريعة، وانما علينا ان نسمح لها بنزعة تجارية بحيث يكون للسفن الحق ان تدخل تلك الموانيء التي توجد بها حمولة وعدم دخول تلك التي لا يوجد بها شيء، واذا لم تكن هناك حمولة في الموانيء المهمة لهذا الخط مثل البصرة وبوشير، بسبب عدم وجود المحاصيل الزراعية أو بسبب الفتن، فيمكن ان نعطي الحق للسفن بالدخول إلى موانيء اخرى لم تذكر في الجدول مثل الهند أو كراتشي أو بومباي كما تفعل السفن الاجنبية.

اتوقف الآن عند نوع السفن التي تخدم الخط الفارسي حتى الآن، وهما سفينتا «الفرات» و«دجلة» فلا يمكن الاعتراف بانهما تصلحان لظروف الخط الفارسي، انهما قد تصلحان لنقل المسافرين ولكنهما لا تصلحان لحمل البضاعة لان مقدار الحمولة على هذه السفن يجب ان تكون قليلة بسبب الرواسب، تستطيع هاتان السفينتان ان تاخذا (6000) طن فقط من البصرة حتى تستطيعا الحركة بسهولة في الخليج العربي، اما الحمولة الباقية فنضطر لارسالها على بواخر الشحن مما يؤدي إلى كثرة التكاليف.

احسن السفن للخط الفارسي هي بواخر الشحن لشركة الملاحة والتجارة الروسية مثل سفينة «تسيريرا» و«ميركوري» وغيرهما التي تصل حمولتها إلى (5000) طن عندما تصل الرواسب إلى 19-20 قدما وتكاليفها اقل.

اماكن الركاب على متن «الفرات» و«دجلة» غير معدة للرحلات البحرية الطويلة في الجو الاستوائي، تقع غرف الدرجة الاولى على

السطح العلوي حيث لا يوجد امكانية عمل تيارات هوائية في البلدان الحارة، وعلاوة على ذلك فان الغرف مجاورة لقسم الماكينة ولهذا فالحرارة في هذه الغرف لا تطاق، لا يستعمل الركاب هذه الغرف في الرحلات الصيفية ويقضون طوال الليل والنهار على سطح السفينة، ولو لم تكن هناك وسائل الراحة الاخرى في سفننا، ولو لم يكن الطعام فيها جيدا والركوب فيها بدون تغيير في القسطنطينية أو سوريا أو لبنان لكاد عدد المسافرين محدود جدا.

يجب الا يكون هناك اكثر من (5)غرف من الدرجة الاولى في سفن الخط الفارسي و(6) أو (7) غرف من الدرجة الثانية، وكثير من الاماكن من الدرجة الثالثة، وكذلك تكييف كثير من الماكن الخاصة لنقل الحجاج الذين يؤلفون نسبة كبيرة من عدد الركاب على سطح السفينة، واذا خصصت اماكن كثيرة لركاب الدرجة الاولى والدرجة الثانية، فهذا سيكون على حساب حمولتها، وبصورة عامة فان تكييف اماكن كثيرة للركاب لا يعطي ارباحا كبيرة وبالرغم من هذا يجب اعادة عدد كبير من الخدم، واخيرا يجب الا يغيب عنا بانه خلال الـ(3) أو (4) سنوات القادمة وعند بدء حركة القطار (خط سكة الحديد) عن طريق بغداد، فان اماكن الركاب على سفينتنا على الخط الفارسي ستفقد اهميتها، ومن المرغوب فيه ان نزيد سرعة سفننا إلى (11-13) ميلا في الساعة.

اجرة النقل البحري

عند استيراد البضائع من هامبورج ولندن إلى الخليج، كانت تؤخذ من شركات الملاحة الاجنبية اجرة النقل البحري، وهنا نشرح

انواع البضاعة واسعار اجرة النقل البحري بصورة مفصلة.

البضاعة من الدرجة الاولى

البيرة، قماش الشيت، السبيرتو، الشامبانيا، الفينو، العطور والروائح، السيارات، المصنوعات النحاسية، والمصنوعات الجلدية، والمصنوعات الصوفية، والمصنوعات الحديدية.

[35 مارك لكل 1000كجم]

البضاعة من الدرجة الثانية

المعلبات، والطحين، والمصنوعات المعدنية، الفرفوري، والصابون، والمعكرونة.

[32.5 مارك لكل 1000كجم]

البضاعة من الدرجة الثالثة

المصنوعات من الصفيح، والكتب، والمصنوعات الزجاجية، والمصنوعات الخشبية، والشموع، والجلد، والاسلاك، والمصنوعات من القصدير.

[30 مارك لكل 1000كجم]

البضاعة من الدرجة الرابعة

الواح الخشب، والحديد، والمصنوعات المطلية بالمينا، والمسامير، والاسمنت، والرصاص، والمصابيح.

[27.5 مارك لكل 1000كجم]

اما ما يتعلق بالكيروسين فلا يستورد من هامبورج ولا من لندن إلى الاسواق المحلية، هنا يوجد كيروسين محلي لشركة «-Anglo

«persian Oil Co. وكيروسين امريكي مستورد من امريكا "Standard Oil Co." اجـرة النقـل البحـري علـى الكيروسـين الامريكي كانت 95 سنتا للصندوق/ نيويورك-البصرة.

الاجراءات العملية لانعاش العلاقات التجارية مع جنوب بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين

في هذه الوثيقة وعلى ظهر الصفحات 71و 72و73 من الإضبارة تشريع لهذه الاجراءات في 8 بنود.

وفي الخاتمة وصفحة 73

[كل التدابيـر والاجـراءات العمليـة المذكـورة اعلاه تؤدي إلى انعاش العلاقات التجارية مع بلاد ما بين النهرين وبلدان الخليج، لم تصل التجارة حتى الآن إلى النتائج المطلوبة في هذه المناطق، ولكن نأخذ بعين الاعتبار تطور هذه العلاقات. ان استئناف الخط الفارسي عام (1915) وزيادة عدد الرحلات والاخذ بجميع الاجراءات لتحسين العلاقـات التجاريـة مـع بلاد ما بين النهرين وجنوب بلاد فارس، كل هـذا يعطينـا الحـق بـان نقول بان تاثير روسـيا السياسـي والاقتصادي على بلاد ما بين النهرين وبلدان الخليج سوف لا يخمد وانما يتطور ويتوطد.

توقيع مدير القنصلية جولينتشوف - كوتوزوف

التوقيع مصادق عليه من قبل مدير قسم الملاحة التجارية.

ف. كويفييوف

ملحق رقم (14)

الارشيف الروسي الحكومي التاريخي في مدينة بطرسبرج، الملف رقم 107، القائمة رقم1، الإضبارة رقم 2206، سنة 1914

18-الوثيقة صفحة 75-89 من الإضبارة المكتب الرئيسي-القسم التجاري
مسجلة على الآلة الكاتبة رقم 331/ ك3
الشركة الروسية للملاحة والتجارة
اوديسا 22 نيسان/ 1915
رقم الختم 735 تاريخه 25 نيسان 1915

الى ادارة الشركة في سان بطرسبرج

نؤكد على استلام رسالة الادارة المؤرخة 14 شباط من هذا العام والمرقمة 192 والمرفقة معها من قسم الملاحة التجارية نسخ بلاغات القنصل الروسي في البصرة والقنصل الروسي في بندر بوشير عن ظروف تحسين العلاقات التجارية مع موانيء الخليج يتشرف المكتب الرئيسي بابلاغ الادارة عن رأيه في المسائل المذكورة في هذه البلاغات.

أ. القنصل العام في بندر بوشير

1. في مشروع جدول الرحلات لعام 1915، وكذلك في خطة العمل على الخط الفارسي لعام 1915 المرفقة مع رسالتكم المؤرخة 6/ 11 من العام الماضي والمرقمة 449/ ب.ل.15. يبلغ المكتب

الرئيسي الادارة بانه من المناسب جدا القيام بـ(6) رحلات في السنة إلى الخليج.

1-من اوديسا	9كانون الثاني	الى بوشير	9 شباط
2- من اوديسا	25 شباط	الى بوشير	28آذار
3- من اوديسا	27تموز	الى بوشير	23 آب
4- من اوديسا	5 آب	الى بوشير	5 ايلول
5- من اوديسا	20 ايلول	الى بوشير	21تشرين الاول
6- من اوديسا	5تشرين الثاني	الى بوشير	5 كانون الاول

وهكذا فان رغبة السيد القنصل عن وصول السفن إلى ميناء بوشير تطابق تماما وجهة نظر المكتب الرئيسي، الرحلة الاولى في بداية شباط، الرحلة الثانية في بداية نيسان والثالثة والرابعة في بداية ايلول، الخامسة في اواسط تشرين الثاني والسادسة في بداية كانون الاول.

اما ما يتعلق بدخول السفن المذكورة إلى الكويت والى البحرين فيتشرف المكتب الرئيسي بابلاغكم بانه في البند الثالث من العقد السابق مع الحكومة عن مسألة الرحلات السريعة إلى الخليج، اعطى الحق لهذه الشركة بارسال السفن إلى الكويت عند الضرورة وبما انه طوال فترة العمل لم تكن هناك حمولة لا إلى الكويت ولا منها، لذا لم تدخل السفن إلى هذا الميناء.

اما ما يتعلق برغبة السيد القنصل عن ضرورة الدخول إلى البحرين، فحسب راي المكتب الرئيسي يمكن ان يكون الدخول إلى ميناء البحرين اختياريا آخذين في الاعتبار بانه طوال فترة خدمة سفننا

فـي موانـيء الخليـج لم يكن هناك طلب على ارسـال أو اخذ حمولة مـن البحريـن عـدا مرة واحدة عندما اخذت إليهـا حمولة صغيرة من المعكرونـة، واذا رغبـت الـوزارة فبامكاننا وضع ميناء الكويت وميناء البحرين في جدول رحلاتنا كموانيء اختيارية مع ملاحظة: ان بامكان السـفينة ان تدخـل احـد الميناءيـن فقـط، امـا ميناء الكويـت، أو ميناء البحريـن آخذيـن في الاعتبار بان الدخـول إلى البحرين يتطلب زيادة مدة الرحلة ما يقارب 3-4 ايام ومثل هذه الفترة يتطلبها الدخول إلى الكويت.

امـا فيمـا يتعلـق بمينـاء عدن وميناء جيبوتي فعلينـا ان نؤكد بان سـفننا تتـزود بالمـاء في ميناء عدن وفي بعـض الاحيان بالفحم وهي فـي طريقهـا إلـى الخليج ومنه، واما ما يتعلق بميناء جيبوتي فدائما له حمولـة كبيـرة من الطحين وألواح الخشـب الـذي تحمله لها بانتظام. وليـس مـن صالحنـا ان نترك هذا الميناء الذي يبشـر بـان يكون ميناء مربحـا للتجـارة الروسـية، فـي الفترة الاخيرة كانت قد بحثت مسـألة ارسال السكر إلى جيبوتي ولكن الحرب منعت تجار السكر من عقد اتفاقيات.

وكما اعلن المكتب الرئيسي للادارة في رسالته 6 آذار من العام الماضي والمرقمة 282/ ب.ل.15 فان لميناء الكويت ولميناء البحرين اهمية ثانوية ولكن امامهما مستقبلا لامعا.

وحتى الآن لا تملك بلاد ما بين النهرين وكل المحافظات التي تقـع علـى الخليج صناعـة تحويلية، لذا فكل التصدير من هذه الدول محـدود بالمـواد الخـام فقط وتسـد حاجة السـكان مـن المصنوعات بواسـطة استيرادها مـن الخـارج وبخاصـة مـن اوربا وقسـم منها من

الهنـد، لـذا سـيكون وبمـرور الوقـت للمناطـق المجـاورة والمتاخمة للكويت والبحرين اهميتها الكبرى في اسـتيراد المصنوعات الروسـية عـن طريـق البحـر، هـذا إذا نظر اصحاب المصانـع بعين الرضى إلى هذه السوق.

2-اجرة النقل البحري التي تؤخذ من شركتنا على الحمولة من روسيا إلى جميع موانيء الخليج مازالت هي تقريبا:

* الكيروسين 32 كوبيك للصندوق زنة 2,9بود.
* الخشب 15 كوبيك للقدم المكعب.
* الطحين والسكر 13-15 كوبيك للبود.
* وعلى البضاعة الاخرى 30 كوبيك للبود.

والاجـرة المذكـورة فـي بـلاغ القنصل الروسـي في بوشـير اقل بقليل من الاسعار المذكورة. يجب زيادة الاجرة في المستقبل بمعدل 25-30٪ بسبب زيادة اسعار الفحم وغيرها، وكذلك بسبب تخفيض اجرة خدمات الخط الفارسي إلى درجة كبيرة.

حسـب معلومـات المكتـب الرئيسـي، فـان شـركات الملاحـة الانجليزيـة وغيرهـا رفعـت اجرة النقل البحري بنسـبة 25٪ ويريدون رفعها اكثر في المستقبل، ومن اهم اسباب زيادة الاسعار زيادة تكاليف بناء السـفن بـ30٪ بسـبب غلاء المواد الخام والايدي العاملة، وعدم كفاية الايدي العاملة بسبب الحرب، والحمولة التجارية وصعوبة بناء السـفن الجديدة، فقبل الحرب مثلا كان بناء سـفينة عادية يسـتغرق ما يقارب 10-12 شهرا والآن لبناء مثل هذه السفينة نحتاج إلى 14-16

شهرا، وكل مصانع السفن في انجلترا عليها طلبات اكثر من اللازم.

3-يجب تخفيض اسعار الجمرك على البضاعة التي تاتي من الخليج إلى روسيا وبخاصة التمر وفراء الحملان وذلك لان اسعار اليوم المرتفعة تمنع جلب البضائع على سفننا إلى روسيا، ولقد باءت بالفشل المحاولات العديدة للتجار الاجانب ووكلاء شركتنا لجلب التمر وفراء الحملان من بلاد فارس إلى روسيا عن طريق البحر بسبب الرسوم الجمركية المرتفعة.

ولقد وضعت رسوم جمركية عالية جدا على التمر الذي يستورد من البصرة وكل بلاد ما بين النهرين وصلت إلى (5) روبل و(67) كوبيك للبود، ولذا بالرغم من رخص هذه البضاعة فان التجار لا يستطيعون تصدير بضاعتهم إلى روسيا بسبب الرسوم الجمركية والضرائب الباهظة، وبسبب هذه الاسعار فان كل البضاعة من البصرة ومن موانيء الخليج تتجه إلى سوريا والى القسطنطينية والى الاناضول وكذلك إلى فارنا وبوغاز.

3أ. لا يوافق المكتب الرئيسي على رغبة السيد القنصل بعدم تغيير وكلاء الشركة للاسباب التالية: لا تغير شركتنا وكلاءها في موانيء الخليج فحسب وانما في جميع الموانيء التي تخدمها، إذ لم تكن هناك اسباب كافية لذلك، أو بدون طلب الوكيل نفسه، ولكن ان كانت هناك اسباب، والوكيل نفسه طلب ذلك لاسباب صحية فان الشركة لا تستطيع الا تغير الوكيل بوكيل آخر، موضوع تغيير وكلاء الشركة مشروح مفصلا صفحة 8-9 من الرسالة» ويتطرق إلى مسألة فصل الوكيل «دوريشيان» من الشركة بسبب الخسائر التي سببها والمخالفات التي قام بها.

3ب-صفحة9-10 من الرسالة معلومات عن فتح بنك في بوشير وعن اعمال هذا البنك.

3-ج- وصفحة 10-11 من الرسالة معلومات عن المعارض والمتاحف التابعة لوكالات الشركة الروسية للملاحة والتجارة الموجودة في البصرة وبوشير وعن عينات من البضاعة الروسية التي يمكن ان تجذب انظار التجار.

ب. القنصل الروسي للإمبراطورية الروسية في البصرة

1-مواعيد وصول السفن إلى البصرة نفسها تقريبا التي اشار إليها القنصل العام في بوشير وهي تطابق تماما المواعيد التي اشار إليها المكتب الرئيسي في رسالته المؤرخة 6/ 11 من العام الماضي والمرقمة 449/ ب.ل15 وكذلك فيما يتعلق بالعمل على الخط الفارسي لعام (1915) والمذكورة اعلاه. اما فيما يتعلق بمسقط فهو صحيح حقا ومن المرغوب فيه ان يكون الدخول إلى هذا الميناء اختياريا ان كانت هناك حمولة من والى هذا الميناء حتى الآن لم يوجه التجار الروس اهتمامهم له.

الدخول إلى جدة مرغوب فيه ولكن يجب ان يكون اختياريا وذلك لان ميناء الحجاز مربح جدا لشركتنا بسبب الحجاج بالرغم من وجود وكالة دائمة لنا في جدة تقوم باعمال الحج والحجاج فقط، ففي الفترة الاخيرة كانت ترسل على اسماء وكلائها في جدة بضائع مختلفة مثل الطحين، والخشب، وغيرهما.

ونحن نشارك السيد القنصل رأيه في اختصار مدة الرحلات في الخليج، على ان يكون الدخول إلى موانيء لنجة، وبندر عباس، ومسقط، والحديدة، وكذلك بيروت وازمير ويافا اختياريا.

اما عن ملاحظة السيد القنصل بعدم احراج شركة الملاحة والتجارة بجدول الرحلات السريعة، وانما اعطائها النزعة التجارية واعطاء الحرية للسفن بان تدخل الموانيء التي يوجد منها واليها بضاعة وعدم دخول تلك التي لا يوجد منها واليها بضائع.

«ففي 16 سطرا من الرسالة عرضت مسألة دخول السفن إلى كراتشي دخولا اختياريا على ان يكون من اوديسا إلى كراتشي فقط لعدم وجود بضاعة كافية من الهند إلى روسيا».

واذا تقرر دخول السفن إلى كراتشي فالدخول يمكن ان يكون بطريقتين، اما عدن- مسقط كراتشي- بندر عباس الخ.. أو عدن- كراتشي- مسقط- بندر عباس.الخ. اما فيما يتعلق بملاحظة السيد القنصل عن السفينتين «دجلة» و«الفرات» بانهما غير مناسبتين لظروف الخط الفارسي فيتشرف المكتب الرئيسي بابلاغكم بان هاتين السفينتين بنيتا خاصة لهذا الخط.

«وصفحة 15 من الرسالة يأتي وصف هاتين السفينتين»

اما فيما يتعلق بالسفينتين «تسيريرا» و«ميركوري» فيجب الا تسحبا من الخط البلطيقي بتاتا.

وتخصص اماكن خاصة للحجاج المسلمين على كل سفينة في بداية موسم الحج وحسب القواعد والقوانين الصحية لسفن الحجاج، وقد نقل في الثلاث السنوات الاخيرة:

	1911	1912	1913
على سفينة دجلة	1139 حاجا	-	777 حاجا
على سفينة الفرات	-	1146 حاجا	-

اما فيما يتعلق بفتح خط سكة حديد بغداد خلال الـ 3-4 سنوات القادمة، وان الاماكن المخصصة للركاب على هذه السفن ستفقد اهميتها فهذا موضوع سابق لأوانه لان هذا يتعلق بالوضع الذي سيكون بعد الحرب.

وبالرغم من هذا يجب ان تكون على سفن الخط الفارسي اماكن مخصصة للركاب للدرجات الثلاث وذلك لوجود من يرغب في القيام بمثل هذه السفرات البحرية المملوءة بالانطباعات المختلفة إلى هذه البلدان الغريبة على الخليج رغم طول الطريق ومشقته.

سفينة مثل «تسيريرا» تستطيع القيام برحلة واحدة فقط في السنة في موسم التمر، ولنقل هذه الحمولة من البصرة فقط.

«7 اسطر عن سرعة السفن» دجلة» و«الفرات»، «تسيريرا» «تروفور» و«فيستا»».

«صفحة 17 من الرسالة وفي سبعة اسطر معلومات عن اجرة النقل البحري، وصفحة 17-27 معلومات مفصلة عن التدابير المتخذة لانعاش العلاقات التجارية مع جنوب بلاد فارس وبلاد مابين النهرين.

وفي النهاية يضيف المكتب الرئيسي قائلا: إلى جانب كل الاجراءات التي يجب ان تتخذ لتطوير العلاقات مع موانيء الخليج، يجب اعادة النظر في المعاهدات بين روسيا وتركيا، وبين

روسيا وبلاد الفرس، فلا تتحمل هذه المعاهدات اي نقد في الوقت الحاضر، المعاهدة مع تركيا كانت قد عقدت 1862، والسؤال مطروح عن فاعلية هذه المعاهدة التجارية، وربما من نتائج الحرب بين روسيا وتركيا اعادة النظر في مثل هذه المعاهدات القديمة.

نظرا لما ذكر اعلاه يعبر المكتب الرئيسي عن رأيه بان سياسة التصدير المنتظمة بامكانها ان تعطي للتجارة مع دول الخليج صفة ثابتة ومنتظمة ودائمة وهي صفة ضرورية للتصدير المنظم.

توقيع المدير

توقيع رئيس القسم التجاري

ملحق رقم (15)

الارشيف الروسي الحكومي التاريخي في مدينة بطرسبرج،
الملف رقم 107، القائمة رقم 1، الإضبارة رقم 2206، سنة 1914

21 - الوثيقة صفحة 48-49 من الإضبارة

الشركة الروسية للملاحة والتجارة

رقم449/ ب.ل 15

اوديسا 6 تشرين الثاني 1914م

رقم الختم 2850

تاريخ الختم 12 تشرين الثاني 1914

الى ادارة الشركة في بطرسبرج

مشيرا إلى رسالة الادارة المؤرخة 30 ايلول من هذا العام والمرقمة بـ 1894 يتشرف المكتب الرئيسي بابلاغكم خطة جدول الرحلات وخطة الملاحة على هذا الخط.

توقيع نائب المدير
توقيع نائب رئيس القسم التجاري
ملاحة السفن لشركتنا على الخط الفارسي لعام 1915

يفتـرض القيـام بـ(6) رحلات حسـب الجدول لعام 1915 على ان:

تخرج	من اوديسا	من البصرة
الرحلة الاولى	9 كانون الثاني	1 آذار
الرحلة الثانية	25 شباط	15 نيسان
الرحلة الثالثة	23 تموز	18 أيلول
الرحلة الرابعة	5 آب	24 أيلول
الرحلة الخامسة	20 أيلول	7 تشرين الثاني
الرحلة السادسة	5 تشرين الثاني	22 كانون الأول

عند تنسيق مواعيد خروج السفن بالشكل المذكور اعلاه يمكن تقدير الدخل الاجمالي بما يقارب (420,000-450,000) روبل خلال سـنة وبـدون حسـاب الاجـرة بعـدد الاميـال، واذا دخلـت اجرة عدد الاميال حسـب القانون المعمول به فالدخل والاجمالي سـيكون بما يقارب (540,000-570,000) روبل.

الرحلـة المربحـة مـن بيـن الرحلات السـت هي الرحلـة الثالثة والرحلة الرابعة، لانها تتفق مع موسم استيراد التمر من البصرة، وفي هذا الموسم تأخذ السفن إلى الخط المرجع حمولة ثانية واجرة نقل بحريـة جيـدة في هذه الموانيء رغم المنافسـة الشـديدة، يشـهد على ذلك عام (1912-1913) وتتفق مواعيد هذه الرحلات مع فترة حركة الحجاج المسلمين من اوديسا والقسطنطينية إلى الحجاز.

وتحتل الرحلتان الخامسة والسادسة المكانة الثانية بين الرحلات وذلـك لوجـود حمولـة مـن بقايـا محاصيل التمر، امـا الخط المرجع

للرحلة الخامسة فينقل الحجاج الراجعين من الحجاز وسفينة الرحلة السادسة وهي في طريقها إلى الخليج تنقل الحجاج الراجعين إلى بندر عباس- لنجة- بوشير- المحمرة- البصرة.

اما الرحلات الخريفية، الرحلة الاولى والثانية فريعهما اقل. في هذه الفترة وعلى الاغلب حمولة الحبوب من البصرة إلى جدة والسويس، وفي هذا الموسم اجرة النقل البحرية قليلة.

نحتاج إلى ثلاث سفن للقيام بالرحلات الست مثل سفينة «الفرات» و«دجلة» وسفينة ثالثة «تسيريرا» بحيث تقوم كل من «الفرات» و«دجلة» برحلتين وتقوم السفينة الثالثة برحلة واحدة.

اقيمت الحسابات الواردة على اساس احصائيات السنين السابقة، اما كيف ستكون النتائج بعد الحرب، فهذا شيء سابق لاوانه.

الفهارس

1 - فهرس الأعلام.

2 - فهرس القبائل والجماعات.

3 - فهرس الاماكن والبلدان.

فهرس الاعلام

فهرس القبائل والجماعات

فهرس الأماكن والبلدان

الخليج والجزيرة العربية في المصادر الروسية

ا. د. صبري فالح الحمدي

ادى الخليج والجزيرة العربية دورا مهما في التجارة الدولية منذ اقدم الازمنة لموقعه في منتصف الطريق بين بلدان آسيا من جهة والشرق الاقصى من جهة اخرى وبين الهند وبلاد ما بين النهرين والشام والشرق الادنى من جهة اخرى، إذ ورد ذكر الخليج العربي بالكتب المخطوطة كرحلة ابن فضلان (توفي بعد عام 330هـ بعد 922م)، ان اهميته التجارية ساعدت على قيام مراكز تجارية في المناطق المجاورة لسواحله الشرقية والغربية، وكان للعرب دور معروف في تجارة المنطقة منذ ان فرضوا نفوذهم على بلاد فارس في القرن السابع الميلادي، وظلوا يتمتعون بمركز السيادة حتى مطلع القرن السادس عشر، على اثر وصول البرتغاليين إلى المنطقة وبعدهم الهولنديون والبريطانيون، فانتقلت تلك السيادة للاخيرين، على ان النشاط التجاري العربي استمر بوصف العرب كانوا يمثلون وسطاء للتجارة العالمية، فضلا عن اسهامهم بوظائف توزيع البضائع القادمة إلى المنطقة والمصدرة منها، وخبرتهم الطويلة التي اكتسبوها عبر سنوات طويلة بالعمل الملاحي والتبادل التجاري.




ISBN 978-614-01-0881-3



جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

تصميم الغلاف: علي القهوجي